الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد
تصنيف علامة زمانه وفريد اوانه مجدد
وقته بلا نزاع وشيخ الاسلام بلا دفاع
ابو الثناء شهاب الدين محمود
الحسني الحسيني الآلوسي
البغدادي عليه رحمة
الغفار الهادي
امين

(فائدة) المرثية بفتح الميم [illegible] وتخفيف الياء كما هو الصحيح خلافا لمن [illegible] وشدد ياءه [illegible] نظم ذلك [illegible] فقال
ومرثية بلا تشديد ياء فيها [illegible] ومن شدده [illegible] شرح [illegible]
[illegible] من حاشية [illegible] لنعمان الالوسي زاده




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرحت اثاره الظاهرة فى مرايا الامكان * انه سبحانه القديم الباقى وما سواه الحادث الفان * والصلاة والسلام على حبيبه الذى اوفوله بمدحه اياه الثراء * فاستغنى لذلك وحق له عن كل مدح ورثاء وعلى اله واصحابه الذين قاموا بواجب حقه ميتا وحيا * وعرجوا فى معارج التصدق فى خدمته حتى قبلت اخمص اقدامهم الثريا * اما بعد فيقول اسير ذنبه * التائب الى ربه * الراجى لطف مولاه القدسى * شهاب الدين السيد محمود الآلوسى * وفقه الله تعالى للعمل فى يومه لغده * وارشده لاصلاح حاله قبل ان يخرج الامر من يده * ان من شنشنتى المعتادة * ونشنشتى المستجادة * رشف حميا الغرائب من ثغور الاخبار * وقطف ازهار الرغائب من رياض الآثار * لاداب لى الا التوسم وفود الاداب فى سوق عكاظها * ولا شغل لى الا استنشاق نسائم المعانى المخبات تحت براقع الفاظها * فبينما اسير فى بيداء الادب * ممتطيا مشمعلة الطلب * لعلى افوز بشئ من قصائد اهل العصر العاصرين سلاف اللطائف * من كرم اذهانهم احسن عصر الماصرين اعصار

نسبة الى آلوس جزيرة
فى الفرات قرب عانات
... بغداد واليها
نسب جملة كثيرون
منهم الوزير الاكرم ... الشاعر
... الكلام عليه ... يطلب
... ترجمة المؤلف عليه
...

الظاهرى

الظرائف لطف هصر * القائلين فى رياضها * الواردين نهر حياضها *
لعلى ان فيهم من سرت كلماتهم مسرة الارواح فى الاجساد * وطارت
قصائدهم بجناحى الفصاحة والبلاغة الى اقصى البلاد * واخذوا من
الكمال باوفر نصيب * وحازوا من قداح الفضل المعلى والرقيب *
وهم وان تاخر عصرهم فلا باس * بتأخر النتيجة عن القياس * والخدم
تتقدم بين يدى السادة والسنن امر يتقدم بها على فروض العبادة *
وتقدم رقم الاحاد * لا يزيد رتبة الاعداد * ولا يضر النور تأخره
عن غراس اغصانه * ولا مضاء السنان كونه فى اطراف مرانه

اوما ترى ان النبى محمدا * فاق البرية وهو اخر مرسل

اذ حظيت بقصيدة كالقمر ليلة تمامه * وكالزهر المخبو فى اكمامه *
قد حوت دقائق التصوف والعلوم * وجمعت من الفصاحة والبلاغة
ما فاقت به على قصائد امرئ القيس وعمرو بن كلثوم * انشأها اديب
عصره * واريب مصره * الفاضل الذى له فى الادب زند ورى *
ومن مورد العذب شرب ورى * السيد النجيب * والحبيب النسيب
نسل السادة الامجاد السيد محمد الشهير بالجواد كان الله تعالى لنا
وله * واصلح لكل منا عمله * راثيا بها حضرة قطب دائرة الارشاد
ودليل السبيل والسلوك الى مالك الملوك ورب العباد * العالم الذى عمل
بما علم فجمع الى العلم زهدا * وزاد على الزيد شهدا شعرا

فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب واتصال ولى ولى

فهو الحائز للحكمتين العلمية والعملية * والفائز بالرياستين الظاهرية
والباطنية * فلا ترى مكرمة الا ومصيرها اليه * ولا منقبة الا ورواقها
ممدود وهى مقصورة عليه * ولعمرى ان كان الكمال بدرا فهو هالته
* او كرة فهو مركزه ودائرته * او خدا فهو تورّده او صدغا فهو
تجعيده * او لفظا فهو مبناه * او جسما فهو صورته وهيولاه *

وبالجملة

لو قيل للحسن تمنى لمنى * اذن تمنى ان تمثله

قرة عين البرية ومفخر مشايخ الطريقة النقشبندية * العابد الزاهد

حضرة مولانا ضياء الدين ابي البهاء الشيخ خالد الاموي الكردي * الشافعي الاشعري النقشبندي قدس سره * وعم نابره

صفاته لم تزده معرفة * لكنها لذة ذكرناها

فلما رايت هذه القصيدة الرقيقة * والغادة النفيسة الرشيقة * قد نظمت على نمط في هذا الزمان غريب * وتضمنت حلاوة الفاظ ليس الغير لها بضريب * واشتملت على رثاء هذا المولى * والفلك السامي الاعلى * الذي ارتضعت ضرع طريقته بعيد الفطام * واحسنت حمايا محبته قبل ان تعشو مني العظام * احببت ان املي عليها شرحا * وابني على كواكب كواعبها صرحا * مع ان الهموم قد سدلت على جلبابها * والغموم قد مدت الى اسبابها * والبسني الزمان لباس البوس * ووجه نحوي وجهه العبوس * وجعلني افرغ من يد تفت اليرمع * واذل من وتد يدق في خلال الاربع

ولو اني استزدتك فوق ما بي من البلوى لاعوزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة بعيش مثل عيشي لم يريدوا

على ان اشتغالي بغائلة التدريس * شغلني حتى عن تحية جليس * ولكن رايت الاشتغال بكشف معانيها * وحل مبانيها * ونشر منظوم ما ثر ذلك الولي الكامل * ونشر مطوي مفاخر ذلك العالم العامل * اقوى سبب ان شاء الله تعالى في كشف ما بي * وقضاء مآربي * اذ بذكر امثاله تنزل الرحمة * وبصبا انفاسهم تنكشف غمائم الغمة * واني والله لم اكن من خيل هذا الميدان * ولا ممن يعده الابطال من فرسان هذا الشان * ولكن جهد المقل * وزهد المخل *

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

على ان غالب ما اذكره * بل جميع ما اسطره * ليس لي فيه سوى نقله * واخذه من محله * وبالله تعالى اعتضد * ومن فيضه استمد * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة لمن دعاه جدير * وهذه القصيدة التي شرحناها * ومن خط ناظمها نقلناها *

* *

خذ بي الهوى خف الخليط المعجد * واطلال احباب هويت هواجد

معاهدهم عاف القطين قراره ... لديها وحاكتها الحمام الغواقد
واقوت عراص الانس منها كأنما ... الممت بها بعد الانيس الاوابد
وان اصيحابا الفت اصطحابهم ... خلت منهم بالابرقين المعاهد
تطارحك الأرزاء في كل آنة ... بفن ولا سفن الرحيل رواكد
تذيب القنا وافي ونفسك لم تكن ... لتفنى واحكام القضاء نوافذ
لئن هتفت ورقاء سعدك بالمنا ... فلم تنف عن حد الحتوف الحدائد
هو الزمن العادي وصارمه الردى ... واحيا لنا للحد منه مغامد
ترث ثياب العيش فيه كما ترى ... واثواب اعمار الخطوب جدائد
زمان به زهر اللطائف ذابل ... ودهر به سوق المعارف كاسد
عقدت للحيا في حبك اللهو غا فلا ... عن المقصد الأسنى وبيعك فاسد
تروم الغنا في غفلة بعد غفلة ... وصرف الردى في حظ قدرك جاهد
بنا ملك الدهر الغشوم بمكره ... وجهلك يقظان وطرفك راقد
نظرت بال الله سوء صنيعه ... وعاينت من اهواله ما تكابد
اثار جوى الاعلام اعلام دينه ... بوقع له السبع الطباق رواعد
مصائب رئيس العارفين عصامها ... ومرشدها اذ اعوزتها المراشد
تهدم بيت الدين بعد عماده ... ومادت بنا اركانه والقواعد
امن بعده يحلو الوصال لعاشق ... بحضرة قدس وهو للشيخ فاقد
الا من مغيث السالكين اذا كبت ... وزلت بهم اقدامهم تتمايد
الا من لتدريس التصوف بعده ... يفيد متى تخفى هناك الفوائد
الا من لتلقين الاوامر بعده ... يلقن اذ يسهو عن الذكر حافد
ومن قدوة التعريف والكشف بعده ... ومن لأباليس المخائل طارد
ومن لامارات الشهود ورمزها ... وغامضها ان جاء ينشد ناشد
ومن يرع في عين العناية وهو في ... مراقبة والذكر من ذاك خامد
يسوس باشخاص المريدين حيثما ... بدت قبسات تجلى ومشاهد
اخي خالد مشكاة كل فضيلة ... وبدر كمال نوره متزايد
رزينا عظيم الهول في خطبه كما ... رات نبشرها في الخلد منه الخرائد
بذا قضت الايام ما بين اهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

دعاه لصقع القدس مولاه عنده ... فلباه سرا وهو اياه قاصد
نجاه ولا ينحو سواه لأنه ... اليه به منه عليه لوافد
وما ام غير الله مدة عمره ... وحاشا وما الغير فى السير قائد
مراحل لم يستقصها قط ناسك ... سواه ولا يرقى لها قط زاهد
نفى ظلمة الشرك العميم وقد محا ... غياهبه كيما تصح العقائد
بصيرته القلبية استنهضت به ... الى سبل السير فيها مراصد
تقرب من قوس الصعود حتى فلا ... يقاس به الاه والله صاعد
وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا ... يذوب بسيماه الحصى والجلامد
وما بدليل الاذن ترعاه نسبة ... اجل بطريق الملم للعلم حاشد
وما نافع دين الهدى ثم لا عرك ... عرائس نهاه الجمال يشاهد
امير رياضات النفوس واذ من ... اساطينها تلقى اليه المقالد
عليه رحى العرفان دارت لأنه ... هو القطب والابدال فيها فراقد
فتى قصده عرفان باريه هل ترى ... تقوم بر ابياتنا والقصائد
فيا كهف ابناء الطريقة والذى ... تكفل فى ارشادها وهو والد
سريت من الناسوت حزما وهمة ... الى ملكوت عنده الملك خالد
مقامك جمع الجمع فيه لأنه ... مقام بر للأكرمين مقاعد
بعيدا يراه الجاحدون وانما ... نراه قريبا لا يرى الحق جاحد
وجانبت اهل التيه والغى والعمى ... بنور يقين صح انك نافد
لعلمك اهل الحال عقبى ما لهم ... وصال واهل القال طرا اباعد
نحوت بلاد الهند تكتسب العلا ... بتكميل نفس للتأله رائد
اخذت طريق النقشبندية التى ... بدت قبتها تعيى الفحول الأساود
فعادت تباهى للطرائق اذ غدت ... لها صلة من ذا الجناب وعائد
بنفسى سياح الاقاليم طالبا ... لمرضات مولاه بحق يجاهد
وما عام فى بحر السلوك موحد ... كما عمت فيه واعترتك الشدائد
وخضت باصناف العلوم مكملا ... نهاك ولم يرد عنك عن ذاك حائد
ولم ترض فى علم التقشف راغبا ... بجوهر علم منه تبدو الفرائد
وما طاهر يختاره ذو فطانة ... على باطن الا جهول معاند

وما القشر مثل اللب يدرك كنهه — اخو اللب لا من حظه متقاعد

لحى الله حبا خامر الوهم عقله — بليد جنان فى الطبيعة جامد

تعرض للانكار فينا بجهله — ولم يجد الانكار والحق شاهد

لا اصلح الله العباد وشانهم — واهجيهم فى الصدق ما زاد ذائد

فقد انهرت ارائنا فيك مثل ما — بك انتشرت بين الانام المحامد

دعوت الى الذكر الخفى وانه — لافضل ذكر الله فيه المقاصد

انسيدنا عثمان اصلك ينتمى — فاكرم به اصلا نمته الاماجد

هو الحسب الوضاح والشرف الذى — فضائل ذى النورين فيه شواهد

ابا ذبح هذا الفضل لقبك الورى — بحق ضياء الدين والاسم خالد

ومن اجل ذا كنيت ثم ابو البها — بهذا اصطفت للسالكين الموارد

اجاد يراعى فى الرثاء وانشجى الشـ — ـجواد ولا يرقى لما انا واجد

بكاك بعين الرفق كل موحد — لانك فرد فى الكرامة واحد

وحين بكت اهل الطريقة ارخوا — بكى فقده اهل الطرائق خالد

ولما بكى الدرس الالهى ارخوا — بكى فقدك الدرس الالهى خالد

وحين نوحت القدس قلت مؤرخا — دنى بازاء القدس فى القرب خالد

ولما هويت الحق قلت مؤرخا — هوى للقاء الحق فى القدس خالد

ورا فى فعاد المجد يعلن ارخوا — ليبك لك العرفان بالله خالد

وفى كشف اعلاها قلت مؤرخا — تبك لك العرفان بالله خالد

ورا فى فعاد المجد يعلن ارخوا — ليندبك العرفان بالله خالد

وقد جدها ما الزور ساعة ارخوا — بمقعد صدق عند مولاه خالد

وحيث اتخذنا فى الطريقة نسبة — وقد طهرت اعراقنا والمحاتد

نبغت بصدق عن لسانى ارخوا — مقام له صدق عند مولاى خالد

انتهت وهى ستة وسبعون بيتا على ما رأيناها فى نسخة ناظمها *
وفى بعض النسخ خمسة وسبعون باسقاط قوله اجاد يراعى البيت
* واعلم ان هذه القصيدة من بحر الطويل وهو اول ابحر الدائرة
المسماة بدائرة المختلف وهو تام المجزوء استعملها الا واسلمها من الجزء والشطر
والنهك ولذا سمى بالطويل ووزنه فعولن مفاعيل اربع مرات وله عروض

واحدة وهي مقبوضة حيث لا تصريع والا فهي كالضرب كما سيأتي وتجيئ
تامة مع عدمه كقوله

ونحن جلبنا الخيل يوم نهاوند ٭ وقد اجمعت عنا الخيول الصوارم

ومحذوفة كقوله

ثراها على طول البلاء جديد ٭ وعهد المغاني بالحلول قديم

شاذ لا يقاس عليه كما قاله البدر الدماميني وهو عيب يسمى عندهم
بالتجميع وله ثلاثة اضرب الاول السالم فيكون جزء العروض مفاعلن بحذف
الياء وجزء الضرب مفاعيلن باثباتها نحو قوله

ابا منذر كانت غرورا صحيفتي ٭ ولم اعطكم بالطوع مالي ولا عرضي

الثاني المقبوض نحو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ٭ ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وكبيت المطلع وتقطيعه

خديني له ٭ هوى خفقل ٭ خليطل ٭ معاضد ٭ واطلال احبابن ٭ هو
هوامد ٭ وتفعيله ٭ فعولن ٭ مفاعيلن ٭ فعولن ٭ مفاعيلن ٭ مفاعيلن ٭ فعولن
مفاعيلن ٭ فعول ٭ مفاعيلن ٭ الثالث المحذوف فيكون مفاعيلن
فيه مفاعي ٭ فينقل الى فعولن نحو قوله

اقيموا بني النعمان عنا صدوركم ٭ والا تقيموا صاغرين الرؤسا

ومصرع الطويل تاتي عروضه سالمة مع الضرب الاول كقوله

الا عم صباحا ايها الطلل البالي ٭ وهل يعمن من كان في العصر الخالي

ومحذوفة مع الثالث كقوله

لمن طلل ابصرته فشجاني ٭ كخط زبور في عسيب يماني

وهذا الذي ذكرناه هو المشهور فيما بين الجمهور والا فقد حكى بعض العروضيين
ضربا مقصورا بحذف ساكن السبب الخفيف واسكان ما قبله كقوله

ثياب بني عوف طهارى نقية ٭ واوجههم بيض المسافر غران

وبعضهم يحكي عروضا ثانية محذوفة لا لاجل تصريع الضرب بل اصالة ويحكي
ان لتلك العروض المحذوفة باسقاط لن من مفاعيلن فيصير مفاعي
فينقل الى فعولن كما تقدم ضربين ٭ اولهما ما شابهها بكونه محذوفا

كقوله

لقد سالا سعد وصاحب ... وماطلبا في قتلها بغرامه

ثانيهما مقبوض كقوله

جزى الله عبسا عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

هذا ويدخل هذا البحر من الزحاف القبض فان كان في فعولن فحسن او مفاعيلن فصالح وقد اجتمعا في بيت القصيدة وكذا في قول الشاعر

اتطلب من اسود بيشة ذونبه ابو مطر وعامر وابو سعد

فان كلا من فعولن ومفاعيلن فيه مقبوض ما خلا مفاعيلن الواقع في ضربه الكف وهو في مفاعيلن قبيح عند الخليل وزعم الاخفش انه فيه احسن من القبض لاعتماده على وتد بعده وبيته

اشاقتك احداج سليمى بعاقل فعيناك للبين يجودان بالدمع

ولله در بعض الاندلسيين حيث قال

كففت عن الوصال طويل شوقي اليك وانت للروح الخليل

وكفك للطويل فدتك نفسي قبيح ليس يرضاه الخليل

وقال بعض الادباء المعاصرين من اهل البصرة

طويل صدود من خليل مؤرق ودمع متى ما كف يهمي ويرفض

ايوجب كف الوصل وهو الخليل لي وما الطويل الصد من نحوه قبض

ودخول الكف والقبض انما هو على طريق المعاقبة كما ذكره غير واحد وكذا يدخله من علل النقص الثلم كما هو في شاقتك البيت والثرم كقوله

هاجك ربع دارس الرسم باللوى لاسماء عفا آيه المور والقطر

وقد يدخله الخزم بجاء وزاي كقوله

لقد عجبت لقوم اسلموا بعد عزهم امامهم للمنكرات وللغدر

فزاد على الوزن لقد وروى النحاس ان ابا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس كان ذرى راس المجيمر غدوة وقوله

كان السباع فيه غرقى عشية بالواو العاطفة صدر البيت على قوله

كان ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل

وليس ذلك بعيب عندهم لان احدهم انما ياتي بالحرف الزائد في اول الوزن اذا

سقط لم يفسد المعنى ولا اخل بالوزن وربما جاء بالحرفين والثلاثة ولم يأتوا
باكثر من اربعة احرف قاله ابن رشيق في العمدة فليحفظ وتمام الكلام في هذا المقا
يطلب من كتاب اعدلمثله * لا من كلام عدل الايجاز من فضله * ولولا التاسي
بأناس تعقد عند ذكرهم الخناصر * وتعتقد بكلامهم الضمائر * لما ذكرنا شيأ
من ذلك * ولا سلكنا في هاتيك المسالك * ولكن كما قيل

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ان التشبه بالكرام فلاح

على ان الاستاذ روح الله روحه * واعلى في الجنان فتوحه * ذكر مثل ذلك
في بعض رسائله * باخصر عبارة * والطف اشارة

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وقد ان للقلم أن يشرع في شرح هذه الابيات العامرة ويتكلم فنقول قال
الناظم لا فض الله تعالى فاه * ووفقنا واياه لما يحبه ويرضاه

خدين الهوى خف الخليط المعاضد * واطلال احباب هويت هوامد

اقول الخدين كما في القاموس الصاحب ومن يحادثك في كل امر ظاهر وباطن
وهو منادى حذف منه حرف النداء على حد قوله تعالى يوسف اعرض عن
هذا وهو كثير في الكلام * يتحرز عن عده السنة الاقلام * وفي اختيار الحذف
اشارة الى ضيق المقام * واتساع دائرة الكآبة والغرام * واستواء سلطان
الهموم على كرسي الافهام * واستيلاء جيوش الاحزان على مملكة اللسان *
بحيث لم يستطع ان يفوه ببنت شفة ولم يقدر على النطق لحرف النداء فحذفه
* فهو من قبيل الترخيم في قوله تعالى عمن هو في العذاب مقيم يا مال
ليقض علينا ربك في بعض القرآت * على ما ذكره بعض السادات (والهوى)
مقصور ميل النفس وهو اول مراتب الحب فقد قال صاحب الريحان
والريحان ان الحب اوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو
مقرون بالشهوة والمقت في غير الله تعالى والعشق اسم لما فضل عن المقدار
الذي هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذا
اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى المتباطن والتتيم والتبتل
والهيام وهو شبه الجنون وكثيرا ما يطلق الهوى على العشق المراد به المحبة
المفرطة وقد ذكر الاطباء ان العشق من جملة انواع الماليخوليا ويسمونه

بانه مرض وسواسي جلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور
وقد قيل اول العشق النظر كما ان اول الحريق الشرر ولله در من قال

مازحته فعشقته والحب اوله مزاح

وقال ابو حاتم

ابرزوا وجهه الجميل ولاموا من افتتن
لو ارادوا عفافنا ستروا وجهه الحسن

وانشد ابراهيم الوراق

تجنب فان الحب داعية الحب وكم من بعيد وهو مستوجب القرب
تفكر فان حدثت ان اخا الهوى نجا سالما فارج النجاة من الحب
فاحسن ايام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب

وسئلت اعرابية عن العشق فقالت خفي ان يرى وجل ان يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته ورى وان تركته توارى وان لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة السحر وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصة من خواصه والتحقيق ان العشق اعم من ذلك لان الرئيس ابا على ذكر في رسالته التي الفها فيه انه سار في جميع الموجودات المجردات والفلكيات والعنصريات والنباتات والحيوانيات حتى ان ارباب الرياضي قالوا ان في الاعداد اعدادا متحابة واستدركوا على اقليدس حيث فاته ذلك ولم يذكره وهي المائتان والعشرون عدد زائد اجزاؤه اكثر منه واذا جمعت كانت مائتين واربعة وثمانين والمائتان واربعة وثمانون عدد ناقص اجزاؤه اقل منه واذا جمعت كانت مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين اجزاؤه مثل الآخر كما لا يخفى على الناظر السابر واصحاب الخواص يزعمون ان لذلك خاصية عجيبة في المحبة اذا جعل العدد الاقل والعدد الاكثر في شيء من المأكول واكل المحب الاكثر واطعم الاول لمن يريد محبته قيل وقد جرب ذلك فوجد صحيحا وانا لا اعقل ذلك وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وانما العشق لم يرد في لسان الشرع ولا يجوز اطلاقه على الله تعالى عند الفقهاء ووافقهم الشيخ الاكبر قدس الله سره

وذكر بعض السادة الحنفية ان من قال انا عاشق لله تعالى او للنبي صلى الله عليه وسلم كفر وخرج عن الملة الحنيفية وفيه ما فيه ويشعر ظاهر الكلام السابق ان العشق اختياري والصحيح انه اضطراري نعم قد تكون اسبابه اختيارية فلعل اختياريته بهذا الاعتبار ونحوه في ذلك الايمان فانه كسبي باعتبار مباديه على ما قرر في محله وقد قال بعضهم لو رزقني الله تعالى دعوة مستجابة لدعوت الله تعالى ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية ويقال ان بعض العرب قال لرجل من بني عذرة ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امراة الفها انما ذلك ضعف نفس وخور تجد ونه فيكم يا بني عذرة فقال اما والله لو رايتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى ولله در الصفدي حيث قال

والهوى لو ملكت امرا مطاعا  في الهوى تعتقي هداه العقول
لامرت العيون ترنوا ودرا  ثغر يفتر والقوام يميل
ثم ادعوا العذال اذ ذاك حتى  ان راوعندهم فضول لا يقولوا
وهو والله داء عجيب  تعسر مداواته على كل طبيب
ان الهوى داء عيا  ه يعجز عن برئه المسيح

فهو كما قال كالنار اذا حكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل مددها تعذر صدها * واحسن ما يهون امره * ويقلل شره * تذكر مساوي المحبوب والتفكر فيه من العيوب * لو فكر العاشق في منتهى * حسن الذي يسبيه لم يسبيه * لكن يحكي ان قيس بن ذريح قد عني بلبنى * حتى اسره الغرام * واوقعه في هوة السقام فوصف له الطبيب هذا الدوا لينقذه من هاية البلوى * فقال له ان ما يسليك عن هذه العشيقة * والغادة الرشيقة * ان تتفكر في مساويها * وتذكر الاهوال التي تعانيها فانشد يقول

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا  وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما  على الف شهر فضلت ليلة القدر

فانظر ما حيلة هذا المسكين وما دواء هذا الداء الدفين وقصارى طبه تفويض امره الى ربه * وقيل ايضا انه مما يزيل الهوى ويذهب البلوى التولع بسوى محبوبه * والصبر الطويل على نوائب هجره وكروبه قال الشاعر

سألت المحبين الذين تحملوا | تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما | تبوء ما بين الجوانح والصدر
فقالوا اشفاء الحب حب يزيله | من اخر او نای طويل على هجر
او اليأس حتى تذهب النفس بعدما | رجت طمعا واليأس عون على الصبر

وانا لا ارتضي شيئا من ذلك* ولا ارى راحة للسالك في هاتيك المسالك اللهم الا بمحض القدرة الربانية* والعناية الصمدانية* وما اصدق ما قيل

وقد زعموا ان المحب اذا دنا | يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا | على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع | اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وهذا ما ذكره بعض العلماء الاعلام* في الكلام على العشق والهيام* وقال بعض السادة الصوفية نفعنا الله تعالى بنفحاتهم القدسية العشق سر يوجب اقتران العرشين* واقتراب قاب قوسين* وان العاشق في قبضة العشق كالكرة في قبضة الصولجان وهو محل لا يصل نظر الفهم اليه* ولا يقع ظل العلم عليه* ولعل هذا اشارة الى مقام الفناء المشار اليه بالحديث القدسي لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فافهم ذلك* والله تعالى يتولى هداك* وسيأتي ان شاء الله تعالى لبحث العشق تتمة وقوله (خف) اى ارتحل سريعا والخليط يطلق على الشريك والزوج وابن العم والقوم الذين امرهم واحد والواحد منهم وهو المناسب هنا ظاهرا والمعاضد الناصر والمعين وفي وصف الخليط بالمعاضد اشارة الى ان الاعانة هي اللائقة بحاله* والمرشحة لسر كماله* واما مصاحب السوء لا ينبغي ان يصحب بل ينبغي ان يرغب ويجتنب ولقد احسن رافع بن هريم اليربوعي حيث يقول

وصاحب السوء كالداء العياء اذا | يرفض في الجوف يجري هاهنا وهنا
يبدي ويظهر عن عورات صاحبه | وما رأى من مقال صالح دفنا
كمهر سوء اذا سكنت سيرته | رام الجماح وان رفعته سكنا
ان عاش ذاك فابعد منك سيرته | او مات ذاك فلا تضرب له مجنا

وما احلى قول علقمة بن لبيد لابنه يا بني ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك* وان اصابتك خصاصة اعانك وان قلت سدد قولك

وان صلت شد صولك * وان مددت يدك بفضل مدها * وان بدت منك ثلمة سدها * وان راى منك حسنة عدها * ان سالته اعطاك * وان سكت عنه ابتداك * وان نزلت بك احدى الملمات واساك * من لا تاتيك منه البوائق * ولا تختلف عليك منه الطرائق * ولا يخذلك عند الحقائق انتهى * وكان مراد علقمة بذلك ترك ابنه معاشرة الناس * وتقديم الوحشة على الاستئناس والا فمثل هذا لا يوجد في العباد * ولا يرى في عالم الكون والفساد * ولما سمع المامون علوية تغنى وتقول

عذيري من الانسان لا ان جفوته ... صفا لى ولا ان صرت طوع يديه
واني لمشتاق الى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال يا علوية خذ الخلافة واعطيني هذا الصاحب فليت شعري ما كان يقول لو سمع كلام علقمة الذي هو الطف من نغمات الغيد * وارق من الوجنات ذات التوريد ولكن كما قيل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء فخرا ان تعد معايبه

ويعجبني قول مؤيد الدين الطغرائي

اخاك اخاك فهو اجل ذخرى ... اذا نابتك نائبة الزمان
واذا رايت اساءة فهبها ... لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لا عيب فيه ... وهل عود يفوح بلا دخان

ولقد اجاد الصفدي بقوله

صديقك مهما جنى فعطه ... ولا تخف شيئا اذا احسنا
وكن كالظلام مع النار اذ ... يوارى الدخان ويبدى السنا

وقد ذكر العلماء للصحبة شروطا واركانا غالبها يندرج فيما ذكره بعض السادة الصوفية فانه ذكر ان الصحبة يلزمها عشرة خصال ترك الخلاف والمعاملة بالانصاف وادمان الرضى والعفو عن ما مضى والمسامحة في الخطاب والتغافل عن رد الجواب وحفظ الغيب وستر العيب واكل ما حضر وتقديم ما تيسر ثم ان قوله خف الخليط الخ خبر والمقصود منه اظهار التفجع والتحسر على حد قوله تعالى حكاية عن امراة عمران رب انى وضعتها انثى وقول الشاعر

قومي هم قتلوا اميم اخي     فلئن رميت يصيبني سهمي
واذا عفوت لاعفون جللا     ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهل الكلام يصير بهذا القصد انشاء او يبقى على حقيقته خبرا الذي قرره عبد الحكيم السالكوتي الثاني قال فيما حكي عن امراة عمران ان اللفظ مستعمل في معناه لكن لا للاعلام بل للتحسر فان اظهار المرء خلاف ما يرجوه يلزمه التحسر ومعنى قول العلامة الثاني ليس باخبار انه ليس باعلام لكون الخبر ولازمه معلوما الا انه انشاء انتهى بادنى تغيير فليحفظ فانه مهم ثم ان اظهار التفجع والتحسر هنا قد صادف المحز فان فراق الاحبة امر عظيم وخطب والله جسيم ولله در من قال

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت     لها المنايا الى ارواحنا سبلا

وقيل لصوفي لم تصفر الشمس عند الغروب فقال حذار الفراق وانشد بعضهم

لا تركنن الى الفراق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق

وقال اخر

انا ابكي خوف الفراق لاني     بالذي يفعل الفراق عليم
انا مستيقن بان مقامي     ومسير الحبيب لا يستقيم

وقال مجنون عامر

سلبت عظامي لحمها فتركتها     معرقة تضحي لذاك وتخصر
واخليتها من مخها فكانها     قوارير في اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت     علائقها مما تخاف وتحذر
خذي بيدي ثم انهضي تتبيني     بي الضر الا انني اتستر

وقال ايضا

ازمعة ليلى لبين ولم تمت     كانك عما قد اظلك غافل
ستعلم ان شطت بهم غربة النوى     وزالوا بليلى ان قلبك زائل

واطلال جمع طلل وهو كما في القاموس الشاخص من اثار الدار ويجمع ايضا على طلول ولقد ولعت الشعراء قديما وحديثا في وصفها وقال لبيد

ابن ربيعة

عفت الديار محلها فمقامها　　بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عري رسمها　　خلقا كما ضمن الوحي سلامها
دمن تجرم بعد عهد انيسها　　حجج خلون حلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها　　ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن　　وعشية متجاوب ارزامها
فعلا فروع الايهقان واطفلت　　بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على اطلائها　　عوذا تاجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كانها　　زبر تجد متونها اقلامها
او رجع واشمة اسف نؤورها　　كففا تعرض فوقهن وشامها

وقال طرفة بن العبد

لخولة اطلال ببرقة ثهمد　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن وهيب الحميري

طللان طال عليهما الأمد　　دثرا فلا علم ولا نضد
لبسا البلى فكأنما وجدا　　بعد الاحبة مثل ما اجد
حييتما طللين حالهما　　بعد الاحبة غير ما عهدوا
ايها طلول سلو غانية　　فهواك لا امل ولا فند
ان كنت صادقة الهوى فردى　　في الحب منهله الذي ارد
ادمى هرقت وانت آمنة　　ان ليس لي عقل ولا قود
ان كنت فت وخانني نشب　　فلربما لم يخط مجتهد

ولكم تتباح اليها قلوب العاشقين * وتشتاق لها افئدة المشتاقين * وما ارق قول برار بن هباش الطائي

سقى الله اطلالا بأخيلة الحمى　　وان كن قد ابدين للناس ما بيا
منازل لو مرت بهن جنازتي　　لقال صداي حاملاي انزلا بيا

(والاحباب) جمع حب بالكسر بمعنى المحبوب والجمع على حباب وحبوب وحببة محركة وحبيب بالضم عزيز او اسم جمع (وهونيت) حببت (وهوامد) جمع هامد على خلاف القياس كفارس وفوارس والهامد البالي المسود المتغير

واليابس من النبات ومن المكان ما الاثبات فيه والمعنى الاول هو الانسب بالمقام
كما لا يخفى على ذوى الافهام وحاصل المعنى يا اليف الغرام وحليف العشق والهيام
قد رحل عنا الخليل المساعف والمساعد والخليط المعاون والمعاضد * وقبضت خيام
الوصال * وتقطعت منا القلوب والاوصال * وها اطلال الاحبة هامدة *
ونيران آثارهم خامده *
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
فالحيلة فى ذلك * وكيف الخلاص من شباك هاتيك المهالك * التى ينصدع
لها الصفا * وينقطع لاجلها السرور والصفا * ولابد من شكوى الى ذى
مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع * ثم لا يخفى ما فى هذا البيت من براعة
الاستهلال * حيث دل على الغرض الذى بنيت القصيدة عليه واناخت مطايا
مطلوبها لديه وهى معترك افكار الادباء * ومشتبك اسنة افهام الشعراء *
وقد كثرت فى كلامهم * وانتشرت فى طى نثرهم ونظامهم * فمن ذلك فى النظم
قول ابى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب * حيث كان بناؤه على ذكر
الفتح والتحريض على الحرب * وكقول ابى الطيب * لا خيل عندك تهديها ولا مال *
حيث كان بناؤه على الاعتذار عن حمل تقدمة * وفى النثر كما كتبه القاضى محيى
الدين بن عبد الظاهر عن لسان السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر
الفارقانى جوابا عن مكاتبة بفتح سوس من بلاد السودان وقد استهله
بقوله تعالى * وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة * ثم قال صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثنى على عزائمه التى
واتت كل امر رشيد * واتت على كل جبار عنيد * وحكمت بعدل السيف
على كل عبد سوء * وما ربك بظلام للعبيد * وكذا ما كتبه الشيخ كمال الدين
ابن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس * وقد استهلها بعد البسملة
بقوله تعالى * ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا
مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا * ثم قال شيطان
تطلع شمس النصرة من بين قرنيه * مارد لا يصلح الا بتعرك اذنيه * صورة
مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها او الحوايا او ما اختلط
بعظم * وما كتبه القاضى جمال الدين بن نباتة فى رسالة السيف والقلم

ومبناها المفاخرة بينهما * ولما انتصب لقلم المفاخرة السيف كانت براعته ن
والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون * واستهل بعدها بقوله الحمد
لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة السيف وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز
* واستهل بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظل السيوف * ... حتفها
فى ذوى العصيان فاعتسهم منا الحتوف * الى غير ذلك مما لا يحصيه قلم *
ولا يستقصيه ناطق بفم * وفيما ذكرناه كفاية * لمن رزق الدراية ومنح
الهداية * قال الناظم

معاهدهم عاف القطين قرارة ... لديها وحاكتها الحيا المتواقد

اقول المعاهد جمع المعهد بفتح الميم المنازل وضمير الجمع للاحباب وعاف
اى كره * قال الشاعر

انى وقتلى سليكا ثم اعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر

واصله عيف قلبت الياء الفا وفاء بالقاعدة والقطين كذبيم المقيم
بالدار والساكن المستوطن فيها يستعمل مفردا وجمعا على ما فى الصحاح
والقاموس والقرار الاستقرار من قر يقر مكسورا ومفتوحا قرارا
وقرورا وقرا اذا ثبت وسكن ولديها اى عندها وذهب جمع ان لدى
اخص من عند حيث وضع للدلالة على مزيد القرب ويؤذن بذلك كثير
من موارد استعمالاته * وفى اسناد العياف الى القطين اشارة الى انه قد
حل بالدار امر عظيم * وخطب جسيم بحيث ان المستوطن عاف بها القرار *
لما اعتراه فيها من الاحزان والاكدار * ولولا ذلك لاقام * ولو ترك القطا
ليلا لنام * كيف والوطن محبوب * والمنشأ مألوف * واللبيب يحن الى
وطنه * حنين النجيب الى عطنه * والكريم لا يجفو ارضا بها قوابله *
ولا ينسى بلدا فيها مراضعه * حتى قيل من علامات العاقل بره لاخوانه *
وحنينه لاوطانه * ومداراته لاهل زمانه ولله در ابى ... حيث
قال * واحسن فى المقال

اذا ما ... اشتاق ... | فليس مكانى فى النهى ...
... الى ... اشتاق ... | غنيت بخفض فى ذراه ...

ددوم

| | |
|---|---|
| وروض رعاد بالاصائل ناظر | وغصن ثناه بالغداة قيسى |
| واني لا انسي العهود اذا انتت | بنات الهوى دون الخليط ودونى |
| اذا انا لم ارع العهود على النوى | فلست بمأمون ولا بامين |

وقد جاء في الحديث حب الوطن من الايمان * وقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصفت له مكة قبل الفتح ولا يدعو الى فراق الوطن الا النوائب والمحن * ولله در ابن عنين حيث يقول

| | |
|---|---|
| لو يخلى القطا لنام ولو خليت | ما رمت عن وجارى وجارى |
| راواني خيرت في هذه الدنيا | لما اخترت غير قوتي ودارى |

ولما سمع ابو دلف قول القائل

| | |
|---|---|
| لا يمنعنك خفض العيش في دعة | نزوع نفس الى اهل واوطان |
| تلقى بكل بلاد ان حللت بها | اهلا باهل وجيرانا بجيران |

قال هذا الخبر بيت قالته العرب وذلك لانه يدل على قلة رعايته وكثرة تنقله وتراه لا يقوم مقام الاوطان * الارباض الجنان * ولا ينسي الاهل والجيران الا الحور والولدان *

فما اعتاض المفارق عن حبيب ولو يعطى الشام مع العراق

وقال بعض الادباء كان الناس يتشوقون الى اوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك الى ان اوضحها ابن الرومي في قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف بابن ابى كامل اجبره على بيع داره وغصبه بعض حدودها فقال

| | |
|---|---|
| ولي وطن آليت ان لا ابيعه | وان لا ارى غيرى له الدهر مالكا |
| عهدت به شرخ الشباب ونعمة | كنعمة قوم اصبحوا في ظلالكا |
| وحبب اوطان الرجال اليهم | مآرب قضاها الشباب هنالكا |
| اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم | عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا |
| فقد الفته النفس حتى كانه | لها جسد ان بان غودر هالكا |

انتهى كلامه وانا اقول قد نظم هذا المعنى كثير من الشعراء فقد انشد ابو تمام صاحب الاصمعي الاعرابي

| | |
|---|---|
| الا ليت شعري هل ابيتن ليلة | [illegible] بنجد وهي خضر متونها |

| | |
|---|---|
| وهل اشربن الدهر من ماء قرية | بحسرة ليلى حيث فاض معينها |
| بلاد بها كنا نحل فاصبحت | خلاء ويرعى ها مع الادم عينها |
| تقضيت فيها بالشباب وبالصبا | بنيل بما اهوى على عضوتها |

وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

| | |
|---|---|
| الا ليت شعري هل تحنن ناقتي | ببيضاء نجد حيث كان مسيرها |
| فتلك بلاد حبب الله اهلها | اليك وان لم يعط نصفا اميرها |
| بلاد بها انضيت راحلة الصبا | ولانت لنا ايامها وشهورها |
| فقد تابها الهم المكدر شربه | ودار علينا بالنعيم سرورها |

وانشد ابراهيم بن اسحاق الموصلي

| | |
|---|---|
| الا يا حبذا احياء سلمى | وجادر باها جود السحاب |
| خلعت بها العذار ونلت فيها | مناى بطاعة او باغتصاب |
| اصون بباطلي طلبات لهوي | ويعذرني بها عصر الشباب |

فكل هؤلاء قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من لباس الشباب واستظلوه من ظله وانضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم فلا معنى لتعلق الناس في قول ابن الرومي وزعمهم انه سبق فيما لم يسبق اليه ولم يات ذهن شاعر قبله عليه لان قوله وان كان جيد المعنى سلس المبنى لكنه لم يزد فيه على ما تقدم * ولا ابدع فيما نظم * ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى ايضا

| | |
|---|---|
| هنيئا الغضا والساكنيه وانهم | شبوه بين جوانح وقلوب |
| وقصارا ايام به سرقت لنا | حسناتها من كاشح ورقيب |
| خضر تساقطها الصبا فكأنها | ورق يساقطه اهتزاز قضيب |
| كانت فنون بطالة فتقطعت | عن هجر غانية ووصل شبيب |

الى غير ذلك مما لا يحصى بل لا يكاد يستقصى * وعند السادة الصوفية ايضا الحنين الى الوطن امر مطلوب * وشيء محبوب * ولكن الوطن عندهم غير ما هو المعرف * عندنا والمألوف * وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم السابق * وقالوا المراد بذلك حب النفس وطنها الاول وعالمها القديم * وكان المشار اليه بقول قائلهم اى الغزالى عليه الرحمة

تركت هو سعدى وسلمى لعـــزل     وعدت الى مصحوب اول منزل

ومحبة هذا الوطن محبة سنيه * ومرتبة سنية * فلله درهم من رجال لا تميل قلوبهم الا لما هو من اعلى المراتب والكمال وقوله وحاكتها اى شابهتها والضمير راجع الى المعاهد او الى الاطلال على بعد وابعد منه رجوعه الى القطين على معنى الجماعة ويوشك ان لا يجوز ذلك لما فيه من التفكيك كما لا يخفى فليتأمل والحمام قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخيت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين واشباه ذلك يقع على الذكر والانثى لان الهاء انما دخلته لانه واحد من جنس لا للتانيث وعند العامة انها الدواجن فقط الواحدة حمامة قال حميد بن ثور الهلالى

وما هاج هذا الشوق الا حمامة     دعت ساق حر ترحة وترنما

والحمامة هاهنا قمرية وقال الاصمعى فى قول النابغة

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت     الى حمام شراع وارد الثمد

هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا * الا ترى الى قوله

ليت الحمام ليه     الى حمامتيه     ونصفه قديه     تم الحمام مايه

وقال الاموى والدواجن التى تستفرخ فى البيوت حمام ايضا وانشد

انى ورب البلد المحرم     والقاطنات البيت عند زمزم

قواطنا مكة من ورق الحمى     والقاطنات البيت غير الريم

يريد الحمام فحذف الميم وقلب الالف ياء ويقال انه حذف الالف كما يحذف الممدود فاجتمع الميمان فلزمه التضعيف فقلب احدهما ياء كما قالوا تظنيت وجمع الحمامة حمام وحمامات وحمائم * وربما قالوا حمام للواحد كما قال الشاعر - حماما فقرة وقعا وطارا

وقال جران العود

وذكرنى الصبا بعد التنائى     حمامة ايكة تدعو حماما

انتهى * ونقل الازهرى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه ان الحمام كل ما عب وهدر وان تفرقت اسماؤه والعب شدة الجرع للماء من غير تنفس * قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته

من غير تقطيع له قال الرافعي والاشبه ان ماعب هدر * قلوا اقتصر في تفسير الحمام على العب لكفاه يدل عليه ان الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في عيون المسائل وماعب من الماء عبا فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام ذكره العلامة الدميري وفيما نقله عن الرافعي نظر ذكره بعض المتاخرين فانظر وتامل وقوله (الفواقد) جمع فاقد او فاقدة والفاقدة هي التي تفقد ولدها او زوجها تطلق على المراة وغيرها والحمام اذا فقد الفه ناح وحرك الاشجان والاطراح * وقد تلاعبت الشعراء بذلك وتشعبوا في سلوك هاتيك المسالك وتغلموا في نوح الحمام * ما تقصف له الاوراق وتميل منه اغصان الاقلام * فمن ذلك قول عوف من قصيدة

وارقني بالري نوح حمامة   فنحت وذو البين الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة   ونحت واسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما   ومن دون افراخي مهامه فيح
الا يا حمام الايك الفك حاضر   وغصنك مياد ففيم تنوح
افق لا تنح في غير شيء فانني   بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوع وشطت غربة دار زينب   فها انا ابكي والفؤاد قريح

وانشد ابو حاتم الاصمعي لحميد بن ثور

اذا نادى قرينته حمام   جرى لصبابتي دمع سفوح
ترجع بالدعاء على غصون   هتوف بالضحى غرد فصيح
هفا لهديله حتى اذا ما   تغرد ساجعا قلب قريح
فقلت حمامة تدعو حماما   وكل الحب نزاح طموح

ولله در القاضي الارجاني حيث يقول

صوت حمام الايك عند الصباح   جدد تذكاري لعهد الصباح
علمنا الشجو فيا من راى   عجما يعلمن رجالا فصاح
الحان ذات الطوق في غصنها   تذكرني ازمان ذات الوشاح
لا اشكر الطائر ان شاقني   على نوى من سكني وانتزاح
وانما اشكر لو انه   اعارني ايضا اليهم جناح

وانشد الرياشي

| | |
|---|---|
| الا قاتل الله الحمامة غدوة | على الغصن ماذا هيجت حين غنت |
| تغنت غناء اعجميا فهيجت | نواى التى كانت ضلوعى اجنت |
| نظرت بصحراء الفريقين نظرة | الجارية توجن طرف حنت |

وانشد قسيحيع بن نبهان لرجل من بنى الصيداء

| | |
|---|---|
| دعت فوق افنان من الايك موهنا | مطوقة ورقاء فى اثر آلف |
| فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت | وشبت ضرام النار تحت الشراسف |
| بكت بجفون دمعها غير ذارف | واغرت جفونى بالدموع الذوارف |

ولابن لؤلؤ الذهبى

| | |
|---|---|
| وتنبهت ذات الجناح بسحرة | بالواديين فنبهت اشواقى |
| ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن | يعقوبها والحن عن اسحاق |
| انى تباريني جوا وصبابة | وكآبة واسى وفيض مآقى |
| وانا الذى املى الهوى عن خاطرى | وهى التى تملى من الاوراق |

ولابن عبد الظاهر

| | |
|---|---|
| نسب الناس للحمامة حزنا | وارها فى الحزن ليست هنالك |
| خضبت كفها وطوقت الجيد | وغنت وما الحزين كذلك |

ولنبهان النقعسى

| | |
|---|---|
| حمام الاراك الا اخبرينا | لمن تبكين ومن تعولينا |
| فقد شقت بالنوح منا القلوب | وابكيت بالندب منا العيونا |
| تعالى نقم ما تما للهموم | ونعول اخواننا الظاعنينا |
| ونسعدكن وتسعدننا | فان الحزين يواسى الحزينا |

الى غير ذلك وحاصل معنى البيت ان معاهد الاحباب ومنازل الاصحاب قد كره المستوطن بها قراره * واحب الساكن فيها فراره * لامردهم * وحادث عظيم هجم * وقد صارت هاتيك المعاهد * لاجتماع اسفها وفراق الفها بحال يشبهها فيه الحمام الفواقد * فهى ابدا تحن الى سكانها * حنين الابل الى اعطانها * وفى البيت على هذا التقرير * من المبالغة ما لا يخفى على خبير * بل لا يبعد ان يكون فيه الغلو المقبول * الذى ترقص له الاذهان والعقول * فهو من قبيل قول المتنبى فى ممدوحه

عقدت سناهما عليه عشيرا    لو ينبغي عنقا عليه لامكنا

واذا رجع الضمير المنصوب الى القطين كان فيه ايضا مع المبالغة الاستخدام * الذى تعقد الافهام حسرى دون غايته عند مرامي المرامز * ولكن ما تاتى له بسلاسة وسهولة كما تاتى لبعض المتاخرين * الذى سما على كثير من المتقدمين * حيث

قال

وللغزالة شيء من تلعته    ونورها من ضيا خديه مكتسب

ولعله عفى عنه لم يرده * وصدعنه لما رآه سرابا ولم يرده * لما ذكرنا فيه مع التفكيك * الذى لا يميل اليه الاكل ماثل الذهن ركيك * فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك * قال الناظم

واقوت عراص الانس منها كانما    المثيها بعد الانيس الاوابد

اقول اقوت اى خلت كقويت والعراص جمع عرصة ويجمع على اعراص وعرصات ايضا والعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والانس خلاف الوحشة وهو مصدر قولك انست به بالكسر انسا وانسة * قال الجوهرى وفيه لغة اخرى انست به انسا مثل كفرت به كفرا * وقال علماء القوم الانس مجالسة الحق برفع الحشمة وثبوت الوحدانية برفع الانتظار والضمير في منها راجع الى المعاهد والمثـ اى نزلت يقال الم به الماء اى نزل به * قال الشاعر

انى اذا ما حدث الما    اقول يا اللهم يا اللهما

وضمير بها راجع الى العراص وقوله بعد الانيس على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى بعد ارتحال الانيس او ما شاكله والانيس فعيل من الانس وهو المجالس الذى يوجد به الانس ويركن اليه * ولا يستوحش منه وفقدان الانيس مما يصعب على النفوس * ويجرعها كاسات البؤس * الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ما خرج منها الا وابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه معه ليكون له انيسا في الوحدة * ورفيقا في الغربة * وقد علمت ما كان منه عليه في الغار من الذب عنه وحراسته من الافعى وتلقى الاذى دونه * وسيأتى ان شاء الله تعالى قريبا ما ينفعك هنا * ولهذا توجع الطغرائي من

فقدانه

فقد انه حين خلا بهمه واحزانه فقال

فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا انيس اليه منتهى جزعي

وقال السراج الوراق

افردتني الايام من كل خل وانيس وصاحب وصديق
فلو انني مشيت في شمس آب لابى الظل ان يكون رفيقي

وكثير من الناس من يقدم الوحشة على الاستئناس * ويتأخر عن كل انيس * ويستغني بالوحدة عن كل جليس * لما ان المؤانس في هذه الازمان مجالس والمجالس في هذه الاوقات غير مجانس * ورضي الله تعالى عن القائل * الذي هو في ظلال العرفان قائل * وعن طرق الرشاد غير مائل

عفا الله عن هذا الزمان فانه زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق وكل صديق فيه غير صدوق

وقال الآخر

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
كلهم اروغ من ثعلب ما اشبه الليلة بالبارحة

وقال الصفدي

وجدت في عشرة صحبي اذى لما لزمت البيت في الوقت زال
يا عجبا من اشعري غدا احمد راى الناس في الاعتزال

وقال عبد المحسن الصوري

انست بوحدتي حتى لو اني رايت الانس لاستوحشت منه
ولم يدع التجارب لي صديقا اميل اليه الا ملت عنه

وقال المعتصم بن صمادح عفي عنه

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني مباديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت ارجوه لكشف ملمة من الدهر الا كان احدى النوائب

وقد اختلف العلماء في العزلة والخلطة ايهما افضل فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه والاكثرون الى تفضيل الخلطة لما فيها من اكتساب الفوائد وشهود الشعائر وتكثير سواد المسلمين وايصال الخير اليهم واهتمام الشارع صلى الله عليه وسلم بالاجتماع والخلطة امر معلوم ولهذا قال الفقهاء يجوز

تقل اللقيط من البادية الى القرية ومن القرية الى البلد ولا يجوز العكس وروى
المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذى لا يخالط
الناس * وذهب جماعة اخرون الى تفضيل العزلة لما فيها من السلامة المحققة
لكن بشرط ان يكون عارفا بوظائف العبادة التى تلزمه وما يكلف به * وقال
صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه لما سأله ما النجاة *
املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك * وقال الحسن رحمه
الله تعالى كلمات احفظهن من التورية * قنع ابن ادم فاستغنى * اعتزل الناس
فسلم * ترك الشهوات فصار حرا * ترك الحسد فظهرت مروءته * صبر قليلا
فتمتع طويلا * والقلب الى هذا اميل * لا سيما فى هذا الزمن الذى هو عيبة البلاء
والمحن * وايم الله لئن حصل بالخلطة ذرة خير فلا يبعد ان يحصل منها جبل ضير
فهى كالخمرة فى طبعها اثمها اكبر من نفعها * ولله در من قال

| | |
|---|---|
| هذا الزمان الذى كنا نحاذره | فى قول كعب وفى قول ابن مسعود |
| دهر به الحق مردود بأجمعه | والظلم والبغى فيه غير مردود |
| ان دام هذا ولم يحدث له غير | لم يبك ميت ولم يفرح بمولود |

فعليك بالاعتزال فهو فى هذا الزمان خير سنه وارفض مخالطة الانام فهى
تشعر بكل محنه ولله در فتح الله البيلونى حيث يقول

| | |
|---|---|
| يقولون وافق او فنافق فانما | على مثل ذا فى العصر كل الورى درج |
| فقلت وامر ثالث وهو او فضا | رق وهذا الافراد فهو الحرج |

ولا تظن ان الخمول عار * والاختفاء شنار * وانظر الى ما قاله ابو العباس بن خطيب
* فانه لغرض الصواب مصيب *

| | |
|---|---|
| ليس الخمول بعار | على امرئ ذى جلال |
| فليلة القدر تخفى | وتلك خير الليالى |

ويعجبنى فى الوحدة قول الصفدى

| | |
|---|---|
| كففت عن الأيام فنى وكفو | كانى بت فى خرس ورعشه |
| وكنت متيما فى كل شخص | ففندى من خيالى كيوم وحشه |

ومثله قولهم ايضا

| | |
|---|---|
| لزمت بيتى كلزوم البناء | فى الفعل والحرف على الأصل |

واستوحشه

واستوحشت نفسي حتى لقد    نفرت لو امكن من ظلي

والكلام في ذلك كثير والاوابد الوحش وهو كل شئ من دواب البر مما لا يستأنس به وحاصل المعنى ان اماكن الانس والسرور ومعاهد الفرح والحبور من ديار الاحباب * ومنازل الاصحاب * قد خلت من الانيس * واقفرت من مسامرة جليس *

امست خلاء وامسى اهلها احتملوا    اخنى عليها الذي اخنى على لبد

وكان الوحوش انسوا بها * بعد صحبها * واستوطنوا فيها * بعد اهاليها * ولعمري ان دارا فقد الحب فيها احبابه * واقوت عراص الانس منها حتى صارت بها تيك المثابة * لهي شر دار * ومعدن الانكار والاكدار * ولقد صدق ابو الطيب حيث يقول

شر البلاد بلاد لا انيس بها    وشر ما يكسب الانسان ما يصم

واين هذه الدار التي اقوت معالمها * ودرست اطلالها ورسومها * من الدار التي وصفها الحريري بقوله

وجدت بها ما يملأ العين قرة    ويسلي عن الاوطان كل غريب

والمكان الذي وصفه الآخر بقوله

فيالك من ناد غدا زينة العلا    وواسطة الدنيا وفائدة العصر

فسبحان من قادر * واذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون * ومن حكيم لا يسئل عما يفعل وهم يسألون * ثم لا يخفى ما في قوله الانس والانيس من اللطافة التي يسميها بعضهم بجناس الاشتقاق فهو على حد قوله تعالى اذا وقعت الواقعة وازفت الآزفة وقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة

الا لا يجهلن احد علينا    فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويعجبني في هذا الباب قول كشاجم في خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها في فعله لونه    لم تخط ما اوجبت القسمة

فعلك من لونك مستخرج    والظلم مشتق من الظلمة

وقال الآخر واجاد كل الاجادة

عاينت طيف الذي اهوى وقلت له    كيف اهتديت وجنح الليل مسدول

فقال انست نارا من جوانحكم    يضيء منها لدى الساري قناديل

فقلت نار الجوى معنى وليس لها ... نور يضيء فما ذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الامر واحدة ... انا الخيال ونار الشوق تخييلي

وفي قوله الانيس والاوابد ما يسمونه بملحق الطباق لانهما يرجعان الى الضدين فهو كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مما خطيئاتهم غرقوا فادخلوا نارا وقول الحماسي

لهم جل مالي ان تتابع لي غنا ... وان قل مالي لا اكلفهم رفدا

بل لا يبعد ان يكون طباقا على حد قوله

قد طال ليلي واجفاني به قصرت ... عن الرقاد فلم اصبح ولم انم

فتامل وافهم والله تعالى اعلم قال الناظم

وان اصيحابا الفت اصطحابهم ... خلت منهم يا لابرقين المعاهد

اقول ان هنا التاكيد الحكم فقط اعتناء به ومثله في الكلام كثير والاصيحاب تصغير اصحاب وهو هنا للتعظيم على حد قوله

وكل اناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الانامل

وقرينة التعظيم كان غير على والاصحاب جمع صاحب * وقال الجوهري جمع الصاحب صحب مثل راكب وركب وصحبة بالضم مثل فارة وفرهة * وصحاب بالكسر مثل جائع وجياع وصحبان * مثل شاب وشبان * واما الاصحاب فهو عنده جمع صحب مثل فرخ وافراخ * ويجمع صاحب بمعنى صحابي على صحابة ولا يجمع فاعل على فعالة الا هذا الحرف الواحد وصح عند الاخفش قاله شيخنا طاب ثراه والصحابي في عرفهم من لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومات على الاسلام ولو تخللت ردة على الاصح فقولهم من لقي يعم من لم يره ولكن اجتمع معه كابن ام مكتوم ومن اجتمع معه نسيه كثير من الصحابة لكن يخرج عنه من رآه من بعيد مثل من كان معاينه فاراه النبي صلى الله عليه وسلم من بعد * ومثل ابي الطفيل عامر بن واثلة فانه ليس الا مجرد الرؤية اما في حجة الوداع او غزوة الفتح او غزوة الحنين مع عدالة الحديث لهم في الصحابة الا ان يقال ذلك على سبيل التوسع المجاز لا على سبيل الحقيقة لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعطوا كل من رآه حكم الصحبة كما صرح بذلك ابو المظفر بن السمعاني وايدناه

بما هو مذكور في بعض كتبنا وقولهم مؤمنا به اخرج من لقيه بعد البعثة كافرا به
ومن لقيه قبل البعثة ومات كذلك على دين الحنيفية كزيد بن عمرو وابن نفيل
الذي قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث امة وحدة وعده ابو عبد الله
ابن منده له في الصحابة لعله من قبيل ما ذكرناه واخرج ايضا من لقيه قبل
البعثة ثم غاب ثم ادرك زمن البعثة واسلم ولم يره بعد اسلامه كسعيد بن حبوة
الباهلي فانه ليس بصحابي اجماعا ثم ان المراد باللقاء اعم من ان يكون بالنفس
والاختيار او بالغير والاضطرار وبالايمان اعم من ان يكون حقيقة او حكما
وتبعا ليدخل الاطفال الذين حنكهم النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن الحارث
ابن نوفل وقولهم ومات على الاسلام اخرج من لقيه مؤمنا به ثم مات كافرا
كابن خطل وربيعة بن امية وقولهم ولو تخللت ردة على الاصح معناه ولو
وجدت ردة بين لقائه النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به وموته على الاسلام
كالاشعث بن قيس فانه ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام
بين يدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه وزوجه اخته فانه صحابي ايضا وذلك
لان الردة لا تحبط العمل الا بالموت على الكفر لقوله تعالى ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم الاية وهي مقيدة للاية
المطلقة ومقابل الاصح وهو الظاهر عند ابي الفضل بن العراقي والجاري
على قول مالك وابي حنيفة ان مجرد الردة تحبط العمل قيل وهو الذي نص
عليه الشافعي في الام وحجتهم قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك فانها
تقتضي احباط العمل بمجرد الردة واجابوا عن متمسك الاولين بانه قد
رتب في الاية الحبوط والخلود في النار والوفاة عليها فيمكن التوزيع
فيكون الحبوط للردة والخلود للموت فلا يكون كل واحد من الامرين شرطا
للاحباط فيبقى المطلق على اطلاقه هذا ويعرف كون الرجل صحابيا بامور
احدها الاستفاضة كعكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه وثانيها اخبار
بعض الصحابة انه صحابي كحممة الدوسي الذي مات باصبهان مبطونا شهد له ابو
موسى الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكم له بالشهادة واحتمال
انه اراد دخوله في عموم قوله صلى الله عليه وسلم المبطون شهيد بعيد رواه
يعقوب بن سفيان في تاريخه تصريحه بصحبته وثالثها اخبار بعض

لنا بعين الثقاة بأنه صحابي رابعها اخباره عن نفسه وهو عدل عرفت
معاصرته للنبي صلى الله عليه وسلم واحتمال عدم صدقه لكونه متهما بدعوى
رتبة اثبتها لنفسه فهو كقوله انا عدل كما قال الامدى لايخفى ما فيه خامسها
التواتر كابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بوصف الصحبة في الكتاب
العزيز ايضا فقد اجمع للموالف والمخالف انه هو المراد بالصاحب في قوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقد امتاز بهذه الاية
على سائر المومنين * من اصحاب سيد المرسلين * ومما تضحك منه الثكلى
* وفساده اظهر من الشمس واجلى * ما ذكره الرافضي الغالي * يوسف
الكوفي الاوالي * في كتابه سلاسل الحديد * في الرد على ابن ابي الحديد * ما
حاصله ان هذه الاية لا تدل على فضل ابي بكر اذ لا دلالة في قوله ثاني
اثنين على شيء من ذلك اصلا لانه مجرد عدد ولا في قوله اذ يقول لصاحبه
لان الصاحب يطلق على الكافر كما يطلق على المسلم * قال تعالى قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بل على غير العاقل ايضا قال الشاعر
ان الحمار مع الحمير مطية     واذا خلوت به فبئس الصاحب
ولا في قوله لا تحزن لان الحزن ان كان طاعة فكيف ينهى عنه الرسول وان
كان معصية فكفى به ذما ولا في قوله فانزل الله سكينته عليه لان الضمير
راجع الى النبي كما يدل عليه السباق واللحاق والا لزم التفكيك وهو خلاف
الاصل انتهى وهو كلام فاسد وزعم كاسد فيا ليت هذه الاية تكفي
لصدح على افنان المدح * لانها مسوقة للتوبيخ والعتاب في ترك نصرة
ذلك الجناب * ولم يدخل ابو بكر فيما هنالك * ولم يعاتبه ربه بذلك وما
ذلك الا لنصرته له صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطرته بنفسه امامه *
ومجده تراياه واذا ادنت حمامه * وكفى به فخرا كما لا يخفى * وقوله ثاني
يدل على المدح دلالة لا مرية فيها * ولا شبهة تعتريها * لان كونه صلى الله تعالى عليه
وسلم ثانيا الا لابي بكر في ذلك الموطن الذي لا يصحب الانسان فيه الا
من يعتمد عليه * ويقاتل بين يديه * ويسعفه في الشدائد * ويسعده
في دفع المكائد * ويؤنسه في الوحدة * ويجود بنفسه بالنجدة اقوى

دليل

دليل على مدح الصديق * واتخذه رفيق * ولا يمكن ان يقال انما اخذه معه
خوفا من ان يدل الكفار عليه * ويرشدهم اليه لان دلالة الكفار متأتية
له * وان ذهب معه الى الغار بان يخبر اهله الذين تزعم الرافضة نفاقهم
لانه ذهب مع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليخبروا بذلك اولئك الاشرار *
فتقضى له المآرب والاوطار * او بان يناديهم عند وصولهم اليه هاهنا
محمد فاهجموا عليه * بل ربما يدعى ابقاؤه بمكة اولى بهذا الغرض بان
يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم وحده بلا رفيق الى جهة لا يعلم بها ابو بكر
الصديق * ويدعه بين هؤلاء الكفار حتى لا يتفقدوا عند فقده النبي المختار
* اذ يفقد الملازم بفقد الملازم وملازمة الصديق معلومة لدى العدو *
والصديق * وكذا قوله اذ يقول لصاحبه لان الاضافة فى صاحبه للعهد اى
الصاحب المعهود الذى تميز حاله على اقرانه * وارتفع شانه على سائر اخدانه
فخرج معه فى هذا الموطن الذى تظهر فيه السرائر * وتبرز ما اجنت الضمائر *
ويكون فيه للنفاق * نفاق واى نفاق * فان كان عنده نفاق لابداه * وتخلف
عنه وما والاه * فمن العهد ظهر المراد * واندفع الايراد * الصادر من محض
التعصب والعناد * ومما يدل على ذلك مدح النبى صلى الله عليه وسلم له فى
احاديث كثيرة * واخبار شهيرة * بوصف الصحبة * والايناس له فى
تلك الغربة * على ان الامير المعصوم بزعم الشيعة كثيرا ما كان يمدحه
بذلك * ويعظمه بما هنالك * وحمله على التقية * بما لا يقدم عليه ذو روية
* وكذا قوله لا تحزن لانه اشفاق عليه من هذا الحزن الذى كان لاجله
واقتضاه مضاعف المحبة * ومزايد الالفة والصحبة * حتى صار كالامر
الضرورى * والحال القهرى * وشان المحب امثال هذا الكلام فى امثال
ذلك المقام * ولا يعد الحزن عند هذه المعضلات من المعاصى والسيئات
* ولا يعد النهى عن هذا الامر الجبرى * والحال القهرى نهيا عن طاعة الا من
كثير الجهل قليل البضاعة * وقد ورد مثله فى الكتاب * خطابا ما
لسيد ذوى الالباب * الواجب العصمة عند الفريقين * والمحفوظ لدى
الفئتين * قال الله تعالى ولا تحزن عليهم ولا يحزنك قولهم فيخاطب الله تعالى
رسوليه موسى وهارون بما هو فوق وهما بالاجماع معصومان من

السلوك في سبيل المسالك * وشيء من المعاطب والمهالك * فقال تعالى خطابا لهما لا تخافا انني معكما * وفي معاملة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه كمعاملة الله تعالى له اشارة الى ان ابا بكر عنده مثله عند ربه متميزا على سائر اتباعه وصحبه * وكذا قوله فانزل الله سكينته عليه لانه اذا كان الضمير راجعا الى الصاحب على ما يقتضيه انزال السكينة لانه الخائف الحزين والحزين انما هو الصاحب كما هو نص الاية وبذلك سهل امر التفكيك لانه عند القرينة سائغ شائع كما يدل عليه الاستعمال ويشهد له التتبع فالامر واضح وان كان راجعا للنبي اجراء للضمائر على نسق واحد بحسب الظاهر فالمدح اتم لان المحتاج في هذا المقام للسكينة انما هو الصاحب فيكون في انزالها على النبي اشارة الى انهما كشيء واحد حيث ان انزالها على النبي كانزالها على الصاحب وهذا مدح لا يدرك شأوه * ولا ينال علاه * وفي قوله تعالى ان الله معنا حيث عمم المعية ولم يقل كما قال موسى عليه السلام لقومه ان معي ربي سيهدين * مما لا يخفى من الفضيلة والشرف * كما هو ظاهر لمن عرفه انصف * ولولا خوف السآمة وخلل الملامة * وملاحظة ما يقال اسنوق الجمل * وترك ما يرادمنه وعلل * لاشفينا الفؤاد * بمزيد البيان وايضاح المراد * ولكن كما قيل

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى  فؤادي ولكن للعتاب مواضع

فافهم ذاك والله تعالى يتولى هداك * واعلم انه قد شاع رواية بعض الاخبار عن جني وربما يكون ممن يدعي الصحبة * ففي قبول ذلك توقف عندي تبعا للحافظ ابن حجر لان شرط الراوي العدالة والضبط * وكذا مدعي الصحبة شرطه العدالة على ما سمعت انفا والجن لا نعلم عدالتهم ولا ضبطهم ومن هنا يعلم حال من يدعي انه تابعي لزعم ان صحابيا من الجن تمثل له فرآه ويجتمع به ويأخذ عنه ولعمري انه اذا عد ذلك حديث خرافة لم يبعد هذا ونعود الى المقصود فنقول (قوله) الفت من الالفة وهو ظاهر (واصطحابهم) اي مرافقتهم (خلت) اي فرغت ويقال خلا الشيء خلوة وخلوت به خلوة وخلا والخلوة عند القوم محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا احد وذلك عند وصوله اليه تعالى من الوجه الخاص اذ

لا واسطة من هذا الوجه بين تقييده واطلاق الحق قال العارف سيدى عمر بن الفارض رحمه الله

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفى نظرة املتها فغدوت معروفا وكنت منكرا
ودهشت بين جلاله وجماله وغدا لسان الحال عنى مخبرا
عنى خذ واونى اقتد واولى اسمعوا وتحدثوا بصبابتى بين الورى

والخلاء عند المتكلمين مقابل الملاء والكلام عليه مع طوله لا يناسب هذا المقام نعم اقول الاصح امكانه بل وقوعه وان قول من قال ان ما وراء العالم لا خلا ولا ملا ليس بالمقبول وادلة الفلاسفة على ذلك وكذا على استحالة الخلاء اوهن من بيت عنكبوت فى خلاء (والابرقين) اسم مكان (والمعاهد) تقدم معناه وحاصل معنى البيتان صحبى واحبة قلبى الذين الفتهم رافقتهم فرغت منهم المنازل بالابرقين * وقرات عليهم افواه المقادير بالحين * بعد ان كنا معهم فى روض اريض * وعيش عنه طرف الزمان غضيض

وكنا كغصنى بانة وسط روضة نشم جنى الروضات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا فردة باتت تحن الى فرد

وهذا ايضا على سبيل التفجع * والتحزن والتوجع * الذى تراكضت فى ميدانه اشعار الشعراء * وافكار الادباء * فمن ذلك قول محمد بن هانى الاندلسى من قصيدة

الا قوى المحصب من هاد ومن هيد ويودعونا الظبيات عباديد
ما انس لا انس اجفانا الحجيج بنا والراقصات من المهرية القود
وموقف الظبيات الناسكات ضحى يعثرن فى حبرات الفتية الغيد
وذات نبل ضعاف وهى قاتلة وقد يصيب كما يشيف رعديد
قد كنت قناصها اذ كنت اذعرها عند السرالف فى ايامها النكد
ورابها لون راسى انه اختلفت فيه العمائم من بيض ومن سود
والشيب يضرم فى فودى بارقه والدهر يقدح فى شنى بتبديد

وقال ابو اسحاق بن خفاجة من قصيدة ايضا

بجمت وقد غنى الحمام فرجعا · وما كنت لولا ان تغنى فاسمعا
واندب عهدا بالمشعر سالفا · وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم ادر ما ابكى ارسم شبيبة · عفا ام مصيفا من سليمى ومربعا
واوجع توديع الاحبة فرقة · شباب على رغم الاحبة ودعا
وما كان اشهى ذلك الليل موقدا · واندى محيا ذلك الصبح مطلعا
واقصر ذاك العهد يوما وليلة · واطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى عند ذكر معاهد · تسوم حصاه القلب ان يتصدعا
تحولت عنه لا اختيارا وربما · رجعت على طول التلذذ اخدعا
ومن لى ببرد الريح من ارق الحمى · وريا الخزاما من اجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد لا اتذكرا · لوانى على ظهر المطى تو جعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع · فما انفض حتى حار فارفض ادمعا
دليت تمادى عبرة مستهلة · اكفكف عنها بالبنان تصنعا

وهى وان لم تكن مما نحن فيه لكنها قريبة منه وهم يذكرون الشئ مع الشئ لادنى مناسبة وما هو من هذا الباب كثير شهير فلا حاجة لنا بالاكثار من مشهود الاشعار ثم ان هذا التوجع لفراق اولئك الاصحاب واظهار التفجع عليهم والاكتئاب لعلمهم لما طبعوا عليهم من محاسن الافعال * ومكارم الخصال * وقد قدمنا بعضا من الصفات التى ينبغى ان يكون الصاحب عليها وهى قريبة منك ان اردتها فارجع اليها وابن الاعرابى اوجز فاعجز * واختصر فبهر * وقال وما اطال *

واذا صحبت فاصحب ماجدا · ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشئ لا ان قلت لا · واذا ما قلت نعم قال نعم

وفى هذا البيت الاشتقاق كسابقه وهو ظاهر واحتمال ان يكون فيه ايضا ملحق الطباق بين قوله الفت وخلت مما لا ينبغى ان يختار كما لا يخفى على ذوى الابصار * قال الناظم

تطارحك الارزاء فى كل آنة · بفقد ولا اسفى الرحيل رواكد

اقول قوله (تطارحك) الخطاب للخدين ويحمل على بعد انه من قبيل ولو ترى وهو ماخوذ من مطارحة الكلام ومعناها ظاهر

(والأرزاء) جمع رزء وهو المصيبة ويجمع على رزايا ايضا على ما في القاموس ويفهم من ظاهر الصحاح ان الرزايا جمع رزية لا غير وهو جمع قلة وكثيرا ما يستعمل جمع القلة موضع جمع الكثرة كقوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وقوله تعالى لابثين فيها احقابا على قول وبالعكس كقوله تعالى ثلاثة قروء وفي الكلام استعارة مكنية وتخييلية

على حد قوله

وإذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع

وانت تعلم ما فيها من المذاهب الثلاث او الاربع وقد بينا الاصح منها في حواشينا على شرح مختصر السمرقندية لابن عصام فان اردته فارجع اليها نعم استنبط بعض المعاصرين الذين هم لا فنان الفنون هاصرين مذهبا خامسا فقال الذي يخطر بالبال وهو الحق ان شاء الله تعالى ان فيما يسميه القوم استعارة بالكناية من قبيل المجاز العقلي فكما انه ليس في قولنا هزم الامير الجند مجاز الا في نسبة الهزم لغير من هو له بضرب من التاويل فكذلك ليس في قولنا اظفار المنية مجاز الا في اضافة الاظفار لغير من هي له بضرب من التاويل وهو تشبيه المنية بالسبع ولست اعني التشبيه الذي يفاد بكان والكاف ونحوهما من الادوات كما يشعر به ظاهر كلام الخطيب بل تقديرا يقدره الشخص في نفسه كما يقال النحاة شبهت ما بليس فاعملت عملها يريدون بذلك تقديرا قدرته العرب في نفوسها دون التشبيه المفاد بالاداة على ما لا يخفى والله سبحانه وتعالى اعلم انتهى* واظنه لريات مما تستحسنه الاذهان مع انه علامة الزمان وال في ذلك اما الجنس وهو الاصل فيها كما ذكره غير واحد من علماء العربية او للعهد او للاستغراق على بعد (والآنة) جزء من الزمان مثل الآن* وفي بعض نسخ القصيدة الَنّة بفتح الهمزة وتشديد النون واحد الانين ولا يخفى توجيه الكلام الا انه خلاف ما سمعت من الناظم (والفن) واحد الفنون وهي الانواع والافانين الاساليب وهي اجناس الكلام وضروبه ورجل متفنن اي ذو فنون وافتن الرجل في حديثه وخطبته اذا جاء بالافانين وهو مثل اشتق* قال ابو ذويب* * *

هو الفاضل السكيلجي الموصلي صاحب الرقائق على شرح الشافية على شرح عصام الحفيد للعلامة عصام المعاصر للعلامة عبد الباقي العمري

فالتي بعد تمام الورد ناجية مثل الهراوة ثنيا بكرها ابل
قاله الجوهري والتنوين فيه للتعظيم مثله في قوله

له حاجب في كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

(والسفن) بضم السين المهملة جمع سفينة ويجمع على سفاين وسفين وهو مأخوذ من سفنه يسفنه قشره قال امرؤ القيس

فجاء خفيا يسفن الارض بطنه ترى الترب منه لازقا كل ملزق

وسميت السفينة سفينة لقشرها وجه الارض والمشهور ان اول من صنعها نوح عليه السلام بوحي من الله تعالى وتعليم وذهب غير واحد الى انها كانت قبل ذلك وان ضحك قومه عليه السلام ليس لاستغرابهم اياه بل لانه عليه السلام كان يصنعها على اليبس بعيدة عن الماء (والرحيل) كامير الارتحال والانتقال واراد به الموت وفي الكلام ما في الكلام السابق وقد شبه الموت هنا بالبحر وكثيرا ما يشبه به * قال الشاعر

الموت بحر موجه طافح يحير فيه العائم السابح

(ورواكد) اى سواكن يقال ركد الماء اى سكن وحاصل المعنى يا خدين الهوى وحليف الجوى لازالت المصائب والمحن تحط رحلك على ممر الساعات بغير فن فقد صرت درية لنبال المصائب * وغرضا لسهام النوائب * فكأن حالك ينادى ويقول لهذا الدهر المعادى * والزمان العادى

صيرتني هدفا فلو يشتفي الحيا جدني لانت تربتي بنبال

او انه يقول بلسان الحال الذى هو افصح من لسان المقال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادى في غشاء من نبال
وصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

ومع ذلك سفن الارتحال ساريه * وجوارى المنايا جاريه

وكل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة الحدباء محمول

قال فالى متى انت في سنة الغفله * وقد ضاقت اوقات المهله * وكيف تحمد بهذه الايام وحمام الحمام ناح * وغراب البين نعب في البين بالارتحال والانتزاح * ولا بد من هجوم هاذم اللذات * ومفرق الجماعات * وميتم الابناء والبنات

بالذال المعجمة كما نص عليه غير واحد فليحفظ

لاطيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته بادكار الموت والهرم

هذا وكون ذلك مراد الناظم هو الذى يلوح فى مرايا كلامه * وينتقش فى الواح الاذهان من سياق نظامه * ثم ان قوله ولا سفن الرحيل رد واكد المراد به وقوع الموت وتحقق الفوت من اجل الاحكام المعلومة لذى الخاص والعام وتاييده فى مثل قوله تعالى ثم انكم لميتون لنكتة لا يعقلها الا العالمون ولله در ابى العتاهية حيث يقول

والناس فى غفلاتهم ... ورحى المنية تطحن

وقال ايضا

ءامل ان اخلد والمنايا ... تثبن على من كل النواحى

وقال ايضا

لا انا من الموت فى لحظ وفى زمن ... وان تترست بالحجاب والحرس

واعلم بان سهام الموت نافذة ... لكل مدرع منا ومترس

ولله در ابى الطيب بقوله

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه

تبخل ايدينا بارواحنا ... على زمان هى من كسبه

لو فكر العاشق فى منتهى ... حسن الذى يسبيه لم يسبه

يموت راعى الضان فى جهله ... موتة جالينوس فى طبه

وغاية المفرط فى سلمه ... كغاية المفرط فى حربه

ولا قضى حاجته طالب ... فؤاده يخفق من رعبه

وقال عبد الله بن عبد الاعلى

ارى المرء دنيا للمنايا وما لها ... مطال اذا احلت بنفس ديونها

فما ذا لقاء الفرع من بعد اصله ... سيلقى الذى لاقى الاصول غصونها

ولعبد الرحمن العمادى الحنفى مفتى الشام * وعلامة الاسلام * قصيدة حكت رقتها النسيم * وازدرت معانيها بدر العقد النظيم * ذيل بها البيتين المشهورين للوزير لسان الدين وهما

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه

اعمى واعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامه

فاعقبها بما هو ارق من شكوى المحب وعتاب الحبيب * واحلى من الوصال على كبد الكئيب * ولرقتها واشتمالها على ما يناسب المقام * ويوقظ الغافل من سنة المنام * احببنا ان نذكر غالبها * فنقول قال بعد ذكر البيتين

وسدد او حاشر … او بما ترميكم ظلامه
لولا استقامة من هدا … فلما تبينت العلامه
ومجاور المزد المحسن فله البشارة بالسلامه
واخو الحجا في سائر الاحوال مقتفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله … يمضي ولم يقض التزامه
والجاهل المغتر من … لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من … يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من … لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش في الدنيا الدنية غير موجود الادامه
من ارضعته بثديها … في سرعة تبدي فطامه
اوعز جانبه مبيها … تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فاين من … منعته او بحت مرامه
ومن الذى وهبته وصلا ثم لم تخش انصرامه
ومن الذى مدت له … حبلا ولم يخش انفصامه
كم واحد عثرته اذ … سرته محفية الرمامه
قعدت به من حيث لم … يعلم فلم تملك قيامه
اين الذين قلوبهم … كانت بها ذات استهامه
اين الذين تفيؤا … ظل السيادة والزعامه
اين الملوك ذوى الريا … سة والسياسة والصرامه
ونواصيه حيث جمع عصرهم لهم فتامه
وتمكنوا ممن بغا … ولن تقض ما شاؤا اسرامه
وتعسفوا المال ابتدا … لهم محيا الارض شامه
حتى تقلص ظلهم … واراهم الدهر اخترامه
اين الخلائف من بني العباس البرالسنامه

اثناء ١١

اين الرشيد واهله    وبنوه اصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعفر ابنه الراقي احتشامه
والفضل مد ثمن بعو    الحي يلوم على الندامه
امراين عنترة الشجا    ع وذو المجدى كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم    ان للقبور صداء هامه
والمكثرون من الجنو    ن اذا اشتكى الفكر اقتحامه
اين القريض ومعبد    او اشعب وابود لامه
اين الاولى هاموا بسعدى او بثينة اوامامه
وبكوا المفرط جواهم    والليل قد ارخى ظلامه
وتتبعوا اثار من    عشقوا نجدا وتهامه
وتعللوا والشوق ينغلب الاراكة والبشامه
اضنى النوى قيسا فقا    سى لا عجا اغرى غرامه
وغوى هوى عيلان مسـ    ـتلذ بداعيته هيامه
اين الاكاسرة القيا    صرة المحلون العمامه
اين الذى الاهرام من    بنيانه يحكى اعتزامه
ام ابن حمدان وسيفو والوفود به ام مامه
اين الخورنق والسدير ومن يثنى بهما اوامه
ومدائن الاسكندر والآلاء لها اعلا دعامه
اين الحصون ومن يصو    ن بها من الاعدا حطامه
اين المراكب والموا    كب والعصائب والعمامه
اين العساكر والدسا    كر والندامى فى المدامه
وسقاتها المتلاعبو    ن بلب من اعطوه جامه
من كل اهيف يزدرى    للغصن اذ يثنى قوامه
ذى غرة لالا نوهما    يمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى ازراره    والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب اذا رمى    عن قوس حاجبه سهامه
ويروق حسنا اذ رنا    ويفوق ارام ابرامه

الى له تغر حلى * اذوقالمن رام ابتسامه
الى له وجه تيشب * ابلب مبصره ضرامه
استغفر الله للسعغو * وى الشرع اغتنامه
بل اين ارباب العلو * م اولو التصدى والامامه
وذوو الوزارة والكتا * بة والحجابة والعلامه

الى ان قال

والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعد * الموت اهوال القيامه
والناس يجزيون عن * اعمالهم واستقامهم
فذووا السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكى ندامه
والله يفعل ما يشا * بهم هوانا او كرامه
ويشفع المختار فيهم * حيث يبعثه مقامه
فعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبد * كانت الحسنى ختامه

انتهى ثم كون المراد بسفن الرحيل النجب التى تحمل الاحباب * وتذكى سشران الاكتئاب فيه نوع لطافه * وبعض ظرافه * ولا يبعده الاخبار عنها بولد * نعم ان هذا المعنى ليس فيه كثير جدوى بعد الابيات السابقة فليفهم والله تعالى اعلم

قال الناظم

تذير الفنا وافى ونفسك لم تكن * لتغنى واحكام القضاء نوافد

اقول (النذير) المخبر المخوف فى الابلاغ (والفنا) العدم ويطلق عند القوم على ثلاث معان الفناء عن وجود السوى والفناء عن شهود السوى والفناء عن ارادة السوى فاما الاول فهو فناء القائلين بوحدة الوجود وانما ثم غير موجود *

ان الوجود وان تعدد ظاهرا * وحياتكم ما فيه الا انتم

فهؤلاء لا يثبتون الا وجود الواجب ولا يفرقون على ما قيل بين وجود الحق ووجود الخلق الا بالاعتبار * وربما قالوا ليس فى الدار غيره ديار

ومن هنا قال الشيخ الاكبر قدس سره

ما آدم في الكون وما ابليس ⁕ ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وانت المعنى ⁕ يا من هو للقلب مغناطيس

وسبقه الى ذلك الحلاج بقوله

جحودي لك تقديس ⁕ وعقلي فيك مهوس
فما آدم الا انت ⁕ وما في الكون ابليس

وزعم بعض الناس انهم وحاشاهم ثم حاشاهم يجعلون الامر والنهي للمحجوبين عن شهودهم وفنائهم والمحجوب عندهم من يشهد افعاله طاعات او معاصي لانه في مقام الفرق فاذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية لان ذلك يستلزم مطيعا ومطاعا وعاصيا ومعصيا وهو تعدد ينافي التوحيد وهذا طور ما وراء طور العقل فلذا اطال الكلام على القائلين بذلك وعلى هولاء الطائفة سيد الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر نفعنا الله ببركاته وافاض علينا من فتوحاته واذهاننا قاصرة عن ادراك كلامه وافهامنا قاصرة عن فهم مرامه ولا اقول انه من قبيل المتشابه لان شيخنا اعلى الله درجته في اعلى عليين لم يرض به معللا له بدخول قائله تحت خيمة التكليف فلا يقاس من لا يدخل تحت التكليف وكذا لا اقول انه كلام سكر وغيبة لانهم دونوه وملأوا منه الكتب والاوراق ونشروه في الامصار والآفاق وبالجملة هذا مقام لا يسلم من الزلل فيه الا من اخذت العناية بيده واعطته الهداية قوة قدسية من مكر الشيطان وكيده والا وقع في هفة الحلول او العينية او الاتحاد وسجين السوفسطائية ارباب الجدل والعناد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومما يقضى منه العجب ان الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى حكى في بعض رسائله في هذه المسئلة عن شيخ الاسلام ابن الكمال انه قال يجب على ولي الامر ان يجبر الناس على القول بوحدة الوجود وانت تعلم ان هذا مما لا يكاد يسلم ان اريد بوحدة الوجود المعنى المشهور بين الوجودية القائلين سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها فكيف يسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدع الناس الى ذلك وهو المبعوث لتصحيح العقائد والارشاد الى التوحيد وكذا خلفاؤه الهادون المهديون واما الثاني فهو الفناء الذي يشير اليه اكثر الصوفية وحقيقته فناء ما سوى الله تعالى

عن شهودهم وحسنهم فهو غيبة احدهم عن سوى مشهوده ومحبوبه عن حبه ونحوه عن وجوده وقد يسمى مثل هذا سكرا واصطلاحا ومحوا وجمعا وقد يغلب الشهود عليه حتى يظن انه اتحد به نفسه ويتفق مثل ذلك في المحبة المجازية فضلا عن الحقيقية كما يحكى ان مجنون عامر سئل الحب ليلى فقال ومن ليلى انا ليلى وان رجلا القى محبوبه نفسه في الماء فالقى المحب نفسه وراءه فقال له ما الذى اوقعك فى الماء فقال

لقد غبت بك عنى فظننت انك انى

وهذا اذا عاد عليه عقله يعلم انه كان غالطا وان الحقائق متميزة في ذاتها متباينة في صفاتها واين التراب من رب الارباب ولكن في هذا الحال العزيز يغيب عن هذا التميز فيعذر رفقا بما يقوله من الكلمات ويرفع عنه قلم المؤاخذة في هاتيك الشطحات مثل قول بعضهم انا رب الارباب انا منشئ السحاب ونسبة ذلك الى على رضى الله تعالى عنه لا يصح وقول الاخر ما في الجبة الا الله وسبحانى ما اعظم شانى وللعلماء في امثال ذلك تاويلات دفعوا بها الاعتراض عن اولئك السادات واما الثالث فهو خواص العارفين والائمة المقربين وذلك ان صاحبه يكون شائما برق الفناء عن ارادة ما سواه * سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه * فانيا بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلا عن ارادة غيره * قد اتحد مراده بمراد محبوبه اعنى المراد الدينى الاثرى الامرى لا المراد الكونى القدرى فصار المرادان واحدا مع تباين الارادتين وحصول التفرقة في البين فلا يحب الا الله ولا يبغض الا فيه ولا يعطى ولا يمنع الا له ولا يرجو الا اياه ولا يستعين الا به هدانا الله تعالى واياك لذلك ووفقنا الله للسير والسلوك في احسن المسالك وكم للعلماء في هذا المقام من رسالة اوقدوا فيها للسالك بزيت الحق ذبالة وسيأتى ما ان شاء الله تعالى عند قول الناظم مقامك جمع الجمع الخ ما يورث العين قرة والقلب مسرة مما يتعلق بهذا المقام ويبرى السقام ويروى الاوام ثم المراد بنذير الفناء هنا الشيب ففى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال اكثم بن صيفى الشيب عنوان الموت وقال الحجاج بن يوسف الشيب نذير الاخرة وقال العتابى الشيب نذير المنية وقال محمود الوراق الشيب احدى الميتتين

وقال ابن المعتز الشيب اول مواعيد الفناء ولله در ابن الرومي حيث يقول

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا ... لمن قد اضلته المنايا لياليا
أمن بعد ابداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ... لشخصي اخلق ان يصبن سواريا
وكان كرام الليل يرمي ولا يرى ... فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

وقال الشهاب الخفاجي

لعمرك لقد خط المشيب بمفرقي ... رسائل تدعوا كل حي الى البلا
ارى نسخة للعمر سودها الصبا ... وما بيضت للشيب الا لتنقلا

وللارجاني انشده في كتابه مغاني المعاني

وقد علت غبرة الشيب الشبيبة لي ... فبت للاجل المكتوب مكتئبا
كتاب عمري الليالي تربته وما ... أدنى المترب ان تلقاه منطويا

وقال الصفدي بمعناه واجاد

اذا كتب الشباب سطور مسك ... واتربهن كافور المشيب
فيا اسفي وما اسفي وحزني ... سوى طي الصحيفة عن قريب

وقال محمد بن قاسم الحلبي من قصيدة

شعر المرء نسخة العمر والا ... يام فيها من أصدق الكتاب
فاذا تم منه ما كتبته ... تربته من شيبه بتراب

وقيل وكثيرا ما يشبه الشيب بالغبار وهو تشبيه تستحسنه الافكار ولله در ابن المعتز حيث يقول

صدت سعاد واذمعت هجري ... ووصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها ... هذا غبار وقائع الدهر

وما الطف قول الشهاب

ليل الشباب تولى ... والشيب صبح تألق
ما الشيب الا غبار ... من ركض عمري تعلق

وطالما تحسر الناس على فقد الشباب وكثر منهم عليه الاكتئاب وحزنوا على نزول الشيب ورأوا ان ذلك اكبر عيب انشد ابن الرومي

يا شبابي وأين مني شبابي ... آذنتني أيامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي ... تحت أفنانه اللذاذ الرطاب
ومعز عن الشباب مؤاس ... بمشيب اللدات والأصحاب
قلت لما انتحى بعيد أساءت ... عن مصاب بشبابه فصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

ومما أظرف ما رواه أبو بكر بن رويد قال حدثنا العكلي عن ابن أبي خالد عن الهيثم بن عدي قال دخل الخيار بن أوفى النهدي على معاوية فقال له معاوية يا خيار كيف تجدك * وما صنع الزمان بك فقال يا أمير المؤمنين صدع الدهر قناتي وانكسف لذاتي * وأوهى عمادي * وشيب سوادي * وأسرع في تلادي * ولقد عشت زمانا أصبي الكعاب * وأسر الأصحاب * وأجيد الضراب * فبان ذلك عني * ودنا الموت مني * وأنشأ يقول

عمرت زمانا يرهب القرن جانبي ... كأني سقيم بأسل القلب خادر
يخاف عدوي صولتي ويهابني ... ويكرمني قومي وجاري المجاور
وتصبي الكعاب للتي وشمائلي ... كأني غصن ناعم النبت ناضر
فبان شبابي واعترتني رعشة ... كأني قناة أطرتها المأطر
أدب إذا رمت القيام كأنني ... لدى المشي قرم قيده متقاصر
وكيف يلذ العيش من ليس زائلا ... رهين أمور ليس فيها مصادر

فقال معاوية أحسنت القول واعلم أن لها مصادر فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصادرين عنها بخير فانظر كيف توجع من نزول الشيب وتفجع على ارتحال الشباب وجعل ذلك عنوان الموت وترجمة العنوت ولله در الإمام الشافعي حيث يقول

أيا بومة قد عششت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها
رأيت خراب العمر مني فزرتني ... ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ما حل عارضي ... طلائع شيب ليس يغني خضابها
وعزة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفس تولى شبابها
إذا اصفر منه اللون وابيض شعره ... تنغص من أيامه مستطابها

وقال الطائي

نعم

لعب الشباب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا
يا سنيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا
لو راى الله ان فى الشيب فضلا جاورته الابرار فى الخلد شيبا

ولنظام الحداد واجاد

طراز مشيبى فى عذارى له نقش وفى كبدى منه جروح لها ارش
اذا نظرت ليلى اليه تهددت وبادر من اطاراد معها الحارش
ولو شئت اخفاء لخضاب وانما ابى انفى من ان يداخلها غش
فقلت لها يا ليل ان شاب عارضى فما شاب لى عزم ولا وهن البطش
وما تنكرى من نهضتى ما عرفته وما هى الا فوق ما عهد الفرش
فلم يثنها ما قلت حتى كأنما كلامى سرقابلت لفظه الطرش
وقالت اقلنى انما كل شعرة لشيبك افعى فى فؤادى لها نهش
اذا المرء خانته الشبيبة واشتهى الى الشيب فالاولى تحته النعش

وللناس فى ذم الشيب ومدح الشباب شئ كثير لا يدخل تحت الحساب ولا يمكن ان يحيط به دائرة كتاب ولكن بعضهم اظهر مدحه وستر عيب الالفاظ قبحه واراد ان يصلح بصالح الشعر فساد الشعر وهيهات ان يصلح العطار ما افسد الدهر .

قال ادعبل الخزاعى

اين الشباب واية سلكا لا اين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى
يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر وجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعرى كيف نومكما يا صاحبى اذا دمى سفكا
لا تاخذا بظلامتى احدا قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

وقال ابن الانبارى انشدنى ابى

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت فى خلالها الانوار

وقال البحترى من ابيات

عذلتنا فى عشقها ام عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

وَرات لمة المرء بها الشيب فريقت من ظلمة الى شروق
ولعمري لولا الأقاحي لابصرت انيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء اولى بصبوح مستحسن وغبوق
اي ليل يبهى بغير نجوم او سماء تندى بغير بروق
وما انصف قول مسلم بن الوليد
الشيب كره وكره ان نفارقه فاعجب لشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب فيأتي بعده بدلا والشيب يذهب مفقودا بمفقود
ونحوه قول بعضهم فيه
ولي صاحب ما كنت اهوى اقترابه فلما التقينا كان اكرم صاحب
عزيز علينا ان يفارق بعد ما تمنيت دهرا ان يكون مجانبي
وكان بعضهم لمزيد كراهته اياه ومزيد حبه للشباب يهرع الى ستره باكفان الخضاب وبعضهم على كراهته اياه لا يرخي عليه من الخضاب الستور ويقول ان الخضاب من شهود الزور ولقد احسن ابن الاصفهاني في قوله
في مشيبي شماتة لعدائي وهو ناع منغص في حياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه لي انس الى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر اني ما تطلبت حلية الغانيات
انما رمت ان يغيب عني ما تريه كل يوم مرآتي
وهو ناع الى نفسي ومن ذا سره ان يرى وجوه النعاة
ومن الناس الاكياس منهم والاوباش من يتلقى مقدمة جيشه بالمنقاش وما درى ذلك المسكين ان هاتيك الشعرات البيض كحبال السحرة ما يدفع المنقاش منها بوسايل اذا اراد لهاد واء فليسأل الله تعالى ان يرزقه قلب هارون فيدعو من صميم قلبه ان يتداركه بمعجزة موسى وما الطف قول كشاجم
اخي قم فعاونني على نتف شيبة فاني منها في عذاب وفي حرب
اذا ما مضى المنقاش باتي لها التقت وقد اخذت منه وتهاجرت تنجب
كجان على السلطان يجري بذنبه تعلق بالجيران من شدة الرعب
وهذا النتف شرعا حرام واما الخضاب فبالحنا ونحوها سنة وبها وبالكتم

وهو

*وهو الوسمة قيل حرام ايضا والارجح عندي عدم الحرمة وقد الف بعض اجلة مشايخنا رسالة في ذلك ذكر فيها ان جملة من الصحابة نحو خمسة وعشرين منهم ابو بكر رضي الله عنه كانوا يخضبون بالكتم فليحفظ وبعضهم لمزيد جزعه على الشباب هجاه ولو فتشت قلبه لوجدت حبه كينا في صميم سويداه فقال

لا اقل الشباب في رعية الله ولا حفظه غداة تولى
زائرا زارنا اقام قليلا ... سود الصحف بالذنوب وولى

وقال ابو العلا المعري

خبريني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيب
أضياء النهار ام وضح اللؤلؤ ... أم كونه كثغر الحبيب
واذكري لي فضل الشباب وما ... يجمع من منظر روق وطيب
غدره بالخليل ام حبه الغي ... أم انه كدهر الاديب

وبعضهم عدل بين الشباب والشيب فمدح كلا منهما فقال

وكان الشباب الغض لي فيه لذة ... فزحزحني عنه المشيب وادبا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى ... واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

والكلام في هذا المقام كثير ولا ينبئك مثل خبير وقوله في البيت (واتى) اي اتى وهذا اما حقيقة او مجاز على حد قوله ونفخ في الصور وقوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه (والنفس) لها معان مختلفة واطلاقات في التصرف متباينة فاحدها نفس الانسان وغيره من الحيوانات وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وهذا المعنى هو المراد هنا وهي والروح عند الجمهور شيء واحد وقال بعض بانتغاير والتحقيق انهما يتغايران تارة ويتحدان اخرى فالروح تطلق على هذا المعنى كثيرا وتطلق على القران وعلى جبرائيل عليه السلام وعلى غير ذلك ولكن غالب ما تسمى نفسا اذا كانت متصلة واما اذا اخذت مجردة فتسمية الروح اغلب عليها ذكره ابن القيم وهي واحدة وقيل اثنتان احدهما نفس اليقظة والاخرى نفس الحياة وقيل للمؤمن ثلاثة ولغيره واحدة وقيل للانبياء والصديقين خمسة ارواح وغيرهم ليس كذلك وقيل غير ذلك ولا يصح من ذلك شيء وقد برهن المتكلمون على انه لا يتعلق ببدن واحد اكثر من نفس واحدة وعلى انه

لا تتعلق نفس واحدة باكثر من بدن واحد واطال الرازي الكلام على ذلك في كتاب
المباحث المشرقية ويشكل على الثاني الظاهر ما يحكى عن مولانا جلال الدين
الرومي وقضيب البان الموصلي وغيرهما من الاكابر من تعدد اشخاصهم في زمان
واحد وامكنة متعددة فامعن النظر في ذلك والله تعالى الهادي لاوضح المسالك
ومحل هذه النفس عند الغزالي وجمع القلب واستدلوا بما رواه ابن عساكر ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاما النفس ففي القلب والقلب بالنياط
والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب تقطع العرق وهذا الحديث مرسل
وقال ابن حجر في الاصابة غريب واسناده ضعيف جدا وقد اضطربت الاقوال في
تفسير الروح التي هي النفس اضطرابا كثيرا لا يحيط بنطاق الكلام ولا يتسع له هذا المقام وما عليه
المعول انها جسم لطيف مخالف الماهية هذا الجسم المحسوس نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في
جوهر الاعضاء ويسري فيها سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم فهي على هذا جسم حالة في البدن
وذهب بعض الاجلة كحجة الاسلام الغزالي الى انها مجردة وان في قوله تعالى قل
الروح من امر ربي اشارة الى ذلك وانها ليست داخل البدن ولا خارجه وكون
الله تعالى بالنسبة الى العالم كذلك لا يخدش وجه ليس كمثله شيء والدخول
والخروج عنده مجاز عن التعلق بالبدن وانقطاعه وعلى هذا الطرز يقول ما
يشبه ذلك وهي مخلوقة باجماع المسلمين لله تعالى الحمد ثم لا قديمة كان الله سبحانه
وتعالى ولم يكن شيء غيره خلقها جل وعلا عند معظم اهل السنة مع الجسد
عند تمام استعداده لها وهو مذهب ارسطو من الفلاسفة وذهب حجة
الاسلام الى انها مخلوقة قبل الاجساد لحديث خلق الله الارواح قبل الاجساد
باربعة الاف سنة وحمل ان صح على ان المراد بالارواح فيه الملائكة عليهم
السلام ومذهب افلاطون على صحة ورودها منه تعالى قبل الابدان لكنها
قديمة بالزمان وهي عندهم وكذا عند المسلمين متناهية بيد انه يقول
على ما شاع عنه بالتناسخ والكلام في ذلك كثير ولابن التلمساني في ذلك
كتاب كبير ولعمري لقد اتى فيه بالعجب العجاب ولم يدع بعده مقولا لاولي
الالباب فارجع اليه والثاني من المعاني ذات الشيء كقولهم قد بلي ذلك
فلان نفسه اذا تولى فعله بذاته والثالث الانفة كقولهم ليس لفلان نفس
اي لا انفة له والرابع الارادة كقولهم نفس فلان في كذا اي ارادته في

وفي رواية بسبعين الف سنة

المعرفة

الممزق العبدي ويروى لجعفر بن حمادى البارقي

الا من لعين قد نآءها حميمها * وارقها بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال كثير

فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة من الياس ما ينفك هم يعودها
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظا حسودها

والخامس العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اى عين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد . وقال ابن الاعرابي النفوس الذى يصيب الناس بالعين * وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فاسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد

والسادس القدر من الشئ يقال اعطنى نفسا من دباغ اى قدر ما ادبغ به مرة والسابع الغيب ومنه عند بعضهم قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وفسرها بعضهم فيه بالذات وبعضهم بالنفس بالمعنى الاول والمراد بنفسك هي نفس عيسى عليه السلام التي عبر عنها اولا بنفسي لكن اضافها اليه تعالى باعتبار انها مخلوقة له سبحانه ففي الاية اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما فيها فافهمه فانه دقيق والثامن الدم في الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا ماتت فيه والتاسع العقوبة ومنه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فليحفظ وقوله لم تكن لتفنى اراد بها انها باقية على ما هي عليه في زمن الصبا وهاتيك الايام من رشف قداح الافراح * ومدام الغرام واحتمال ان يكون المراد ان النفس لا تفنى كما ذهب اليه الملل من المسلمين وغيرهم بل تبقى بعد فراق البدن منعمة او معذبة فهي مستثناة من عموم قوله تعالى كل من عليها فان كما قيل في الحور العين والولدان بعيد عن مذاق الكلام كما لا يخفى على ذوى الافهام نعم يحتمل احتمالا غير بعيد ان مراده بالفناء ما هو في اصطلاح القوم يعنى ان نذير الموت حل بربعه * ومع هذا لم تكن فانيا بربك * ذاهلا عما سواه * غير قاصد الا اياه *

او الاحكام الاقضية وهى جمع حكم وهو عند الاصوليين خطاب الله تعالى* المتعلق بالمكلفين والكلام عليه كالكلام على الحكم عند اهل الميزان يطلب فى غير هذا المكان والقضاء قيل الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص فى ام الكتاب اولا ثم فى اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال وهو غير القدر لانه تعلق الارادة بالاشياء فى اوقاتها وهو تفسير قضائه السابق بايجادها فى المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى ام الكتاب بلوح القضاء واللوح بلوح القدر وقوله (نوافذ) اى ذواهب واراد ان احكام القضاء لا ترد وسهامه لا تصد وهذا هو المشهور لدى الجمهور ولكن ذلك فى القضاء المبرم والحكم المحتم واما القضاء المعلق فيعتريه التغيير والله على كل شئ قدير* وانقسام القضاء الى مبرم ومعلق هو الذى ذهب اليه المعظم ونسب الى القطب الربانى سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره انه لا شئ من القضاء بمبرم بل يفعل الله تعالى ما يشاء ويحكم ما يريد وما يحكى عن بعض الاجلة من ان له تعالى نقض المبرم يرجع فى الآخرة الى نفي القضاء المبرم فتامله ( وحاصل معنى البيت ان نذير الهلاك اقبل اليك اتاك ونفسك باقية على حب اللذات* ومعانقة ابكار الشهوات* وهذا امر لا يليق وخروج عن جادة الطريق كيف واحكام القضاء لا يردها راد* ولا يصدها صاد فالى متى انت باهل باصلاح نفسك غافل عن حلولك فى رمسك واتحادك مع الماء جنسك كان لسان حالك يقول

لا انتهى لا انثنى لا ارعوى ... ما دمت فى قيد الحياة ولا اذا

ولله در من قال

كم الى كم لا ترعوى عن قبيح ... كسرت بالمشيب تلك القداح
انت فى الاربعين مثلك فى الخمسين قل لى متى يكون الفلاح

وقال الآخر

سوفت بالتوبة اذ لم تشب ... والآن قد شبت فما تنتظر
ا بعد شيب الراس لا ترعوى ... وبعد فوت العمر لا تنزجر

والنظم فى هذا المعنى شهير والكلام فى شرح هذا البيت يحمل كتابا ضخما وسفرا كبير وما كل ما يتمنى المرء يدركه ولا كل طريق يجب ان يسلكه* وما الا يدرك

لثن هتفت ورقاء سعدك بالمنى   فلم تنف عن حد الحتوف الحداثد
ثم تنف عن حد الحتوف الحدائد



لا يترك فافهم والله تعالى اعلم واحكم قال الناظم

لئن هتفت ورقاء سعدك بالمنى   فلم تنف عن حد الحتوف الحدائد

اقول (هتفت) من الهتف وهو الصوت يقال هتفت الحمامة تهتف هتفا اذا صاتت (والورقاء) الحمامة وكثيرا ما تستعمل في الكلام ويذكرها في شعره الخاص والعام وقد قدمنا نبذة من ذلك ولله در الطغرائي حيث يقول سالكا

هاتيك المسالك

ابكية صدحت شجوا على فنن   فاشعلت ما خبا من نار اشجاني
ناحت وما فقدت الفا ولا فجعت   فذكرتني اوطاري واوطاني
طليقة من اسار الهم ناعمة   اضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدي وفي طربي   هيهات ما نحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها اثر   من نار قلبي ولا من ماء اجفاني
يا ربة البانة الغناء يحضنها   خضر تلتف اغصانا باغصان
ان كان نوحك اسعادا لمغترب   ناء عن الاهل ممنو بهجران
فقارضيني اذا ما اعتادني طرب   وجدا بوجد وسلوانا بسلوان
اولا دعيني حتى استعين بمن   يعنيه شاني ويأسو كلم احزاني
ما انت مني ولا يعنيك ما اخذت   مني الهموم ولا يدريك ما شاني
كلي الى الغيم اسعادي فان له   دمعا كدمعي وارنانا كارناني

وقال اخر

تشابهني الورقاء في النوح والاسى   لانا كلانا في الهوى فاقد الفا
ولو كانت الورقاء مثلي حزينة   لما طوقت جيدا ولا خضبت كفا

(والسعد) اليمن وفي الكلام من الاستعارة ما لا يخفى وقوله (بالمنى) اي المامول على حذف مضاف اي حصول المنى وقوله (فلم تنف) اي فلم تطرد دليل الجواب لان ولئن بجواب لهما كما لا يخفى فهو مثل قوله تعالى وان يمسسك الله بخير فهو على كل شيء قدير وقوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل والحد بالحاء المهملة البأس (والحتوف) بضم الحاء المهملة والتاء المثناة جمع حتف وهو الموت قال حنش بن مالك

فنفسك احرز فان الحتوف   ينائن بالمرء في كل واد

والجمع باعتبار تعدد الموت في حالة وقيل باعتبار تعدد اسبابه

فمن لم يمت بالسيف مات بغيره • تعددت الاسباب والموت واحد

وزعم بعضهم ان المراد بالحد حد السيف واضافته الى الحتوف لتشبيهها بالسيوف وهو كما ترى والموت وجودى عند البعض بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وعدمى عند الاكثرين ومعنى خلق قدر وهو عند القوم قمع هوى النفس وهو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا واشار اليه افلاطون بقوله مت بالارادة وينقسم عندهم الى اقسام الاول الموت الابيض وهو الجوع لانه ينور الباطن ويبيض الفطنة ومن مات بطنته حييت فطنته والثانى الموت الاخضر وهو لبس الرقع والخرق الملقات التى لا قيمة لها واذا قنع من اللباس بذلك فقد مات الموت الاخضر لاخضرار عيشه بالقناعة ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتى الذى حيى به واستغنى عن الجمال العارض كما قيل

اذا المرء لم يدنس عن اللؤم عرضه     فكل رداء يرتديه جميل

ولما روى الشافعى رضى الله تعالى عنه فى ثوب خلق لا قيمة له فعاب بعض الجهال بذلك فانشد

لئن كان ثوبى فوق قيمته الفلس     فلى فيه نفس دون قيمتها الانس
وثوبك شمس تحت انوارها الدجى     وثوبى ليل تحت ظلمته الشمس

والثالث الموت الاسود وهو احتمال اذاء الخلق لانه اذا لم يجد فى نفسه حرجا من اذاهم ولم يتألم نفسه بل يلتذ لكونه يراه من محبوبه كما قيل

اجد الملامة فى هواك لذيذة     حبا لذكرك فليلمنى اللوم
اشبهت اعدائى فصرت احبهم     اذ كان حظى منك حظى منهم
واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا     ما من يهون عليك ممن يكرم

فقد مات الموت الاسود وهو الفناء بالله تعالى لشهود الاذاء منه برؤية فناء الافعال فى فعل محبوبه بل برؤية نفسه وانفسهم فانين فى المحبوب وحينئذ يحيى بوجود الحق من امداد حضرة الوجود المطلق فلتفهم فانه نفيس واراد بالحدائد السيوف وحاصل معنى البيت لئن هتفت

حمامة سعدك بحصول املك وقصدك فلا تغترن بذلك واياك ان تدع السلوك فى هاتيك المسالك اذ لا بد من وقوع الموت وتحقق الفوت ولا ترد جيوش الحتوف بكتائب الحدائد الحديدة والسيوف

لا سابغات ولا جأواء باسلة　　تقي المنون لدى استيفاء آجال

ولله در العباس بن السعلب

لنا نبعة كانت تقينا فروعها　　وقد بلغت الا قليلا عروقها
واذا لتستحلي المنايا نفوسنا　　وتترك اخرى مرة لا نذوقها
وشيب راسي قبل حين مشيبه　　رعود المنايا بيننا وبروقها
رايت المنايا باديات وعودا　　الى دارنا سهلا الينا طريقها
وقد قسمت نفسي فريقين منهما　　فريق مع الموت وعند فريقها
وبينا ترجي النفس ما هو نازح　　من الامر لاقت دونها ما يعوقها

وقال الآخر

تنام ولا تنام عنك المنايا　　تنبه للمنية يا نؤوم
سل الايام عن امم تقضت　　ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد فى دار الرزايا　　وكم قد رام غيرك ما تروم
لامر ما تصرفت الليالي　　لامر ما تقلبت النجوم

وقال ابو العلا المعري من قصيدة

غير مجد فى ملتي واعتقادي　　نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير فى كل ناد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملا الرحب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطي ما اظن اديم　　الارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الآباء والاجداد
سر ان اسطعت فى الهواء رويدا　　لا اختيالا على رقاب العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا　　ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين　　فى طويل الازمان والآباد
فاسال الفرقدين عمن احسا　　من قبيل وآنسا من بلاد

كم اقاما على زوال النهار . وانار المديح في سواد
تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد
ان حزنا في ساعة الموت اضعا ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد
ابنا آل الهدى اسعدا ني اوعد ني قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الاوان الخالي اودى من قبل هلك اياد
بيد اني لا ارتضي ما فعلتن واطواقكن في الاجياد
فتسلبن واستعرن جميعا من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبن بشجو مع الغواني الخراد

ثم شرع في الرثاء فقال

قصد الدهر من ابي حمزة الاوا ب مولى حجى وخدن اقتصاد

الى آخر ما قال وكل الألسنة ناطقة بمضمون ما نطق به لقائل وان الموت لاشك على كل انسان هاجم وهيهات ان تغني السيوف عن الحتوف او يرد الحمام الاسنة والسهام

وبينما المرء في الاحياء مغتبط اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير

وكم قد راينا من ترعت له كاسات الآمال ونال من الاماني ما نال *
** اتته المنايا بغتة * فلم يستطع منها فلتة ****

ومما يحكى ان سليمان بن عبد الملك استدعى يوما الجارية التي على خزانة ملابسه فقال لها ايتيني اليوم بثياب صفر فاتته بحلة صفراء وعمامة صفراء وطيلسان اصفر من احسن ما يكون فتنظف ولبس وتطيب واستدعى صاحبة الوجه فجاءته بالمرآة فراى وجهه وما عليه من البزة الفاخرة ونضارة الملك فاعجبته نفسه وقال والله لاخرجن اليوم على الناس واصعد للمنبر واتكلم من حسن الكلام ما يليق بهذه الحالة وخرج يتبختر في مشيته زهوا وعجبا بنفسه فتعرضت له جارية

بعرفها من جواريه فخدمت وسلمت وقالت ما احسن هذه الحالة التي انت فيها لو تبقى وانشدت

ليس فيما بدا لنا منك عيب ‌‌‌‌‌‌ عابه الناس غير انك فانى
انت نعم المتاع لو كنت تبقى ‌‌‌‌‌‌ غير ان لا بقاء للانسان

فقال لها سليمان يا فلانة ما حملك على هذا فى هذا الوقت وتغير عليه الحال ثم انه اكذب نفسه وتحامل على عقله بهواه ومضى لوجهه حتى خرج على قومه فى زينته فاعجب الناس به وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه بصوت يستوى فى سماعه اقصى من فى المجلس وادناه وابلغ واسهب واطنب فاعجب واوجز فاعجز فبينما هو فى اطيب ما يكون من الكلام اخذته الحمى فتحامل عليها فما زالت تخفض من صوته ما ارتفع حتى وقع مغشيا عليه ثم افاق فحمل الى منزله ورجلاه تخط الارض ضعفا وقوة مرض فلما دخل منزله استدعى الجارية التى تعرضت له عند خروجه بالبيتين فى صحن الدار فحضرت بين يديه فقال لها يا فلانة اعيدى على ما قلتي عند خروجي فقالت له ما اعرف ما تقول والله ما تعرضت اليك وكيف اجترئ على التعرض بك فى صحن الدار ولنستشهد بتى فعلم سليمان ان نفسه نعيت له فاوصى ولبث اياما فمات ولذلك نظائر لا تحصى واشباه لا تستقصى فليست هذه باول قارورة كسرت ولا باول صحيفة نشرت نسأل الله تعالى ان يوفقنا لمراضيه ويجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه

* قال الناظم

هو الزمن العادى وصارمه الردى ‌‌‌‌ واجالنا الحد منه معاضد

اقوله (هو) قيل اى ما تعلموا لتركيب نظير قوله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا وقد قال الزمخشرى فى الضمير فيه هذا ضمير لا يعلم ما يفسره الا ما يتلوه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وتحقيق الكلام فى ذلك فى محله (والزمن) كثير الوقت وقليله وهو عندنا عبارة عن متجدد يقدر به متجدد اخر واشتهر عن الفلاسفة انه مقدار حركة الفلك الاعظم الذى هو العرش بلسان اهل الشرع فيما يزعم

هو الزمن العادى وصارمه الردى واجالنا الحد منه معاضد

يبغض الناس وكثيرا ما تقع هذه العبارة فى كتب اهل السنة وهو من اشتباه المذهبين كما لا يخفى على من حقق كلام الفريقين (والعادى) الظالم الذى يعترض الناس ومنه قولهم اسد عادى او من عدا على الشئ اذا اختلسه ولعله اظهر والصارم السيف القاطع كالصروم (والردى) الهلاك (واجال) جمع اجل وهو مدة الشئ ويقال للوقت المقدر للموت وهو واحد على الصحيح وزعم الكعبى انه يتعدد فللمقتول عنده اجلان القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو الموت وزعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين واجالا اخترامية بحسب الآفات والامراض والمقتول عندنا ميت باجله لانه مقطوع اجله عليه لان الله تعالى حكم باجال العباد على ما علم من غير تردد فيه بانه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واحتج المخالف بالاحاديث الواردة فى ان بعض الطاعات كالصدقة وصلة الرحم تزيد فى العمر وبانه لو كان ميتا باجله لما استحق القاتل ذما ولا عقابا ولا دية ولا قصاصا اذ ليس موت المقتول بخلقه ولا بكسبه واجيب عن الاول بان الله تعالى كان يعلم انه لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين سنة مثلا لكنه علم انه يفعلها ويكون عمره سبعين سنة فنسبت هذه الزيادة الى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى انه لولاها لما كانت هذه الزيادة وعن الثانى ان استحقاق القاتل ما ذكر تعبد لارتكابه المنهى وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق العادة ثم انا لا نجزم انه لو لم يقتل لمات بجواز ان يكون الامر معلقا فليفهم (والحد) من كل شئ حدته وضمير (منه) راجع للصارم (والمغامد) جمع مغمد مكان الاغماد وهو جعل السيف فى الغمد اى الجفن وحاصل معنى البيت هذا هو الزمان العادى على النفوس * والمختلس لها بيد الهلاك والبوس * واجالنا مغامد سيوفه وقبور حتوفه * كم قد خرب ديارا عامرة وامضى حياضا كانت بسلسبيل المسرة غامرة * وسلب ارواحا مرتاحة فندموا ان قدموا على ما قدموا وجعلوا يصفقون الراحة على الراحه * وحكى بعض الصالحين

ز القاموس الحد الحاجز
ئين ومنتهى الشئ
الشئ حدته
يد

قال

قال مررت بدار في الكوفة وقد خيم عليها ونعمها ونعيمها وذهب عنها ترحها وهمومها وبين يدى بابها عبيد وغلمان * كأنهم اغتنموا الفرصة فرجوا من الجنان * وفي بعض غرفها جارية تغنى وتنشد

الا يا دار لم يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف ... اذا ما الضيف اعوزه المكان
وربك سيد وجناك دان ... وجارك في فنائك لا يهان

قال فتركتها ومضيت الى حال سبيلى ثم مررت عليها بعد ذلك فاذا معالمها دارسه * ومحاسنها طامسه * واوجهها عابسه * ويد الغير لها لامسه * وليس بها انيس ولا انسه * قد هجر بابها * وذهب حجابها * وتفرق اصحابها * ونسخت اى عماراتها من كتابها * وعبثت يد البلا بها

ذهبت محاسنها وباد نعيمها ... والدهر لا يبقى مكانا سالما
ما كان احسن حالها واجلها ... لو كان عيش بالمسرة دائما

قال فسألت عن حالها فقيل لى مات صاحبها وصار امرها الى ما ترى فقرعت الباب الذى كان لا يقرع لهيبته * ولا يدلى منه لعزته * فكلمتنى جارية منها بكلام ضعيف * وصوت نحيف * فقلت لها يا جارية * اين بهجة قصركم وانواره * واين شموس افلاكه واقماره * واين عمّاره وزواره * واين مواكبه وجنوده * واين خدمه وعبيده * فبكت الجارية وقالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية * ثم نقلهم عجائب اقدارهم عن دار قرارهم * ولعب بهم الزمن * وشتتهم بسهام المصائب والمحن * فقلت لها ما فعلت جارية مررت بها في يوم من الايام وهى في هذه الغرفة تغنى وتقول * الا يا دار لم يدخلك حزن * قال فبكت الجارية بكاء شديدا * وقالت انا والله تلك الجارية * ولم يبق من اهل هذه الدار غيرى * فالويل لمن غرته الدنيا والامال * فقلت لها كيف قربك القرار في هذا الموضع الخراب فقالت يا شيخ ما اغلظ طبعك اما كان بالامس منزل احبابى واهل ثقتى وموطن ساداتى واهل مودتى ثم انشدت تقول

قالوا ارتضى وقوفا في منازلهم ... ونفس مثلك لا يرضى تحملها

فقلت والقلب قد ولّى تجلده … والروح تنزع والاشواق تبدلها
منازل الحب في قلبي معظمة … وان خلا من نعيم الوصل منزلها
وكيف اتركها والقلب يتبعها … حبا لمن كان قبل اليوم ينزلها

انتهى ثم ان هذا البيت كالتعليل لما قبله من الكلام كما لا يخفى على من له في العلم ادنى المام ولا يخفى ايضا ان ماء المحاسن في رياض الفاظه غير آسن ولا يبعد ان يكون متضمنا لمراعاة النظير حيث جمع بين امر وما يناسبه كقول بعضهم

وحرف كنون تحت راء ولم يكن … بدال يؤم الرسم غيره النقط

وقول القاضي الفاضل

في خده فخ لعطفة خده … والخال حبته وقلبي الطائر

وغاية الغايات في هذا الباب قول بديع الزمان الهمداني الذي يحاكيه نغمات الغواني من قصيدة يصف بها طول السرى

لك الله من عزم اجوب جيوبه … كأني في اجفان عين الردى كحل
كأن السرى ماء كأن الكرى طلا … كأنا له شرب كأن المنى نقل
كأنا جياع والمطي لنا فم … كأن الفلا زاد كأن السرى اكل
كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع … وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل
كأنا على ارجوحة في مسيرنا … فغور بنا تهوى ونجد بنا تعلو

ومنها في المديح

كأن فمي قوس لساني له يد … مديحي له نزع به املي نبل
كأن دواتي مطفل حبشية … بناني لها بعل ونقشي لها نسل
كأن يدي في الطرس غواص لجة … به كلمي در به قيمتي تغلو

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغا … في موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي … تجري دما من تحت ظل القسطل

ويعجبني ايضا قول بدر الدين حسن الاعرج الغزي

كأن السحاب الغر لما تجمعت … وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها … حليب وكف الريح حالب ضرعها

وبجه

ويعجبني ايضا قول السلامي

والنقع ثوب بالنسور مطرز * والارض فرش بالجياد مخمل
وسطور خيلك انما الفاتها * سمر تنقط بالدماء وتشكل

ومثله قول ابن الساعاتي

لله يوم في سيوط وليلة * صرف الزمان بمثله لا يغلط
بتنا وعمر الليل في فلواته * وله بنور البدر فرع اشمط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قول ابي العلاء المعري

دع اليراع لقوم يفخرون به * وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت * مجدا اتت بمداد من دم هدر

الى غير ذلك مما لو اطلقنا فيه عنان القلم لاورث في ميدان المطالعة مزيد الملالة والسآم * وفيما ذكرناه كفاية * لمن له رواية او دراية *

قال الناظم

ترث ثياب العيش فيه كما ترى * واثواب اعمار الخطوب جدائد

اقول (ترث) اي تبلى ومنه الرث البالي (والثياب) جمع ثوب وهو اللباس ويجمع على اثواب كما في عجز البيت واثوب وبعض العرب يقول اثؤب فيهمز لان الضمة على الواو تستثقل والهمزة اقوى على احتمالها وكذلك دار وادور وساق واسوق وجميع ما جاء على هذا المثال قال الراجز

لكل دهر قد لبست اثؤبا * حتى اكتسى الراس قناعا اشيبا
املح لا لذا ولا محببا

(والعيش) الحياة يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشا * ومعيشة * وعيشة بالكسر وعيشوشة واعاشه وعيشه قاله في القاموس وفي قوله ثياب العيش استعارة مكنية تخييلية على حد اظفار المنية وضمير فيه راجع الى الزمن في البيت السابق (وترى) من الرؤية بمعنى النظر بالبصر * وقد يهمز * قال الشاعر

ومن يتمل العيش يرء ويسمع

ترث ثياب العيش فيه كما ترى واثواب اعمار الخطوب جدائد

وقال سراقة الباهلى

اری عینی ما لم ترأیا ٭ كلانا عالم بالترهات

وماضيه مهموز ٭ ومما جاء بلا همزة قال الشاعر

صاح هل رايت او سمعت براع ٭ رد فى الضرع ما قرى فى العلاب

وما فى كما ترى يحتمل ان تكون نكرة موصوفة والكاف للتقييد لا للتشبيه كما فى قوله تعالى واذكروه كما هداكم اى على ما هداكم فالمراد ترث ثياب العيش فيه على وجه تراه اى اولا فاولا ويحتمل الكلام غير ذلك فتامل (والاعمار) جمع عمر والعمر بالفتح والضم وبضمتين الحياة والتزم الفتح فى القسم للتخفيف قال فى الصحاح فاذا دخلت عليه اللام رفعته بالابتداء وقلت لعمر الله واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف والتقدير لعمر الله قسمى ولعمر الله ما اقسم به وفيه كثرة حذف فان لم تات باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت ومعنى لعمر الله وعمر الله احلف ببقاء الله ودوامه واذا قلت عمرك الله فكانك قلت بتعميرك الله اى باقرارك له بالبقاء وقول عمر بن ابى ربيعة المخزومى

ايها المنكح الثريا سهيلا ٭ عمرك الله كيف يلتقيان

فالثريا شامية اذا ما استهلت ٭ وسهيل اذا استهل يمانى

يريد سالت الله ان يطيل عمرك لانه لم يرد القسم بذلك انتهى ٭ واقول كثر فى كلام العرب القسم بالعمر فيقولون لعمرى ولعمرك وهو بحسب الظاهر قسم بغير الله ٭ وقد روى عن ابن عمر انه قال لا يحلف بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك ٭ وهذا الحديث ونحوه محمول على التغليظ او حيث يعتقد الحالف المتعظيم كتعظيم الله تعالى وان الحلف بذلك كاذبا يوجب الكفارة والا فهو مكروه عندنا ٭ واما قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى افلح وابيه فمحمول على التوكيد لا على حقيقة القسم وكذا قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون على قول او هو قسم قصد به التعظيم والتشريف والرب عز وجل محجور عليه ولا داخل فى دائرة التكليف ومنع بعضهم ان يقال ايضا لعمر الله مستندا لما جاء فى الحديث من النهى عن ذلك

فقد برهداك الله تعالى وايانا لاوضح المسالك (والخطوب) جمع خطب وهو الامر صغر او عظم كما فى القاموس ولعل المراد به هنا الامر العظيم والحادث الجسيم ويحتمل غير ذلك (والجدائد) اراد بها جمع جديد والثوب الجديد نقيض الخلق وهو فى معنى مجدود اى مقطوع لان الحايك قطعه قال الشاعر

ابى حبتى سليمى ان يبيدا وامسى حبلها خلقا جديدا

اى مقطوعا ومنه قيل ملحفة جديد بلاهاء لانها بمعنى مفعولة ثم ان المشهور فى جمع الجديد جدد مثل سرير وسرر * واما الجدائد فهو على ما فى الصحاح جمع الجدود وهى النعجة التى قل لبنها من غير باس وهذا المعنى مما لا يخفى فساده كما لا يخفى فلا تغفل * وحاصل معنى البيت ان ثياب الحياة بلا امتراء فانية باليه * واوقات الاعمار بغير افتراء ماضية خاليه * مع ان اثواب مصائب الدهر جديده * وحوادث الزمان كثيرة عديده * فلا ينبغى ان تفرح بعمر تقطعه الساعات * وسلامة بدن معرض للآفات *

شعر

| | |
|---|---|
| نظل نفرح بالايام نقطعها | وكل يوم مضى يدنى من الاجل |

ولله در ما رثى به بدر الغدانى حيث يقول

| | |
|---|---|
| يا بكر ما راح من قوم ولا ابتكروا | الا وللموت فى آثارهم حادى |
| يا كعب ما طلعت شمس وما غربت | الا تقرب آجالا لميعاد |

وقال البحترى ولبيته الاخير عرج من بغداد اخرايامه هو وولده ابو الغوث لما ان كثيرا من الناس شنع عليه بانه لذلك شوى

| | |
|---|---|
| اخى متى خاصمت نفسك فا(حتشد) | لها ومتى حدثت نفسك فاصدق |
| ارى علل الاشياء شتى ولا ارى | التجمع الا علة للتفرق |
| ارى العيش ظلا توشك الشمس نقله | فكن فى ابتغاء العيش كسبك اومق |
| ارى الدهر غولا للنفوس وانما | يقى الله فى بعض المواطن من يقى |
| فلا تتبع الماضى سؤالك لم مضى | وعرج على الباقى فسوالك لم بقى |
| ولم اركالدنيا حليلة صاحب | محب متى تحسن بعينيه تطلق |

ثراها عيانا وهي صنعة واحد    فحسبها صنعي لطيف واخرق

وعجايب هذا الزمن كثيره * ومصايب هذه الدنيا الدنية وفيره * كم صوحت فيها رياض عيشة كانت متانقه * وكم فضت بها حياض نعمة كانت متدفقه * قال احمد بن محمد المهرى حدثنى رجل من عبد قيس قال دخلت ابنة النعمان ابن المنذر على معاوية فقال لها اخبرينى عن حالكم كيف كانت قالت اطيل ام اقصر قال لا بل اقصرى قالت امسينا مساء وليس فى العرب احد الا وهو يرغب الينا ويرهب منا بالدنيا وتبا لمن عرفها وركن اليها ما اغدرها وما امكرها وما اسرع وقوع انقلابها باهلها واصحابها وانشدت

بينا نسوس الناس فى كل حالة    اذا نحن فيها سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها    تقلب تارات بنا وتصرف

وقال محمد بن عبد الرحمن دخلت على امى فى يوم اضحى وعندها امراة عليها اثواب رثة فقالت اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة ام جعفر بن يحيى البرمكى فسلمت عليها ورحبت بها وقلت يا خالتى حدثينى ببعض امرك قالت اذكر جملة فيها اعتبار * وموعظة لذوى الابصار * قدم على مثل هذا العيد وعلى راسى اربعمائة وصيفة وعندى ما ئتا صندوق محشوة بالعمائم والحلى والدراهم والدنانير وولدى قد ارسل الى بعض غلمانه بخمسمائة دينار وقال ادفعها اليها تنفقها فى هذا العيد فاخذتها وانا مع ذلك اظن ان ولدى مقصر فى خدمتى * فاخنى على الدهر ورمتنى الدنيا بفجائعها ومصائبها * وبلاياها حتى وصلت الى هذه الحالة وانا قد جئتكم فى هذا العيد والذى يغنينى منكم جلدا شاتين اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا قال محمد بن عبد الرحمن فلما سمعت كلامها صغرت الدنيا فى عينى وعلمت ان الواثق بها مغرور وان المعتمد عليها فى غرور * ولله تعالى در من قال

لو امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

واعجب من الدنيا حب كل احد لها مع انه لا يجهل حالها ويعلم ما نسا

قال الناظم

زمان به زهر اللطائف ذابل    ودهر به سوق المعارف كاسد

قوله (الزمان) تقدم بيانه (والزهر) النور واضافته الى اللطائف

زمان به زهر اللطائف ذابل
ودهر به سوق المعارف كاسد

تحيز

تخييل على مذهب الجمهور * وهو المشهور (واللطائف جمع لطيفة واراد بها
النكات الحسنة * والمعانى المستحسنة * واللطيفه عند القوم كل اشارة يلوح
منها معنى لا تسعه العبارة * ومن ذلك علوم الاذواق والاحوال *
وتطلق على النفس الناطقة المسماة بالقلب عندهم ويقيد وتها حينئذ
بالانسانية وهى فى الحقيقة تنزل الروح الى رتبة قريبة من النفس مناسبة
لها بوجه ومناسبة للروح بوجه ويسمى الوجه الاول الصدر والثانى
الفؤاد * وتطلق اللطائف على مواضع مخصوصة مشهورة فيما بينهم
هى محل الذكر عندهم ويقال لها اللطائف الخمس واضافتها لمصابيح الذكر
تكون فى مبادى السلوك فى الطريقة النقشبندية كما هو معروف عند اهلها
(والذابل) من ذبل النبات كنصر وكرم ذبلا وذبولا (والدهر) الزمان
قال الشاعر

ان دهرا يلف شملى بسلمى    لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور * ويقال الدهر الابد * واشتهر عن الفلاسفة ان
الدهر وعاء الزمان وقولهم دهر داهر * كقولهم ابدا ابد * وقولهم دهر دهارير
اى شديد * كقولهم ليلة ليلاء * ونهار انهر * ويوم ايوم * وساعة
سوعا * وفى حديث اخرجه البيهقى لا تسبوا الدهر * قال الله عز وجل
* انا الدهر الايام والليالى اجددها وابلى ملوكا بعد ملوك * وسبب
النهى انهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم
فان فاعله هو الله تعالى * ولله در من قال

فما الدهر بالجانى لشئ يحبه    ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى يبعث الله باعثا    على معشر يجعل مياسيرهم عسرا

والاحاديث فى النهى عن سب الدهر كثيرة * فلذلك عد السب من عالم كبيرة
كيف لا وهو شتم الله جل جلاله كما يدل عليه ما اخرجه الحاكم وقال صحيح
على شرط مسلم يقول الله عز وجل استقرضت عبدى فلم يقرضنى *
وشتمنى عبدى وهو لا يدرى * يقول وادهراه وادهراه * وانا الدهر
لكن الذى يتجه فى هذه المسئلة التفصيل وهو ان من سب الدهر فان اراد
به الزمن فلا كلام فى ادكراهة اوالله تعالى فلا كلام فى الكفر وان اطلق

فهذا أصل التردد لاحتمال الكفر وغيره * وظاهر كلام السادة الشافعية الكراهة هنا ايضا الان المتبادر منه الزمن فاطلاقه على الله تعالى انما هو بطريق التجوز عند غير واحد وتمام الكلام على هذه المسألة يطلب من محله * وفى بعض اوراد الجهلة المنتسبين للمشايخ يا دهار * يا ديهور يريدون بذلك الله عز وجل وهو جهل عظيم حيث لم يرد بذلك فى حديث صحيح او حسن واسماء الله تعالى توقيفية * ومن لم يقل فى ذلك يشترط فى صحة الاطلاق عدم ايهام النقص كما وراجع له فلا تغفل وينسبون الى الدهر فيقولون دهرى وهو بفتح الدال الملحد والذى يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والمجازات كفرعون موسى على احد الاقوال واما الدهرى بضم الدال فهو المسن وهو المنسوب الى الدهر ايضا كما قاله ثعلب (وبه) بمعنى فيه على ما هو الظاهر وحمل الباء على السببية لا يخفى حاله (والسوق معروف وهى تذكر وتؤنث قال الشاعر

الم يغظ الفتيان ما صاب لمتى ... بسوق كثير ريحه واعاصره

والسوق ايضا جمع ساق وهو المعنى المراد فى اللغز المشهود فى الخلخال وهو

ومضروب بلا جرم ... مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على ... لطيف القد ممشوق
واكثر ما يرى ابدا ... على الامشاط فى السوق

وله قصة مشهورة ذكرها الصفدى (والمعارف) واحدها معرف كمقعد يقال هو من المعارف اى من المعروفين ويقال امراة حسنة المعارف اى الوجه واراد بها هاهنا ما هو جمع معرفة كما لا يخفى (والكاسد) كسيد من كسد * كنصر وكرم * كسادا وكسودا لم ينفق ويقال سلعة كاسدة وسوق كاسد بلا هاء * وحاصل معنى البيت ان هذا الزمان المشوم * والدهر الجائر المسوم * قد ذبلت فيه ازهار اللطائف وكسدت به سوق المعارف حيث زهدت ابناؤه فيها وقصت ما قصت من قوادمها وخوافيها فاصبحت معاهدها موحشة يبابا * وعادت منازلها تلظا ان بقيعة سرابا * قد درس الدروس دوارس * ومعالم

العلوم غير او انس

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

ثم انى اقول مستعيذا بالله تعالى من كل جهول لم يبق فى هذا العصر من نعتقد عند ذكرهم الخناصر * و نعتقد بكلامهم القلوب والضمائر * وتجلى بتقريراتهم غياهب المشكلات * وتنكشف بتحريراتهم سحائب المعضلات * الا اناس اسنوا فى زوايا الخمول * وايسوا عن كل مأمول * ومسئول وعلاهم والله الا مركبين الصغار * وتأخروا لما ولع الزمان بتقديم الصغار * ولله در من قال

وزمان فيه الصغير تقدم ... اتراه لذلك الذنب يندم

لعن الله قوم لوط فهم قد ... علموه التقديم حتى تقدم

وقال اخر

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل ... وتاخير ذى لب فابدت لى العذرا

بنو الجهل ابنائى لهذا رفعتهم ... واهل النهى ابناء ضرتى الاخرى

فليس لارباب الفضائل سوى تفويض امورهم لرب الاواخر والاوائل * ولا زم لهذا الزمان المتعدى جوره من توبة * ولا بد لهذا الدهر المضاعف عدده من اوبة * ودولة العلم كما قيل تبطى ولا تخطى * ولله در من قال

لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب ... على خمولك ان ترقى الى الفلك

فبينما الذهب الابريز مطرح ... فى الترب اذ صار اكليلا على الملك

وللشعراء الفضلاء فى الشكاية من الدهر ما يضيق عنه نطاق الحصر انشد ابن التعاويذى

يا زمن السوء الذى مستنى ... بغمرة ليس لها كاشف

اذا كلوم الهم داويتها ... عاد لها من جوره طارف

وكلما اغضيت عن ذلة ... اغراه بى عفوى فيستأنف

صحبته قدما فما سرنى ... سالف ايامى ولا الانف

تخضع فيه للدنايا على ... غرتها الجبهة والسالف

ما لك لا يتقتق فى عمق ابنائك الا البهرج الزائف

وكم اداويهم على انى ... طبيب باحوالهم عارف

يحسدنى الناس على مورد ... بمكد رمنه الراشف

وربّ مشارٍ على مجلسه ... وهو اذا استشفيته ناقف

وقال عبد الرحيم العباسي

ارى الدهر يكرم جهّاله ... واعظم قدرا به ليّا هل

وانظر حظى به ناقصٌ ... ايحسبنى انّى فاضل

ومثله لابى تمام الدباس البغدادى حيث يقول

انى رايت الدهر فى صرفه ... يجمع حظ العاقل الجاهل

فلا ارانى نائلا ثروةً ... اظنه يحسبنى عاقلا

ولله درّ من قال

الدهر عندى لا محالة احول ... واسال به من كان طبا عاقلا

يرنو ليلحظ فاضلا فيرده ... حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وقال ايضا

ومالى لدى دهرى ذنوب اعدها ... سوى تهمة الاعداء لى بالفضائل

وانى منها تبت توبة نادم ... مقرا بانى اليوم اجهل جاهل

ويعجبنى قول القائل

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له ... علو سفيه او خمول نبيه

فلا تسال الآن عن عجيب رايته ... فاعجب ما لاقيت ما انا فيه

اذا حل ذو نقص محلة فاضل ... واصبح رب الجاه غير وجيه

فان حياة المرء غير شهية ... اليه وطعم الموت غير كريه

ولشيخنا المرحوم روح الله روحه * واعلى فى الجنان فتوحه * نظم كثير * ونثر غزير * فى الشكاية من احوال الزمن * الذى هو عيبة البلايا والمحن * واخر ما رايت من نظمه فى هذا الباب مما يستحسنه ذووا الالباب *

قوله

وقالوا انا خرت فى ذا الزمان ... ومنك التقدم نال الرجال

فقلت يرى الصدر صفا الخيرا ... اذا ولا عد صف النعال

وقد شطر ذلك السيد حسن الاصم وشطر التشطير هذا الناظم * فصار المجموع ثمانية ابيات

وقالوا انا خرت فى ذا الزمان ... وانك بدر سماء الكمال

وانك

نسبة الى بغداد وبجستين وفى احد اللغات فيها وزيد مكسرتين وهو الدارج على السنة الخلق وبتقديم كل منهما وبغداد وبغدان وبغدين وصغدان وفيها لغات اخر ايضا ذكرها العلامة الوالد عليه الرحمة فى حواشيه على شرح ابن حجر
تمت عبد الباقي

هو علامة زمانه * وفريد اوانه ذو الفضل الجليل الجلى * على افندى الموصلى * عليه رحمة المعيد المبدى
تمت عبد الباقى
م

وانك شمس الهدى والنهار | وانك مقدام يوم النزال
وانت امام الشيوخ العظام | تفرج عنها الكروب العضال
اجبنا فديتك لم اخرولك | ومنك التقدم نال الرجال
فقلت يرى الصدر وصفا اخيرا | وفي الرقم يظهر سر المقال
ترى الف الالف قد اخرت | بعين الاوائل اهل الضلال
ولا ضير تاخير مثلي بهم | فاني زلال وهم لمع آل
نعم بتاخر شان الصدور | اذا ولا اعد صف النعال

وانشد رحمه الله تعالى في مرضه قبل وفاته بايام بيتين يرشحان بالشكا من الدهر وعرضهما على بعض الشعراء المترددين اليه ليشطرهما فلم يستطع فشطرهما هو بنفسه ارتجالا * فقال اصلا وتشطيرا

اسفي على فضلي قضيت ولم يكن | ابصرت عارف قدره فيبين
ومن الفنون الغامضات ورمزها | املي قضيت وللفنون ديون
واخذت في كفني علوما لم اجد | من يحفظن حقوقها ويصون
ودقيق اسرار جعلت لها الحشا | مستودعا هي في الدفين دفين

وهذه نفثة مصدور * وانة مقهور * وانا لنستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله * ثم ان بين قوله اللطائف والمعارف * من انواع البديع المناسبة اللفظية التامة وهي الاتيان بكلمات * متزنة مقفات كقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون * وان لك لاجرا غير ممنون * وقوله صلى الله عليه وسلم مما يرقى به الحسنين * اعيذكما بكلمات الله التامة * من كل شيطان وهامة * ومن كل عين لامة * والقياس ملمة وبين قوله ذابل وكاسد مناسبة لفظية ناقصة وهي الاتيان بكلمات موزونة غير مقفات كادانس وذوابل في قول ابي تمام

مها الوحش الا ان هاتا اوانس | قنا الخط الا ان تلك ذوابل

وفي بيت ابي تمام المناسبة التامة ايضا بين مها وقنا وغير ذلك مما يطول شرحه والمناسبة اللفظية بقسميها في الرتبة دون المعنوية وهي ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في

مساكنهم ان فى ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون * فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدد الاية التى موعظتها مرئية اولم يروا وقال بعد الموعظة افلا يبصرون وقال المتنبى

على سابح موج المنايا بنحره غداة كان النبل فى صدره وبل .

وقال ابن رشيق وهو بالتقديم فى هذا الباب حقيق

اصح واقوى ما رويناه فى الندا من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث يرويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم

ومحاسن هذين البيتين ظاهره * وكواكب بدايعها فى سماء الشهرة سائرة باهره * وقد اشتمل بيت القصيدة ايضا على التمكين وهو ائتلاف القافية * وذلك ان يمهد الناثر لسجعة فقرته * او الناظم لقافية بيته تمهيدا تاتى القافية فيه متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها * غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وهو فى القرآن كثير * والذى يستحسن فى كلام المولدين * منه قول ابى الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدم

ولم يسمع لمتقدم قافية اشد تمكنا من قافية قول النابغة الذبيانى

كالاقحوان غداة غب سحابة جفت اعاليه واسفله ندى
زعم الهمام ولم اذقه بانه يروى بريقته من العطش الصدى

وكثير من قوافى قصيدتنا هذه ولله الحمد متمكنة غاية التمكن كما يشهد به الذوق السليم * والطبع المستقيم * وفى البيت بعد ما لا يخفى على نبيه فدونك فاحسن النظر فيه قال الناظم

عقدت الحبا فيك الهوى غافلا عن المقصد الاسنى فسعيك
تروم المنى فى غفلة بعد غفلة وصرف الردى فى حظ قدرك جا

اقول (عقدت) من العقد وهو معروف (والحبا) بكسر الحاء المهملة مقصورا جمع حبوة بضم الحاء وكسرها من احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته * وقد يحتبى بيديه * واما الحباء بفتح المهملة

عقدت الحبا فى جنب الهوى غافلا عن المقصد الاسنى فسعيك قاعد
تروم المنى فى غفلة بعد غفلة وصرف الردى فى حظ قدرك جاهد

مع القصر ايضا فهو كالحبى السحاب الذى يعترض اعتراض الجبل قبل ان
يطبق السماء واما الحبا مكسورا وممدودا فهو العطاء قال
الفرزدق

خالى الذى اغتصب الملوك نفوسهم والىه كان حباء جفنة ينقل

(واللهو) اللعب من لهوت بالشئ بالفتح الهو لهوا اذا لعبت به وتلهيت به
مثله وقد يكنى باللهو عن الجماع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا قالوا المرأة
ويقال ولدا قاله الجوهرى فى الصحاح * فقد قرر الفقها من المتقدمين
والمتاخرين * رضى الله تعالى عنهم اجمعين * انه يحرم اللهو وكذا استماع
آلته سواء فى ذلك الاوتار وغيره كطنبور وجنك وعود وسنطير ومزمار
عراقى * وكذا الضرب بالكوبة وهو طبل ضيق الوسط واسع الطرفين واما
الغناء فحرم عند قوم وكره تنزيها ولو من النساء عند اخرين وجوزوا *
استعمال طبل كبير لنحو فرح كعرس وحج وجهاد وذهب بعض الصوفية
الى جواز استعمال الات اللهو مطلقا واستدلوا باشياء كثيرة منها ما رووه
عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قائما يخطب ثم يجلس ثم يقوم فيخطب وكانت الجوارى اذا نكحن اى تزوجن
يمررن ويضربن بالدفوف والمزمار فينثال الناس ويتركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائما فعاتبهم الله تعالى على ذلك بقوله واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ووجه الاستدلال بذلك ان الله عز وجل
عطف اللهو على التجارة وحكم المعطوف حكم ما عطف عليه والمعطوف
عليه فى الاية التجارة وحكمها الحل اجماعا ومن المحال ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمه ثم تمر به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله
تعالى من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وخرج ينظر الى اللهو
ويسمع ولم تنزل فى تحريمه اية بل اخر هذه الاية وهو قوله تعالى قل ما عند
الله خير من اللهو ومن التجارة بناء على الاصل فى افعل التفضيل من دلالته
على المشاركة والزيادة يدل عندهم ايضا دلالة صريحة على ما زعموه حتى
قال بعضهم ان هذه الالات تصدح بالتسبيح وتصدع به بلفظ فصيح
وترشد السالك الى اوضح المسالك وانشدوا من ابيات

بفتح الحا المهملة ... ولو تعقل ه يحل [illegible]

يقول لك الطبل المجوف يا فتى       على العهد دم دم لا انوم فقت

وهولاء في الحقيقة يغنون ان تكون الآلات لهو بالنسبة اليهم كيف لا وهي تغرد بانواع الاذكار والمواعظ لديهم وقال بعض العلماء هولاء باسم الاباحية اولى منهم باسم الصوفية * وحاشا الصوفية الكرام من مخالفة العلماء الاعلام * وهذا الذي استدلوا به اوهن من بيت العنكبوت وان لاوهن البيوت وما ذكروه من انفضاض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يثبت بهذه الصورة التي ذكروها في حديث لا مقال فيه نعم حصلت مجاعة في المدينة المشرفة فبينما الصحابة في المسجد يسمعون الخطبة اذ سمعوا صوت طبل يضرب وكان يضرب عند مجئ العير اليها فانفض حديثو العهد بالاسلام لاشتراء الطعام خوفا من غلو الاسعار او حيازة الكبار * وكان ذلك قبل التاداب باداب الشريعة والتخلق باخلاقها الحسنة البديعة والاحاديث متظاهرة على تحريم ذلك متظافرة على النهي عن السلوك في هاتيك المسالك والوقوع في هوة تلك المهالك نعم قال الشبراملسي لا باس بطبل الصوفية يعني به المسمى بطبل باز * وكذا لا باس بطبل السحور وهو يضرب وقت السحور في بعض البلاد كاسلامبول ودمشق الشام في الطرقات لايقاظ النائمين للسحور وقيل لا باس ايضا بطبل الحرب لما فيه من الاعانة والتشجيع على الاقدام وعد بعض الحنفية طبل النوبة الذي يضرب في اوقات مخصوصة من الليل والنهار من المباحات ايضا وللعلامة ابن حجر كتاب نفيس في هذا المقام يشفي الاسقام ويعفي الاوهام ولولا خوف الاطالة لاشبعنا الكلام ولبينا ما في هذا البحث من النقض والابرام والكلام فيه طويل والله يحق الحق وهو يهدي السبيل (والغافل) من غفل عن الشيء يغفل غفلة وغفولا واغفله غيره واغفلت الشيء اذا تركته على ذكر منك (والسعي) القصد والعمل (والقاعد) من القعود وهو الجلوس او هو من القيام والجلوس من الضجعة او من السجود قاله في القاموس وذكر الحريري في كتابه درة الغواص في اوهام الخواص انهم يقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل بن احمد ان يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما او ساجدا اجلس وعلل بعضهم

هذا

هذا الاختيار بان القعود هو الانتقال من علو الى اسفل ولهذا قيل لمن اصيب برجله مقعد وان الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ومنه سميت نجد جلساء لارتفاعها وقيل لمن جاءها جالس وقد جلس ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها . ان كنت تارك ما امرتك فاجلس

اى اقصد نجدا انتهى المراد منه وقيل الجلوس قليل القعود ومنه جلسة الخطيب بقعدتر ما بين الخطبتين ومن هنا يقال فلان جليس الملك ولا يقال قعيده لقلة القعود عند الملوك عادة * وقيل القعود والجلوس كثيرا ما يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كما يشعر به كلام كثير من النحاة فى الكلام على المصدر المؤكد والتمثيل له بقعدت جلوسا وجلست قعودا فليتامل (تروم) من رمت الشى رمه روما اذا طلبته (والمنى) ما يتمنى (والصرف) بفتح الصاد النوائب (والردى) الهلاك (والحط) الحدر من علو الى اسفل (والقدر) الشرف والعظمة واراد (بالجاهد) المبالغ من جهد الرجل فى كذا اذا بالغ فيه * وحاصل المعنى * ان حالك عجيب وامرك غريب حيث انك عقدت حباك فى حب اللهو عن طاعة مولاك ولم يلتفت طرف همتك الى المقصود الاسنى * والمراد الاسمى بل سعيك قاعد عن ذلك * ومع ذا تروم حصول المرام والمراد وانت فى غفلة عظيمة عما يرام ويراد * والهلاك مجد فى خفض شرفك ومجتهد فى نصب شباك تلفك فهل تجد سبيلا للخلاص مثلك مع اقامتك على فعلك ولله در من قال

غير متنعص فى معانيها

| | |
|---|---|
| قل للمفرط يستعد | ما من ورود الموت بد |
| قد اخلق الدهر الشبا | ب وما مضى لا يسترد |
| او ما يخاف اخو المعا | صى من له البطش الاشد |
| يوما يعاين موقفا | فيه خطوب لا تحد |
| فالى م يشتغل الفتى | فى لهوه والامر جد |
| ابدا مواعيد الزما | ن لاهله تعب وكد |
| يا من يؤمل ان يقسـ | ـم والحادى الموت يحد |
| وتروح داعية المنو | ن على مؤملنا وتغد |

يختال في طرق النعيم ودونه قبر ولحد
والعمر ينقص كل يوم ثم في الآمال مد

وقال اخر

شمر عسى ان ينفع التشمير وانظر بفكرك ما اليه تصير
طولت امالا تكنفها الهوى ونسيت ان العمر منك قصير
قد افصحت دنياك عن غدراتها واتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بلهوها متمتعا ترجو المقام بها وانت تسير
فاعلم بانك راحل عنها ولو عمرت فيها ما اقام ثبير
ليس الغنى في العيش الا بلغة ويسير ما يكفيك منه كثير
لا يشغلنك عاجل عن اجل ابدا فملتبس الحقير خطير
ولقد تساوى بين اطباق الثرى في الارض مأمورها وامير

ولقد كان السلف الصالح لا سيما الصحابة الكرام متيقظين لعبادة الملك العليم العلام * قلوبهم بالحق متعلقة * وانوارهم على الظواهر متألقة * كلما هدلت حمائم نحوهم بالبكاء تحت ذنوب الصحائف * خوفهم عظيم ووجلهم جسيم وما فيهم مخالف

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وحدثني يا سعد عنهم فزدتني جنونا فزدني من حديثك يا سعد

قال ابو راكة صليت مع علي رضي الله تعالى عنه صلاة الصبح فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كان عليه كأبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله تعالى كما يميد الشجر في يوم الريح فهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين ثم نهض فلم ير بعد ذلك مفترا يضحك حتى ضربه ابن ملجم وكان ابو مسلم الخولاني قد علق في مسجده سوطا يؤدب به نفسه كلما فترت او طلبت الراحة ويقول ايظن الصحابة ان يستأثروا

نظرة

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا لتزاحمهم عليه زحاما حتى يصلوا انهم قد خلفوا رجالا وكان سفيان الثورى غاية فى العلم والعمل فغلبه الخوف فصار يبول الدم فحمل ماءه الى الطبيب فقال هذا لا يشبه ماء المسلمين هذا ماء الرهبان هذا ماء رجل قد فتت الحزن كبده وكان لسان حاله يقول

اذا انا واجهت الصبا عاد ردها ... ومن حر انفاسى عليه لهيب
وقد اكثرت فى الاطباء قولهم ... ومالى الان اراك طبيب
وسالم قلبى الهم فهو حليفه ... وبين جفونى والرقاد حروب

والحكايات فى ذلك كثيرة نسال الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا من الصالحين ويوفقنا السلوك فى سنة سيد المرسلين بحرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واله وصحبه الغر المياميين قال الناظم

يخاتلك الدهر الغشوم بمكره ... وجهلك يقظان وطرفك راقد

اقول يخاتل اى يخادع ولا يبعد ان يكون من قبيل يسافر (والدهر) قد تقدم الكلام فيه منذ زمن قريب (والغشوم) الظلوم والظلم لغة وضع الشئ فى غير محله وشرعا التصرف فى ملك الغير بغير حق او مجاوزة الحد فهو مستحيل فى حق الله تعالى غير متصور فى شانه اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين واملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم واحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه هذا ما ذهب اليه السنة والجماعة وذهب المعتزلة الى ان الله سبحانه وتعالى قادر على الظلم فهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا وتنزها واحتجوا على ذلك بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفى الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص انى منعت نفسى من صعود السماء لسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز ان يكون مقدورا له لجاز ان يكون موصوفا به واللازم باطل فالملزوم مثله وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يتمدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذى هو جبلة فيه وغريزة له وقد قال تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم نفيه ثبوت اصل الظلم قلت اجيب عن ذلك بوجوه الاول

ان هذه الصيغة قد تاتى للنسبة كتمار ولبان فيكون المعنى وما ربك بذي
ظلم وهو معنى ما قيل وما ربك بمنسوب الى الظلم وذلك نفي له من اصله
والثاني انه وان كان للكثرة لكن جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع
كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل صيغة المبالغة
بالجمع واسم الفاعل بالواحد والثالث ان صيغة المبالغة وغيرها في
صفاته تعالى سواء في الاثبات فيجري النفي على ذلك والرابع انه تعريض
بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور والخامس ان الاية وردت للرد
على قوم جهلة كانوا يقولون ان الله سبحانه ظلام للعبيد فلا مفهوم
للقيد الذي تدل عليه الصيغة ومثل ذلك من وجه ولا تاكلوا الربا
اضعافا مضاعفة السادس ان قليل الظلم على فرض وقوعه منه
سبحانه وتعالى كثير فنفي الكثير عنه سبحانه عين نفي القليل الى غير ذلك
من الاجوبة وحضرت يوما في مجلس حضرة مولانا المرحوم قدس سره
فجرى ذكر هذا السؤال فقال بعض من حضر المراد المبالغة في النفي لا نفي
المبالغة فقال الشيخ يكاد ان لا يعقل هذا وان ذكره بعض المحققين
مما سما قدره ونحوه ذكره ثم اخذ يقرر مما ارتضاه ويحرر من الاجوبة
ما اداه الى ان قال احسن الاجوبة ما يقال ان الاية نزلت في رد قوم
كانوا يقولون الله ظلام للعبيد ورد الله تعالى عليهم بقوله وما ربك بظلام
للعبيد ورد بايات اخر على من يزعم نسبة شيء من الظلم اليه تعالى
فاذا كان المقصود من الاية مجرد الرد على اولئك لا ينظر الى ما يقتضيه
مدلولها وهو الجواب الخامس الذي سمعته في عداد الاجوبة وقد ذكره
العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية وقريب من هنا ما ذكره بعضهم
في دفع الاشكال المشهور في كلمة التوحيد من ان تقدير الخبر موجود
لا يتم به التوحيد لانه لا يلزم من نفي وجود اله الا الله نفي امكانه والتوحيد
انما يتم به لان من نفي الوجود وقال بالامكان فهو عري عن الايمان
وتقدير ممكن يلزم منه امكان الله جل جلاله وفيه ما فيه وتقديرهما
مع ما فيه لا دليل عليه والذي ذكره ذلك البعض اختيار الشق
الاول والكفار اذ ذاك انما يقولون بوجود آلهة كثيرة وذلك يكفي في

ردهم ومخالفتهم ولم يقل احد منهم بوجود اله واحد فقط وهو الله تعالى مع امكان غيره ليحتاج فى رده الى نفى الامكان نعم لابد فى نفس الامر من ذلك ومبرهن عليه وثابت فى غير ما هنالك انتهى ما ذكره الشيخ نفعنا ه وما ذكره فى كلمة التوحيد رايته فى مواضع عديدة مع اجوبة غير قوية ولا سديدة الا ان ما اعترض به على تقدير ممكن من انه يلزم منه امكان الله تعالى وفيه ما فيه انما يتم على مذهب الشافعية القائلين بان الجملة المتضمنة استثناء حكمين ايجابى وسلبى واما على مذهب الحنفية القائلين بان فيها حكما واحدا وان حكم المستثنى مسكوت عنه فى الجملة وانما يعلم من خارج فلا اذ ليس فى كلمة التوحيد على مذهبهم نظرا الى ذلك التقدير اكثر من ان ما عدا الله تعالى من الالهة غير ممكن واما انه سبحانه ممكن او غير ممكن فلا تفيده الاية اصلا فافهم وقد تواترت الاخبار وتعاضدت الاثار على ان الظلم حرام مشوم وان الله تعالى لابد ان ينتصر للمظلوم وقد اشتهر ذلك بين الانام حتى كاد ان يعد من اجلى البديهيات لدى الخاص والعام ومما يحكى ان جبارا بنى قصرا فجاءت عجوز فبنت بظهره كوخا تعبد الله فيه فبينما هى فى بعض الايام فى حاجتها خرج الجبار يدور حول القصر فراى الكوخ فسال عنه ثم امر بهدمه فلما جاءت وراته مهدما سئلت من هدمه فاخبرت بالقصة فوضعت طرفها الى السما وقالت يا رب ان لم اكن حاضرة فانت اين كنت فامر الله سبحانه جبريل عليه السلام فاقلع القصر وقلبه بمن فيه ولله در من قال

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا … فالظلم اخره ياتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه … يدعو عليك وعين الله لم تنم

(والمكر) الخديعة ويقال مكر يمكر مكرا وهو ماكر ومكار ومكور ولا يطلق على الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج كقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهو عند قوم فيه تعالى من المتشابه ويطلق المكر عند القوم على ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال ونتائجها من الكرامة والعلوم مع سوء الادب (والجهل) ضد

العلم من جهل جهالة فهو جاهل وجهول والجمع جهل بالضم وبضمتين وكركع وجهلاء ( واليقظان ) من اليقظة بالتحريك نقيض النوم والجمع ايقاظ كما نص عليه القرآن والنوم حال محصوص يعتري الحواس ويمنعها من الاحساس وسببه تكاسف الابخرة وتصاعدها او نسيم تحت العرش يهب على من يشاء تعالى نومه ويشمه فينام كذا قيل ولعله من قبيل الرمز بحمل النسيم على البخار اللطيف والعرش على القلب فقد قيل قلب المؤمن عرش الرحمن والاولى ان يقال الخبر غير صحيح والله تعالى اعلم ( والطرف ) العين ولا يجمع لانه في الاصل مصدر قاله في القاموس ( والراقد ) النائم ومصدره الرقد والرقاد والرقود والكل بمعنى النوم وهو ما علمت او الرقاد خاص بالليل وغلبة الاستعمال تاباه ويقال للنوم بعد صلاة الصبح عيلولة لانها تورث الفقر والضحى فيلولة لانها تورث الفتور والكسل وقبيل الظهر قيلولة لانها تزيد في العقل وبعده حيلولة لانها تحول بين النائم وصلاة العصر وبعد العصر غيلولة لانها تورث الهلاك وضعف القوى ومن نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه والنوم اول ما يعتري القلب ثم العين ولا تنام عين شخص حتى ينام قلبه * نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه كما روى ذلك البخاري وغيره بل ومثله سائر الانبيا الكرام عليهم افضل الصلاة واكمل السلام ونومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس كان لاستغراق قلبه الشريف بالوحي وحكمة ذلك بيان التشريع بالفعل اذ هو واقع كما في سهوه في الصلاة وقال ابن العربي انه يقبل بقلبه على الله تعالى في نومه ولذلك كان اذا نام لا يوقظه احد حتى يستيقظ لانه لا يدري ما هو فيه والجواب بانه كان له حال ينام فيه قلبه لكنه نادر فصادف ذلك اليوم الوادي ضعيف بل شاذ لمخالفته لصريح ما ورد لا ينام قلبي الشامل لسائر الحالات اذ الفعل المنفي يفيد العموم والجواب بان رؤية الفجر من وظائف البصر وقد علمت انه ينام فليس بشيء وان ذكره كثير من العلماء الاعلام لانه قد روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاذا ثبت

الذرقية

ان رؤية الفجر من وظائف البصر لم يستقم الحديث جوابا لقول عائشة
المذكور لجواز ان ينام صلى الله عليه وسلم فلا ينتبه الا بعد الفجر فيفوته
الوتر وقول بعضهم كان قلبه الشريف يقظانا وعلم بخروج الوقت
لكن ترك اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع فشذوذه ومزيد ضعفه لا ينبغي
ان يتفوه به والذى يغلب على ظنى ان يقظة القلب مع نوم العين من
خصوصيات الانبيا عليهم السلام * نعم ان كان بينها وبين الذكر القلبي
تلازم لما صح ان بعض السالكين يسمع ذكر قلوبهم وهم نائمون لم يتبين القول
بالخصوصية ومن الناس من زعم ان ذلك الذكر القلبي الذى يسمع
انما هو ذكر نفس المضغة الصنوبرية وهى على حد نطق الاعضاء *
بالشهادة يوم القيمة وفى ترتب الثواب عليه للانسان نفسه توقف
والظاهر عدم الترتب اذ ليس الذكر فعلا ولعل يقظة القلب امر وراء ذلك
فتامل وافهم والله تعالى اعلم * وحاصل معنى البيت ان هذا الزمان
المذموم * والدهر الجائر الظلوم * يخاتلك بمكره * ويخادعك بحيله
وغدره * وانت جاهل بمساويه ومعايبه * راقد الطرف والقلب
عن حدثانه ونوائبه *

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف شر ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحصل الكدر

ولله در من قال

وانى رايت الدهر منذ صحبته محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرنى فى اول الامر لم ازل على حذر من غمه فى عواقبه

وقال عدى بن زيد

يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تامنن بليل طاب اوله فرب آخر ليل اجج النارا

وحرى بالعاقل ان لا يغتر بمسالمة الزمان وان لا يسكن اليه عند سكونه
فانما هو مجتمع للوثوب بانواع الاكدار والانكاد والاحزان كيف لا وهو
الذى لا يزال يعكس المقاصد ويقصد بالخيبة ويراصد ويكمن
المنايا فى الامانى ويثنى غصون الامل ذاوية بعد ان كانت غضة الجانى

خلفها ايضه الناس من سجاياه وطبعا ازهى بر الخلق من سهام جناياه ولكن الكثير من الناس لا يشعرون فانا لله وانا اليه راجعون * ولله در الطغرائى حين يقول

الى كم اسوم الدهر غير طباعه　　واصدقه عن شيمتى فهو حانث
واسمو مجدا فى العلا ويحطنى　　خطوب كان الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعى ولا عاقلت　　من مطلب نفسى اما نيها
بل خانها الدهر وازرى بها　　عثرة جد لا يواتيها

ثم ان بين يقظان وراقد من انواع البديع المطابقة لما بينهما من التضاد كما فى قول دعبل الخزاعى عامله الله تعالى بعدله

لا تعجبى يا سلم من رجل　　ضحك المشيب براسه فبكى

وقول عصرينا العلامة صالح افندى الموصلى من قصيدة

ومحال فى الهوى ان انثنى　　عن خفيف الروح بالقول الثقيل

وقول المنازى من نتفه

كذاك بنو الهوى سكرى صحاة　　كاحداق المهى مرضى صحاحا

والمعجز فى هذا الباب الذى لا تصل الى ما دونه الباب ذوى الالباب قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات وقوله صلى الله عليه وسلم على ما فى بعض الروايات فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن شبابه لكبره ومن حياته لموته فوالذى نفسى بيده ما بعد الحياة من مستعتب ولا بعد الدنيا دارا الا الجنة والنار * ويعجبنى قول الشاعر

ان هذا الربيع شئ عجيب　　تضحك الارض من بكا السماء
ذهب حيثما ذهبا ودر　　حيث درنا وفضة فى الفضاء

وقول ابى نواس او ابى الشيص

جرت جوار بالسعد والنحس　　فالناس فى وحشة وفى انس
فالعين تبكى والسن ضاحكة　　ونحن فى ماتم وفى عرس

يضحكها القائم الامين ويبكيها وفاة الرشيد بالامس

وقول بعضهم

كتم الحب زمانا ثم باحا * وغدا في طاعة الوجد وراحا
عاشق ان ضحك الشوق بكى * واذا ما غنت الورقاء ناحا
كلما لاقى تباريح الهوى * شب في القلب زناد الاتراحا
في سبيل المجد منه كبد * اوثقتها الحدق النجل جراحا
اكثرت عذاله اللوم ولو * انصفوا او عرفوا لاموا الملاحا
يا جفوني بالبكا كوني كراما * انا الا صحب جفانا شحاحا

وهذا النوع قد كثر في شعر الادباء الامجاد * ولا بدع اذ كثر التضاد *

قال الناظم

نظرت بآل الله سوء صنيعه وعاينت من اهواله ما تكابد

قوله (نظرت) اى ابصرت والبصر على ما قيل قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يتلاقيان فيفترقان في العينين يدرك بها الالوان والاضواء وهذا في المشاهد فقط وفي كيفية الابصار مذاهب عديدة ذكرها الملا صدرا في الاسفار وفي كتب الكلام والفلسفة * المتداولة بعض من ذلك والتعرض للتفصيل يوجب الخروج عن الصدد فمن اراده فليرجع الى محله قيل وهو افضل من السمع وهو قوة مودعة في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ بشكل نفسه وتماس تلك الحركة تلك العصبة فتسمع دليل الافضلية ان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح وقيل وعليه الاكثر ان السمع افضل لتقديمه في اللفظ ولانه سبب وصول المعارف ولغيرذلك والكلام فيه طويل وعندى انهما كالحلقة المفرغة ومتى قلنا بان الله يرى بالابصار لم نكد نفضل عليها السمع وان كان لم يحس ويسمع كلامه عزوجل فتامل ثم لا يخفى ما المراد بالابصار ههنا فتفهمه (والآل) الاهل والاتباع والاولياء ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فلا يقال

آل الاسكاف كما يقال اهله واصله اهل ابدلت الها همزة فصار آل وتوالت همزتان فابدلت الثانية الفا تصغيره اويل واهيل قاله فى القاموس ويضاف الى الضمير على الصحيح كقوله.

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

واراد الناظم بآل الله الاولياء الذين تولى الله امرهم وحفظ سترهم فقاموا بأوامر الحق ونهضوا بحقوق الخلق وهؤلاء المؤمنون المتقون واولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون و(الله) علم عربى لا سريانى خلافا للبلخى لذات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ومن زعم انه اسم لمفهوم الواجب لذاته او المستحق للعبودية له وكل منهما كلى انحصر فى فرد فلا يكون علما لان مفهوم العلم جزئى فقد سهى الا يرى ان قولنا لا اله الا الله كلمة التوحيد بالاتفاق من غير ان يتوقف على اعتبار عهد اى على اعتبار فرد معهود من لفظ الاسم الجليل فلو كان الله اسما لمفهوم المعبود بالحق او الواجب لذاته لا علما للفرد الموجود منه لما افاد التوحيد لان المفهوم من حيث هو يحتمل الكثرة وقول الابهرى ان الافادة بحسب الشرع دون اللغة اورد عليه انه ان اراد ان دلالتها على التوحيد بحسب وضع الشرع فليس بشئ للقطع بان الشرع لم ينقل هذه الكلمة الطيبة عن المعنى اللغوى الى معنى اخر وان اراد ان افادتها لكون القائل بها موحدا بحسب الشرع فمسلم لكن ليس الكلام فيه وايضا فالمراد بالاله فى هذه الكلمة اما المعبود بالحق فيلزم استثناء الشئ من نفسه لاتحاد المستثنى منه والمستثنى مفهوما وماصدقا او مطلق المعبود فيلزم الكذب لكثرة المعبودات الباطلة ويلزم مثل ما لزم الشق الاول لو كان اسما للواجب الوجود لانه لا معنى للاستثناء من حيث المفهوم فالاستثناء من حيث الصدق والمعبود بحق وواجب الوجود متحدان صدقا سواء اريد بهما ما هو معبود بالحق وواجب بالفعل او بالامكان وارادة المعبود بالحق بالامكان من المستثنى منه وواجب الوجود بالفعل من المستثنى مما لا وجه له فيجب ان يكون الله معنى المعبود بحق والله علم للفرد الموجود منه والمعنى لا مستحق للعبودية فى الوجود

او موجود الا الفرد الذى هو خالق العالم وهذا معنى قول صاحب الكشاف ان الله مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اى الفرد الموجود الذى يعبد بالحق تعالى وتقدس قاله العلامة الثانى السعد التفتازانى واختلفوا فى اصله فقيل اصله الاله معرفا حذفت الهمزة اما مع حركتها على خلاف القياس فيكون التزام الادغام قياسيا واما بنقل حركتها الى اللام فيكون التزام الادغام غير قياسى وعلى التقديرين يكون الاسم مطابقا للمسمى ثم انه بعد حذف الهمزة اعتبر حرف التعريف عوضا ثم جعل علما وقيل اله منكرا وهو مختار الجوهرى فى الصحاح ورجح بما هو مذكور فى المطولات وقد حقق هذا البحث العلامة عبد الحكيم فى حواشيه على تفسير البيضاوى وحواشيه على المطول فارجع اليها وقد ذكرنا نبذة من الكلام فيما يتعلق بهذا الاسم الكريم فى حواشينا على ابن عصام من اراد ذلك فليطلبه هناك والحق عندى ان لفظ الله هكذا وضع لذات واجب الوجود وليس منقولا من اله ولا من الاله اى اصله احدهما وعند بعض السادة الصوفية قدست اسرارهم ان اصل الاسم الهاء وهو لكونه فى الاصل ضمير غيبة يناسب الذات الاقدس الغايب كنهها عن العقول ولكونه من ضروريات النفس الذى به بقاء الاشباح الانسانية معموررة بالارواح يناسب ذلك ايضا من حيث انه غذاء الارواح ومحدها بل به قام كل شيء ولكونه من حيث الرسم دائرة يشعر باحاطة المسمى المشار اليها بقوله تعالى والله من ورائهم محيط ولكونه من حيث المراتب العديدة خمسة وهى عدد دائر لا يفنى بضربه فى نفسه وضرب الحاصل فى نفسه وهكذا الى ما لا يتناهى يشير الى بقاء المسمى وابديته المشار اليها بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وقوله سبحانه وتعالى كل شيء هالك الا وجهه انتهى فاختر لنفسك ما يحلو ( والسوء ) بضم السين الفعل المكروه ( والصنيع ) الفعل القبيح ومرتكب التجريد او مطلق الفعل ولا تجريد ( وعاينت ) اى شاهدت ( والاهوال ) جمع هول وهو المخافة او الامر

الشديد الذي يصعب على الشخص ويجمع ايضا على هول (تكابد) * اى تقاسي يقال كابده مكابدة وكابدا اى قاساه (وحاصل المعنى) ان هذا الدهر المطبوع على الغدر والمكر لا ينبغي ان يغتر به ولا ان يغفل في سلمه عن حربه فقد نظرت صنيعه الفضيع وابصرت فعله المكروه الشنيع باولياء الرحمن واعداء الشيطان ولقد شاهدت من اهواله وسيئ احواله وافعاله ما تكابده وتقاسي مما يسلب الهجوع ويفيض الدموع ويذيب الجبال الرواسي فكل منا مما عراه كئيب ومما اعتراه في نحيب

سقيم لا يموت ولا يفيق　　وقرح جفنه الدمع الطليق
شديد الحزن يحزن من رآه　　اسير الصبر ناظره اريق

ويحتمل ان يكون قوله نظرت على حد قوله

قالوا تحبها قلت بهرا　　عدد الرمل والحصا والتراب

وعلى كل فهذا امر لا شك فيه ولا مرية تقريره اذ طبع هذا الدهر الرمي بسهام الغدر * يرمي فيصيب * وتطلب منه السلامة فلا يجيب * يأكل ابناءه ويحبهم في كل آن عناءه

اما ترى الدهر وهذا الورى　　كهرة تأكل اولادها

فلا در دره * ولا اراه الله ما يسره * فانه اذا اساء اصر على اساءته * وان احسن ندم عليه من ساعته * فهمه كثير * وسروره يسير * ولله در من قال واحسن في المقال

اي شيء يكون امرا عجيبا　　ان تفكرت من صروف الزمانِ
عارضات السرور توزن فيه　　والبلايا تكال بالقفزانِ

فقاتله الله ما الأمه * وقبحه الله سبحانه ما اشأمه * ديدنه الفرقه * ودينه الحرقه * يلتذ بفرقة الاحباء التذاذ الظمآن بالماء * ويفرح بالكروب فرح المحب بالمحبوب

ليس الزمان وان حرصت مسالما　　خلق الزمان عداوة الاحرار

فمن يجتمع فيه فالفراق غايته * ومن يعش به فالممات نهايته *

بينا ترى الانسان فيه مخبرا　　حتى يرى خبرا من الاخبار

ولله در عمارة بن صفوان* المعجز ببلاغته بديع الزمان* حيث يقول

اجارتنا من يجتمع يتفرق • ومن يك رهنا للحوادث يعلق
ومن لم يزل يوقى على الموت نفسه • صباحا مساء اهلي الخير يقلق
اجارتنا كل امرء سيصيبه • حوادث ان لم تكسر العظم تفرق
ويفرق بين الناس بعد اجتماعهم • وكل جميع صالح للتفرق
فلا السالم الباقي على الدهر خالد • ولا الدهر يستبقي جنيبا المشفق

قال الناظم

اثار جوى الاعلام اعلام دينه • بوقع له السبع الطباق رواعد

اقول (اثار) من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا سطع (والجوى)* الحرقة وشدة الوجد من عشق او حزن تقول جوى الرجل بالكسر فهو جو مثل رو قاله في الصحاح (والاعلام) جمع علم بمعنى سيد القوم او الجبل ويجمع بالمعنى الثاني على علام واراد بالاعلام العلماء الكرام واعلام الثاني بالجر بدل من اعلام الاول (والدين) جميع ما يتعبد الله تعالى به وفسروه بانه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود لما هو خير لهم بالذات وهو والملة والشريعة الفاظ متحدة ذاتا مختلفة مفهوما والضمير المضاف اليه راجع الى الله تعالى واراد بالوقع الامر العظيم واصله المكان المرتفع واراد (بالسبع الطباق) السموات السبع وكونها سبعا هو الذي دلت عليه ظواهر الايات والروايات وقال بعض اهل العلم يحتمل ان تكون اكثر من سبع والعدد لا مفهوم له وبينها وبين الارض خمسمائة سنة كما في صحيح ابن حبان عن ابي سعيد مرفوعا وهكذا بين السماء الى السماء التي تليها وهكذا بين السماء السابعة والكرسي كما في كتاب العظمة عن عبد الله بن مسعود* والقول بانها جميعا متلاصقة خلاف ما ذهب اليه المحدثون الذين هم المرجع والعمدة في امثال هذه المقامات فلا ينبغي ان يلتفت الى ما يخالف قولهم ويذهب الى القول بالتلاصق وان ذكره كثير من اهل العلم وبعض الايات المشعر ظاهرها بذلك مصروف عن الظاهر

للاحاديث الغير القابلة لذلك وسمك كل سماء خمسمائة عام كما فى كتاب العرش لابن ابى شيبة من حديث ابن عباس وهل هى كورية ام لا صحح قوم الجزم بعدم الجزم وقال كثيرون هى كالخيمة اطرافها متدليات على الجبل المحيط المسمى بقاف بينها وبينه نحو من ثلاث قامات وهولاء يقولون بوجود جبل قاف ولم يقع عليه الاجماع وقال جمع بكوريتها ولعله الاصح ثم ان القائلين بها لا يقولون بلوازمها التى قال بها الفلاسفة فنعوذ الذلك السموات ونحوها اعاذنا الله تعالى من ذلك وهى ذوات مواد لكل منها مادة مخصوصة لا نعلمها بل الله تعالى يعلمها نعم صح ان السماء الدنيا موج مكفوف ولا اقول بما شاع وذاع وملاء الاسماع من ان بعضها من فضة وبعضها من ذهب وبعضها من نحاس وبعضها من مرمر وقد شنع الامام الرازى على القائلين بذلك غاية التشنيع ولعل ما يروونه من الاخبار فى ذلك لا يعول عليه والظاهر انها مما توصف بالرؤية مبنية للمفعول حقيقة ولا يأبى ذلك ما بين الابصار وبين السماء الدنيا من الهواء كما لا يأبى ذلك رؤية القمر وسائر الكواكب وزعمت الفلاسفة ان المرئى كرة البخار لا غير وان السموات نفسها شفافة لا لون لها فلا ترى اصلا وهى مملوءة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع راحة الا وفيه ملك راكع لله او ساجد وصرح كثير من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام بانها خالية من الكواكب السيارة خلو الكرسى المسمى بفلك الثوابت بزعم الفلاسفة مما يسمونه بالثوابت فالنجوم صغيرها وكبيرها بطيئها وسريعها فى البحر المكفوف الذى نسبة بحار الارض اليه كالقطرة بالنسبة الى البحر المحيط وهو دون السماء بفراسخ والنجوم فيه معلقات بسلاسل من نور بايدى ملائكة فى السماء الدنيا تجرى بامر الله تعالى بما شاء وكيف شاء وقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح على حد زينة السقف بالقناديل او هى فى نفس السماء الدنيا وهى كما سمعت موج مكفوف ولكل منها فلك فيها وهى مجرى الكوكب كما روى ابن

مسعود وليس نفس السماء كما اشتهر وتتفاوت ارتفاعا وانحطاطا لما ان
تحت السماء وكذا كل سماء خمسمائة سنة كما نطقت بذلك الاخبار والافلاك
في ذلك التحت وان تحقق عندنا ان نحسنها ما ارتفاعه اكثر من خمسمائة
سنة التزمنا زيادة التحت وقلنا ان العدد لا مفهوم له او قلنا ان
ذلك المرتفع ليس في السماء الدنيا بل هو حيث شاء الله وليس في قوله
تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح ما يدل على ان كل الكواكب فيها نفسها
بل هو ايضا ليس بنص في انه ما زينت به مظروف فيها لجواز ان يكون
من باب زينت السقف بالقناديل كما سمعت آنفا والخسوف والكسوف
للشمس والقمر قيل لانحرافهما عن موضع سيرهما وحيلولة الامواج
بيننا وبينهما باضطرابهما فرقا عند تجلي الملك المتعال على
العالم العلوي بالهيبة والجلال وقيل لحيلولة الارض بين
الشمس والقمر وحيلولة القمر بين الشمس والرائي وبه اقول
ولا يتحاشى من القول به لكونه من معتقدات الفلاسفة كما حقق
ذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة نعم هم حكموا في كثير
من المسائل عقولهم فضلوا وعدلوا عن الصراط السوي واضلوا
ولقد احسن العضد رحمه الله تعالى في كتابه المواقف انه لما ذكر هيئة
الارض والافلاك واطال في ذلك على حسب ما نص عليه المنجمون
اعتذر عن ذكره تلك الامور بان قال اوردناها لتقف على مقصدهم
واذا رايته محض تخيلات اوهن من بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت
لا يهولك سماع هذه الالفاظ ذوات القعاقع انتهى وهذا الذي ذكرته
هو ما اختاره بعض المحققين وقصارى ما اقول انه لم يأت في
تفصيل امر السموات والكواكب خبر يعول عليه ومعظم ما ذكره
الجلال السيوطي في كتابه الهيئة السنية لا ينبغي ان يلتفت اليه وانما
لم يفصل ذلك الشارع عليه الصلاة والسلام لكونه ليس من
الامور المهمة في نظره ويرشد الى ذلك قوله تعالى يسألونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج بناء على ما ذكره غير واحد من
ان الجواب فيه من الاسلوب الحكيم فافهم هذا واما الارض فهي سبع

سبع ايضا بدليل قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يعنى سبعًا لكن اختلفوا فيهن فذهب الجمهور كما قال القرطبى الى انها سبع
ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين
السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله تعالى يشاهدون
السماء ويستمدون من ضوئها وهذا مما لا نعقله الا ان تكون كل ارض
من تلك الارضين قد امسكتها يد القدرة فى هذا الجو الواسع لعظيم
او انها طائرة باجمعها على حد ما يزعمه الافرنج اليوم فى ارضنا هذه
وقيل لا يشاهدون السماء ولهم ضياء يستضيئون به والله تعالى
على كل شئ قدير * ونقل الكراشى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ان فى كل ارض ادم كادمكم ونوحا كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى
كعيسى وليس المعنى ان الله يبعث فى كل ارض ادم ونوحا وغيرهما كما بعث
فى ارضنا بل معناه ان فى كل ارض خلقا لله تعالى سادة يقومون عليهم
مقام هؤلاء الكرام فينا معشر الانام وذهب الضحاك الى انها سبع ولكنها
مطبقة بعضها على بعض من غير فتق وخلا بينهما ونقل ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما ان الارضين السبعة منبسطة ليس بعضها
فوق بعض تتفرق بينها البحار * وتظل الجميع السماء
بقدرة الملك الجبار قال القرطبى والاول اصح لانه الذى تدل عليه
الاخبار وتشهد له الاثار وهى على الارجح عند اكثر العلما مخلوقة
قبل السماء نعم بسطها بعد وهو المراد بقوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها وهل مسطحة او كورية فيه خلاف والاصح عندى الثانى
والدحو والمهد والفرش لا تنافى ذلك لما انها كرة عظيمة والتضاريس
لا تخرجها عن الكورية لانها بالنسبة الى جرم الارض كلا شئ وزعم
الافرنج الى انها مسطحة فى جهتى القطبين نحو اربعة فراسخ ونصف
ومحيطها تسعة الاف فرسخ فرنساوى وهو مسيرة ساعة تقريبا
وقطرها الفان وثمانمائة وخمسة وستون فرسخا وشاع ان سعتها
خمسمائة سنة ولا يكاد يصح اصلا بل هى اقل من سنة بكثير كما قاله
العلامة ابن حجر الهيتمى فى كتاب كف الرعاع عند الكلام على حكم الشطرنج

فارجع

فارجع اليه ان شككت والسماء على الصحيح افضل منها ما عدا مرقد
النبي صلى الله عليه وسلم بل هو افضل من عرش الرحمن كما صرح به
الجم الغفير من الاعيان ومتى كان المرقد الجليل جزأ من الارض صح
اطلاق القول بانها افضل من السماء فتدبر ولا تغفل ولعل مراقد
الانبياء الكرام مستثناة كقبر نبينا عليه افضل الصلاة واكمل السلام
لم ار تصريحا بذلك والقياس غير بعيد والله تعالى على كل شئ شهيد
ولولا خوف الاطناب لاتيت في هذا المقام بالعجب العجاب وللسادة
الصوفية في هذا المقام كلام تتحير فيه الافهام لا يعقله الا كل ذى قلب
سليم ولا بدع فوق كل ذى علم عليم شعر

وكم من عائب قولا صحيحا … وآفته من الفهم السقيم

واراد بقوله (رواعد) مضطربات او مصوتات من هول ما رات
والرعد عند الفلاسفة صوت يحدث عند اصطكاك اجرام الهوى
ولذلك اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من البرد الى الحر او العكس
لانه يأتى البرد فيصادف الهواء حارا او بالعكس فتحدث اصوات
الرعد كذا قيل وشاع بين المسلمين ان الرعد ملك وقيل صوت ملك
يزجر السحاب الى الجهات التى يريدها الله تعالى وقد حكى عن ابن
عباس ما يوافقه قول الفلاسفة وليس قوله تعالى يسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته نصا فيما يأباه وان من شئ الا يسبح بحمده
فافهم والله تعالى اعلم (وحاصل المعنى) ان هذا الزمان الذى هو
معدن الاكدار والاحزان اثار من علماء الدين وعظماء المسلمين مضاعف
الحزن ومزيد الجوى * حيث رماهم بالبم النوى * واذاقهم الحنظل بكاسات
النوى * واصابهم بامر عظيم تضطرب له السموات السبع بل والعرش
الكريم * واراد بهذا الامر المر * الذى كدر كل حر * ما اشار اليه بقوله الاتى
مصاب الخ وكيف لا يكون مثل ذلك من اعظم المصائب * وامر
النوائب * وموت العلماء ثلمة لا تسد * وبلية خارجة عن الحد *
لا سيما مثل هذا العالم الذى شهدت بفضله العوالم * حيث جمع الى
العلم زهدا * وزاد على الزبد شهدا * فهو كما قيل فيه * من غير

شك ولاتمويه

ايها المادح الذى رام عدا | لمزايا سمون فضلا ومجدا
ومعان اذا بدت قلت فيها | كسبت البدر والغزالة بردا
هى بيض لما العبادة منه | اذن تجعل البنا وة خلدا
ارضع الفضل والنجابة طفلا | وسعى للعلوم والزهد ولدا
ترك المال والحطام واسو | جاملا ذكره على القلب وردا
عود القلب كل صهبا وذكر | من يذق صرفها تعود رشدا
رق فى الذكر مشربا فترى النا | س سكارى مذ احتسوا منه شهدا
مشرب لم يشب باقذاء دنيا | وطريق تهدى الى الله عبدا
نبذوا النفس واستكانوا ليلفوا | اكرم الخلق فى القيامة وفدا
من يرد مورد الهوى صار مولى | يبصر الكون باللواحظ عبدا
هم اناس لهم شؤون ارتنا | حكما تملأ البسيطة عدا
حرسوا الدين بالنفوس اللواتى | قدما توا ليحرزوا ما اعدا
لا تخل غير طرقهم لك تنجى | من لظى فاتق ما نحوه مجدا
ان تمد وك بالنفائس منهم | ترق من فضلهم بقاعا وغيدا
فاذا رمت للاله وصولا | فاقفون خالدا لترزق خلدا
علم الف العبادة حتى | صار فى حلية الولاية عقدا
حسدوا فضله فزاد سموا | وقلوه فزاد فى الله ودا
ان يروموا من سره كتم شئ | فهو كالنور ان كتمت تبدى
عوذ الله مجده من حسود | لم ينل اذ بغى ثناء وحمدا
لا رعى الله حاسدا رام كتما | لمزايا اكبرتها لا تعدا
لى قلب هو الدليل عليها | ودليل الفؤاد ما قط ردا
ان فضلا لخالد لسنها د | ان عينا تنفى النهار لرمدا

انتهى * فاذا علمت ذلك وتحققت ما هنا لك تيقنت صدق الكلام السابق * وجزمت بصحة المقال اللاحق * والله سبحانه وتعالى اعلم

قال الناظم

مضار نيسل العارفين عصامها | ومرشدها اذا عوزتها المراشد

أوله

اقوله (المصاب) بضم الميم الاصابة وهو بالجر بدل من وقع او عطف بيان له وبالرفع خبر لمبتدا محذوف اى هو مصاب وتكون الجملة ح مستانفة استئنافا بيانيا واضافته الى رئيس من اضافة المصدر الى مفعوله قال الحارث بن هشام المخزومى

اظلوم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم

وليس مصاب فى البيت اسم مفعول من اصابته مصيبة فهو مصاب كما وهم ولهذا البيت يشهد بفضل الادب وكياسة ويرغب الراغب عنه فى اقتباسه ودراسته ولا باس بايراده ولا ضير باستطراده ومساقه ما رواه ابو العباس المبرد قال قصد بعض اهل الذمة ابا عثمان المازنى ليقرا عليه كتاب سبويه وبذل له مائة دينار عن تدريسه اياه فامتنع ابو عثمان من قبول بذله وصبر على رده قال فقلت له جعلت فداك اترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على كذا وكذا اية من كتاب الله تعالى ولست ارى ان امكن منها ذميا غيرة على كتاب الله عزوجل وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول المخزومى اظلوم ان مصابكم رجلا البيت فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه قال ابو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال اى الموازن امازن تميم ام مازن قيس ام مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى اول الاسما فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لان لا اواجهه بالمكر فقلت بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدته واعجب به ثم قال ما تقول فى قول الشاعر اظلوم ان مصابكم رجلا ام تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا امير المؤمنين قال ولم ذاك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصاب

ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول ظلم فيتم الكلام فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنت يا امير المؤمنين * قال ما قالت لك عند مسيرك قلت انشدت قول الاعشى

ايا ابتا لا ترم عندنا فانا بخير اذا لم ترم
ارانا اذا اضمرتك البلا د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال على النجاح ان شاء الله تعالى ثم امر لى بالف دينار ورد فى الى وطنى مكرما قال ابو العباس فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا ابا العباس رد نا الله تعالى مائة فعوضنا الفا ذكر هذا الخبر جمع من الخواص ومنهم الحريرى فى درة الغواص والحق انه لا يتعين النصب فى البيت وان اردت تحقيق ذلك فارجع الى شرح الدرة للشهاب الخفاجى عليه الرحمة اوفتامل ( والرئيس ) الكبير ويقال فيه ريس كقيم * ( والعارفين ) جمع عارف وهو العالم والعارف ايضا الصبور يقال اصيب فلان فوجد عارفا والعرف مثله * قال عنترة

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا اذا نفس الجبان تطلع

يقول حبست نفسا عارفة اى صابرة والعارف عند القوم من اشهده الله تعالى ذاته واسمائه وصفاته وافعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود والعالم عندهم من اطلعه الله تعالى على ذلك لا عن شهود بل عن يقين وقيل غير ذلك فهم يفرقون بين العلم والمعرفة وعندنا قولان عدم التفرقة والتفرقة بان المعرفة مخصوصة بالجزئيات او البسائط او ما تكون بعد الجهل والعلم ليس كذلك وفى جواز اطلاق العارف عليه تعالى قولان وصحح الشهاب الخفاجى فى حواشيه على تفسير البيضاوى الجواز وذكر انه وقع فى بعض خطب امير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم ولا خلاف فى اسناد يعلم بمعنى يعرف اليه سبحانه على ما وقفت عليه ومن الغريب ما ذكره

الراغب فى مفردات من انه لا يجوز اسناد الدراية اليه تعالى فلا يقال الله تعالى يدرى لان الامر كذلك الا ان الدراية علم يتوصل اليه بنوع حيلة ولم اقف عليه لغيره ومجاز الاطلاق والتقييد شائع فلا تغفل (والعصا) ما يعتصم به خوف السقوط ويطلق على رباط القربة وسيرها الذى تحمل به قال امرؤ القيس

وقربة اقوام جعلت عصامها ... على كاهل منى ذلول مرحل

وعصام ايضا اسم حاجب النعمان بن المنذر وهو المراد بقولهم ما وراءك يا عصام وفى المثل كن عصاميا ولا تكن عظاميا يريدون به قوله

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والاقداما *

وصيرته ملكا هماما

وحاصله كن ممن يفتخر بنفسه * لا ممن يفتخر بمن صار عظاما فى رمسه * فان الافتخار بالرمم من دناءة الهمم * والتبجح بالاموات * عند الاكابر من الدناآت * ولله در من قال * واحسن فى المقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان ابى

(والمرشد) من الارشاد خلاف الاضلال وقد رشد بالفتح يرشد رشدا بالضم ورشد بالكسرة رشدا لغة فيه (واعوزتها) من اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه (والمراشد) مقاصد الطرق كما فى الصحاح والقاموس والظاهر اذ بمعنى اذا وجوز ان تكون على اصل معناها وان تكون للتعليل مثلها فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون على قول فتدبر * وحاصل المعنى ان ذلك الوقع الذى اضطربت لاجله السبع الطباق * وضاق لسعة فضاعته الخناق * وحل بالعالم ما لا يطاق * هو غلط الزمان * باصابته بسهام حتفه * ونبال حيفه * حضرة رئيس العارفين ومتمسك الطائفة الذين هم من بحار المعرفة غارفين * ومرشدهم سواء الطريق حيث احتاجوا اليه اذ هو المعول فى ذلك الامر عليه *

ولسان حاله يصدح معلنا * ويصدع مبرهنا

ستفقدني قومي اذا جد جدهم . وفي الليلة الظلما يفتقد البدر

ولله در من قال وكان تراشا الي هذه الحالة

الا في سبيل الله ماذا تضمنت . بطون الثرى واستوحش البلد القفر

بدور اذا الدنيا دجت اشرقت لنا وان اجدبت يوما فانهم القطر

فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر

حياتهم كانت لاعدائهم عمى وموتهم للفاخرين بهم فخر

اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

ثم ان في هذا البيت ظهر تخلص الناظم كما لا يخفى ذلك على طالب علم فضلا عن عالم . واصل التخلص حصل في الشطر الثاني من البيت الاول ولا يخلو عن حسن ومن المستحسن في هذا الباب قول المتنبي الذي سحر به العقول والالباب

ويوم وصلناه بليل كانما على افقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كانما على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته ان عامرا علا لم يمت او في السحاب له قبر

وقوله ايضا

خليلي اني لا ارى غير شاعر فلم منهما الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن المقدم ايضا فيه قول القاضي الفاضل النبيه من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين مطلعها

ترى اتجنيني او حنين الحمائم جرى فبكت دمعي دموع الغمائم

الى ان قال وازرى باللآل

وحمل من ضلوع او ربوع ترحلوا وكل اراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا وان كان يهفو بالغصون النواعم

تاخرت في حمل السلام عليكم لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الاحاديث الناظري يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فوادي بعدكم قد فطمته عن الشعر الا مدحة لابن فاطم

وحسن التخلص كثير في الكلام . يعجز عن ادراك حصره جواد الاقلام *

قال /

قال الناظم

تهدم بيت الدين بعد عماده ومادت بنا اركانه والقواعد

اقول (تهدم) من الهدم نقيض البناء (والبيت) معلوم (والدين) تقدم معناه ويطلق ايضا على الجزاء كما قاله غير واحد فى قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين * اى غير مجزيين وانشدوا شعرا

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دنوا

اى جازيناهم كما جازوا ومن ذلك قوله تعالى مالك يوم الدين قال قتادة مالك يوم تدان فيه العباد اى يوم يجازون باعمالهم * ويطلق ايضا على السلطان قال زهير

لئن حللت بجو فى بنى اسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

معناه فى سلطان عمرو وعلى الطاعة ايضا ومن ذلك قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك معناه فى طاعة الملك وعلى العبودية والذل ايضا جاء فى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت اى من استعبد نفسه واذلها لله تعالى قال الاعشى

هو دين الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال

ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الاقوال

يعنى اذلهم فذلوا وقال القطامى

رمت المقاتل من فؤادك بعدما كانت نوار تدينك الاديانا

معناه تستعبدك بحبها ويطلق على العادة ايضا قال المثقب العبدى

تقول اذا درأت لها وضينى اهذا دينه ابدا ودينى

أكل الدهر حل وارتحال اما يبقى على ولا يقينى

وعلى الحال قال النضر بن شميل سالت اعرابيا عن شئ فقال لى لو رايتنى على دين غير هذا لاخبرتك وروى ابو عبيدة قول امرء القيس

كدينك عن ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بماسل

اى كعادتك ذكر جميع ذلك القالى فى اماليه ولحسنه اتبعنا البنان فيه

(وبعد) ظرف زمان وقد تكون للمكان كدار زيد بعد دار عمرو والكلام فيها مشهور وهو في كتب النحو مسطور (والعماد) ما يعتمد عليه البيت والضمير راجع اليه وله معان كثيرة ذكرها في القاموس (وماد) من باب باع يقال ماد يميد ميدا وميدانا بفتح اليا اذا تحرك والباء في بنا للملابسة على ما هو الظاهر وعنى بضمير الجمع معشر المسلمين اهل الدين ولا يستبعد الواقف على حال الناظم ان حمله على الصوفية وان في كونه من المسلمين فضلا عن كونه من الصوفية ترددا (والاركان) الجوانب جمع ركن مثل قفل واقفال (والقواعد) قيل عطف تفسير على الاركان والمشهور انها جمع قاعدة بالها وهي الاساس لما فوقه والقواعد من النساء اللاتي قعدن عن التزوج لعدم الرغبة فيهن لكبرهن ومفرد هذه قاعد بغير ها كحائض كما في مجمع البحرين فليحفظ * وحاصل المعنى انه لما ارتحل هذا العماد * وسار مرشد العباد * في سائر البلاد * حل بالدين امر عظيم * وخطب جسيم * حيث تهدم بناؤه * وقرب من الفناء فناؤه * ومادت اركانه * واهتزت لعظم المصاب جدرانه * ولعمري هذا اقل قليل * واليسير موجود في فقدان مثل هذا الفاضل الجليل * فلقد كانت به الشريعة تختال مرحا * والحقيقة على الحقيقة تهتز فرحا * الى ان ذهب الى ربه وحظي اذ بعد عنا بمزيد قربه * فترك ازهار المعارف ذابلة ذاوية وديار اللطائف بالية باكية * عسى الله تعالى ان يجبر كسر الدين بمثله * ويطفي حرقة المسلمين بفضله * وان كان لسان الحال يصدع * وشحرور اللسان يصدح لمن يسمع

حلف الزمان ليأتين بمثله        حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولكن الله تعالى على ما يشاء قدير * وبالاجابة لمن دعاه جدير * وفي الحديث امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام اخره

قال الناظم

امن بعده يحلو الوصال لعاشق        لحضرة قدس وهو للشيخ فاقد

اقول (امن بعده) لستفهام معناه النفي (ويحلو) مضارع حلا

من الحلاوة نقيض المرارة يقال حلا الشئ يحلو حلاوة واحلولى مثله وقد عده حميد بن ثور فى قوله

فلما اتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دماثا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا بهذا الحرف وحرف اخر وهو اعروريت الفرس قاله فى الصحاح (والوصال) كالوصل ضد الهجر ويطلق على عدم الفطر ليلا ولله در من قال

بليت بفقيه اذا جدالك — يجادل بالدليل وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو — فقال نهى النبى عن الوصال

ومثل هذا ما لبعضهم فى مليح اسمه رمضان

رمضان جئته رمضانا — وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت صلنى فقال وهو مجيب — لا يجوز الوصال فى رمضان

وعند القوم بالوصال الرؤية والمشاهدة التى لا تحصل الا بمتابعة الصراط المستقيم والدين الحنيفى القويم وحمل القالب على المجاهدة * والنفس على الرياضة والقلب على المراقبة والسر على السير والروح على طلب المحبوب الى ان يصل الى سر الروح وهو الخفى ويصل الى علم الحقيقة فان الخفى عالمها فاذا اطلع السر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر لان السر سراج النفس والقلب والعقل به يبصرون الحقيقة وهذا فى مبادى الحال فاذا تمكن المريد من الحقيقة وترافع فى المراقى تقدم النفس على السر والروح والخفى وصار اقوى والطف من السر والروح فيكون النفس والقلب والعقل فى باطن البدن ويكون شعاعه فى اعلى عليين فى عالم الجبروت لا يصل اليه الملائكة المقربون (والعاشق) من العشق وقد تقدم معناه واراد به هنا المحبة العظيمة وذكر بعضهم ان العشق من العشقه وهى نوع من اللبلاب يلتف على الاشجار حتى يجففها وسمى هذا به من جهة التشبيه لانه يجفف صاحبه ويذهب عنه رونق الحياة قال الشاعر

فذا العشق ماخوذ من العشق الذى — اذا التف بالقضبان جفف رطبها

وقال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى الباب الثامن والخمسين والخمسمائة من الفتوحات المكية فى حضرة الود العشق ماخوذ من العشقة وهى اللبلاب التى تلتف على شجرة العنب وأمثالها فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر الى غير محبوبه وذكروا ان من جملة المقامات للسالك مقام العشق وهو مقام لذة حتى ان العاشق من عظم ما يرى من اللذة لم يرد الترقى عن مقام العشق مع ان العشق حجاب عن المعشوق ولا يرغب فى الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر والكآبة وتقطع الاحشاء مما هو مسبب عن العشق بل يطلب دوام هذه الحالة عليه

قال سلطان العارفين مخاطبا للذات العلية

ولولفناه من فنائك ودّ لى فؤادى لم يرغب الى دار غربتى

فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين وان كانت بالنسبة الى ما فوقها من الحالات مذمومة حتى ان الكامل اذا تذكر حالة العشق * واوقاته تراه يتحسر لما فيها من خلع العذار وعدم المبالاة لكنها مع المجاهدة والرياضة حالة صادقة وصاحبها صادق فى جميع ما يقوله من اشعار العاشقين واذا تكلم تكلم بحرقة وتاوه ناشئ من قلبه وهى مع عدم المجاهدة والرياضة حالة كاذبة وليس لما يقول من اشعار العاشقين طعم ولا له فى القلوب تأثير تمجه النفس اذا سمعته وقد اخبر عن هذا العاشق سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض

قدس سره حيث قال

تعرض قوم للغرام واعرضوا بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا

رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

فهم فى السرى لم يبرحوا عن مكانهم وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا

وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الهدى حسدا من عند انفسهم ضلوا

ثم ان العشق سار فى جميع الموجودات فان كلا منها نازع الى كماله نافر عن النقص الخاص به وعشق الصور الحسنة والهيئات المستحسنة ان كان باعتبار عقلى فهو محمود وان كان لاجل لذة حيوانية فهو مذموم والمتصف به لذلك احق بان يسمى فاسقا منه بان يسمى عاشقا

بالاعتبار الاول قد يكون قنطرة الى العشق الحقيقى الذى هو جناح للطيران الى حظائر القدس ولا يأبى ذلك حب المعانقة والتقبيل اذا كان الغرض فيهما هو التقرب والاتحاد نعم يأباه حب المباضعة والعاشق الصادق بمعزل عن ان تخطر بباله * بل لو دعى اليها لاختار عليها عظيم نكاله * وللعشق علامات منها تغير اللون وتعثر اللسان عند رؤية المحبوب

كما قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده ... اذا ما رأى المحبوب ان يتغيرا
ويصفر منه الوجه بعد احمراره ... وان طالبوه بالكلام تعثرا

وله علامات اخر تعرف من اراد لا نحصرها هنا ولعمرى ان هذا المقام بحر فهيهات ان ينزف بما قبر الاقلام * او ينصب ماؤه بدلا الا رقام * وجميع ما ذكرناه قطرة من حوضه او زهرة من زهرات روضه * والميسور لا يسقط بالمعسور * فخذ ما اتيناك وكن من الشاكرين (والحضرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة اراد بها المكان والمحل ويقال كلمته بحضرة فلان وحضرته بضم الحاء اى بحضوره وتطلق الحضرة على الرجل الكبير كانه لعقله ومزيد تصوره فى القلب حاضر فى كل مكان ولهذا شاع اطلاق اللفظ على جناب الشيخ قدس سره حتى اذا اطلق فى بغداد وما والاها لا ينتقل الذهن الا اليه * ولا يدل بهذا اللفظ الا عليه وهو الحرى بذلك * والحقيق بما هنالك و(القدس) بضم القاف وسكون الدال قال فى الصحاح القدس والقدس الطهر اسم ومصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس ويطلق على جبرائيل عليه السلام كالقدس بضمتين (والشيخ) فى اللغة كالشيخون من استبانت فيه السن او من خمسين او احدى وخمسين الى آخر عمره او الى الثمانين وفى كتاب اسرار اللغة ان الانسان ما دام فى الرحم فهو جنين فاذا ولد فهو وليد ثم ما دام يرضع فهو رضيع ثم اذا قطع عن اللبن فهو فطيم ثم اذا دب ونما فهو دارج فاذا بلغ طوله خمسة اشبار فهو خماسى فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور فاذا نبتت اسنانه فهو متشور بالتا والثاء عن ابن عمرو فاذا كان يجاوز العشر سنين او جاوزها فهو مترعرع وناشئ فاذا

كاد يبلغ الحلم او بلغه فهو يافع ومراهق فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور ويسمى في جميع هذه الاحوال غلاما فاذا اخضر شاربه واخذ عذاره يسيل قيل قد بقل وجهه فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه هو مجتمع ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفي الستين ويقال اذا ظهر فيه الشيب وخطه الشيب ثم يقال شاب ثم شمط ثم شاخ ثم كبر ثم هرم ثم دلف ثم خرف ثم اهتر ويقال محى ظله اذا مات انتهى فلا تغفل وفي اصطلاح القوم هو الانسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ الى التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وامراضها وادوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها وتمكنه من القيام بهداها ان استعدت لاهتدائها والله سبحانه وتعالى هو الهادي الى سواء السبيل (والفاقد) غير الواجد ويطلق الفاقد على المراة التي مات زوجها او ولدها والمتزوجة بعد زوجها وحاصل المعنى انه بعد فقد هذا الشيخ الكامل * والمرشد الواصل * والعارف الفاصل * بين الحق والباطل * لا يحلو الوصال لمحب رباني * والِهٍ صمداني * اذ مع فقد هذا الشيخ لا تصفو له مناهل الوصال * ولا تكشف له على الكمال براقع الجمال * ويحتمل ان اراد ان فقد هذا الشيخ الذي هو رئيس ذوي الارشاد لمزيد عظمته يكون سببا للخطرة في الفؤاد ومع الخطرة تعود مناهل الوصال مرة فقدبر

قال الناظم

الا من مغيث السالكين اذا كبت ... وذلت بهم اقدامهم تمايد

اقول (الا) كلمة استفتاح مثلها في قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولها استعمالات مذكورة في المغني وغيره (ومن) للاستفهام ولها ايضا استعمالات اخر (والمغيث) المعين ومنه الغوث وهو القطب ويفسرونه بانه الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانساني والمقام الرحماني وذكروا ان له اربعة اعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه وياكل الحلال

وستة باطنة الفناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وهذا
هو الذى يسمى بالغوث اذا كان الوقت يقتضى الالتجاء الى اعانته وسيأتى
لهذا البحث تتمة ان شاء الله تعالى (والسالك) الداخل واراد به ما هو
الشايع على لسان القوم وهو الذى مشى على المقامات بحاله لا بعلمه
وتصوره فكان العلم الحاصل له فى مسافة ترقيه عيانا يأبى ورود الشبهة
المضلة له ويطلق على المتلبس بالسير الى الله تعالى وله مقامات سبعة
اولها * مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة * والثانى
مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامة * والثالث * مقام الاسرار
وتسمى النفس فيه بالملهمة * والرابع * مقام الكمال وتسمى النفس فيه
بالمطمئنة * والخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية *
والسادس * مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية *
والسابع * مقام تجليات الصفات والاسماء وتسمى النفس فيه بالكاملة
وكل من كان فى مقام من هذه فهو محجوب عما بعده ومن كان بالسابع
فهو محجوب بتجليات الاسماء والصفات عن تجلى الذات بل هو ممتنع على
التحقيق وان وقع فى كلام البعض فهو مؤول وللنفس فى كل مقام عشرة
حجب كل حجاب اكثف مما قبله وكذلك حجب كل نفس اكثف من حجب
النفس التى بعدها وتفصيل ذلك يطلب من محله نسأل الله تعالى
ان يجعلنا من ذوى الفيض واهله (وكبت) اى سقطت يقال كب
كبوا اى انكب وسقط على وجهه (وزلت) اى زلقت (واقدامهم) جمع
قدم وهى مؤنثة كما قال الامام ابن الشحنه وغيره خلافا لما يوهمه كلام
الجوهرى حيث قال والقدم واحد الاقدام ولم يقل واحدة بالتانيث
وقد ذكر الامام فى شرحه على الهداية الفقهية للمرغينانى ما يؤنث
فقط من اعضاء الانسان وما يذكر فقط منها وما يؤنث ويذكر واتى بما
لم يدع بعده مقالا لقائل واشتهر ان كل عضو مكرر كالاصبع والعين
والقدم مؤنث وليس كذلك فان الحاجب والصدغ والكوع والجفن والمحجر
والحلاق وهو باطن الجفن والحجاج وهو العظم المشرف على غار العين
والماق وهو طرف العين الذى يلى الانف والمصير واحد المصارين

والثدى والظفر الى غير ذلك كلها مكررة مع انها مذكرة (وتمايد) اى تحرك وتضطرب من ماد يميد ميدا وميدانا تحرك والسراب اضطرب والرجل تبختر * ثم لا يخفى ما فى هذا البيت فانه اذا جعل قوله كبت وزلت بهم اقدامهم من باب التنازع ففيه نسبة الكبو الى الاقدام ولم نره مستعملا فى فصيح الكلام * بل يكاد ان لا يصح عليه الاقدام * وان لم يجعل من ذلك الباب بل جعل فى كبت ضمير راجع الى السالكين ملاحظا فيه معنى الجماعة ففيه ان هذه الملاحظة انما هى فى جمع التكسير كما لا يخفى على خبير * وحاصل معنى البيت بعد تحرير الكلام ظاهر عند ذوى الافهام قال الناظم

الا من لتدريس التصوف بعده    يفيد متى تخفى هناك الفوائد

اقول (التدريس) الاقراء من درس الكتاب اقراه ويقال ايضا درس وادرس كما يفهم من القاموس (والتصوف) هو كما قال الشيخ قاسم الخانى الوقوف مع الاداب الشرعية ظاهرا وباطنا فيرى حكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل من الحكمين كمال ليس بعده كمال وقيل اخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم بين قوم كرام وقيل هو كمال الانسان بالاسلام والايمان والاحسان * وقيل هو صفاء المعاملة وتحقيق المنازلة * وقيل هو ارسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقيل التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار * وقيل هو الاخذ بالحقائق واليأس عما فى ايدى الخلائق * وقيل ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع * وقيل انه الوطء على جمر الغضا الى منازل الانس والرضى * * وقيل تشرف الصادى عن الكدر الى صفاء الورد من غير صدر * وقيل هو التوجه بالعبادة وطلب الحسنى والزيادة وانشدوا

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا    فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى    صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

وفيه بعد اقوال كثيرة غير ما ذكرنا لو ذكرناها لطال الكلام وضاق

المقام * والذى يميل اليه كثير من السادة ما يفهم من هذين البيتين وعليه فوجه تسمية السالك بذلك صفاء قلبه وطهارة باطنه * وظاهره عن مخالفة ربه فنى لفظه على هذا قلب فاصله صفو بالواو لكنه قدمت الواو على الفاء لان مصدره المجرد الصفو قاله غير واحد ومنه الولى مما قيل ان وجه التسمية لبس الصوف كما لا يخفى * وقد ذكر بعضهم للتصوف اركانا عشرة خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن * اما الاولى فالخدمة والخرقة والخلوة والصحبة والفتوة * واما الثانى فالعلم والعمل والحال والقلب والمعرفة * وقال بعضهم اول التصوف علم واوسطه عمل واخره موهبة فالعلم المكشف عن المراد والعمل المعون على المطالب والموهبة التبليغ الى غاية الامل وبالجملة فالتصوف عين الرتب وغاية المبتغى اسكرنا الله بشراب محبته وحشرنا مع زمرة احبته * والظاهر ان الكلام على حذف مضاف اى لتدريس علم التصوف اوكتب التصوف اى العلم الذى يبحث عما يلزم فى التصوف او الكتب التى تبحث عن ذلك او نحو هذا (وتخفى) من الخفاء بمعنى عدم الظهور * وقال الاصمعى يقال خفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد واراد بقوله بعده الزمن الذى بعد فقده (والفوائد) جمع فائدة وهى لغة ما حصلت من علم او مال واصطلاحا المصلحة المترتبة على الفعل من حيث هى ثمرته ونتيجته وهى والغاية متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار كما ان الغرض والعلة الغائية كذلك قال السيد السند قدس سره اذا ترتب اثر على فعل فذلك الاثر من حيث انه نتيجة لذلك الفعل وثمرة له يسمى فائدة ومن حيث انه على طرف الفعل ونهايته يسمى غاية ففائدة الفعل وغايته متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار ثم ذلك الاثر المسمى بهذين الاسمين ان كان سببا لاقدام الفاعل على ذلك الفعل يسمى بالقياس الى الفاعل غرضا ومقصودا ويسمى بالقياس الى فعله علة غائية فالغرض والعلة الغائية متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار وان لم يكن سببا لاقدام كان فائدة وغاية فقط فالغاية اعم من العلة الغائية انتهى فليتدبر * وحاصل المعنى

الى ان ذهب هذا النحرير والعارف الخبير والمعارف الربانيه والعوارف الصمدانية درست مدارس العلوم وعفت معالم الفهوم فترى بيوت العلم بعد فقده خرابا وربوع الفهم موحشة يبابا لا يجيب للسائلين فيها الا الصدا ولا يغيث الظامين بها الا الصدا * فمن لتدريس علوم التصوف من بعده * واظهار خفى فوائدها بعد بعده * فلقد كان والله جذيلها المحكك وعذيقها المرجب سهروردى عصره وتلمسانى مصره قدس الله تعالى روحه * واصلى فى الجنان فتوحه هذا والذى شاهدناه نحن من احواله انه كان يشتغل بتدريس كتب الفقه كالنهاية فى فقه * الشافعية للرملى وكتب العقائد كشرح النسفية للعلامة الثانى وما يتعلق بها من الحواشى كالخيالى وحواشى الحواشى كعبد الحكيم السالكوتى وله تعليقات عليه جمعت فبلغت نحو عشر كراريس ولم نشاهده يدرس شيا من كتب التصوف بل رايناه ينهى عن النظر فى بعض كتب السادة الصوفية كالفتوحات والفصوص ومعظم كتب الشيخ الاكبر قدس سره نعم كان عليه الرحمة اذا سئل عن بعض دقائق التصوف بحرا مواجا يسوق الى قلوب السامعين لطائف المعانى افواجا افواجا

قال الناظم

الامن لتلقين الاوامر يعتد * يلقن اذ يسهو عن الذكر حافد

قوله (التلقين) كالتفهيم كذا فى الصحاح والقاموس وفى الحديث لقنوا امواتكم لا اله الا الله فقال فيه غير واحد اى ذكروا وفى مجمع البحرين يقال لقنه الشئ فتلقنه اذا اخذه من فيك مشافهة وفى المصباح لقن الشئ وتلقنه ثم قال وهذا يصدق على الاخذ مشافهة وعلى الاخذ من المصحف وعند القوم تعليم الشيخ العارف المريد الصادق كلمة الذكر التى هى حياة الارواح وقوام الاشباح وقد ذكروا ان الذكر قسمان ذكر بالتقليد وهو ما يدخل فى مسامع المستمعين من طريق افواه العامة مثل ترديد الوالدين وغيرهما من المعلمين وهو نافع فى دفع الاعداء وليس له قوة الحماية للذاكر وتبليغه الى مقام الولاية والقرب من الله تعالى وذكر بالتلقين وهو ما يؤخذ بالتلقين من صاحب

بتصرف اخذه من اخر مسلسلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
هو الذكر الذى يتصرف فى باطن المريد المستعد اذا غرس بارض قلبه
بالتلقين وربى بالاعمال الصالحة بدهنقة المتابعة ونظر شمس الولاية
فانها تؤتى اكلها من المكاشفات والمشاهدات كل حين باذن ربها
ويمكن ان يثمر له ثمرة معرفة الولاية والوصول الى ذروة المحبة اذا رباه
بماء الارادة والصدق والاخلاص ويشترط فى التلقين عندهم
رضى الله تعالى عنهم ان يصوم المريد ثلاثة ايام بامر الشيخ ويكون
فيها دائم الوضوء دائم الذكر قليل الطعام قليل الكلام قليل المنام قليل
الاختلاط مع الانام ثم يغتسل باذن الشيخ وينوى نية غسل الخروج من
الغفلة الى الحضور فى المراقبة مع الله تعالى ويقول فى غسله اللهم انى
طهرت البدن الذى تصل يدى اليه بتوفيقك فطهر انت قلبى الذى حكم
بيد قدرتك وانت مقلبه بما معرفتك فاذا فرغ من الغسل يتلوى الى
الشيخ ويجلس بين يديه ويوصيه الشيخ بما يقتضيه حاله ويجثو على
ركبتيه ويسكت ويحضر قلبه مع قلب الشيخ ويراقب سره حتى يقول
الشيخ مرة لا اله الا الله مادا صوته وهو ياخذ بقلبه متفهما معانيها
بحيث ينفى بلا اله الخواطر كلها ويثبت بالا الله الحضرة الالهية
اى لا مطلوب ولا مقصود ولا محبوب ولا معبود الا الله تعالى ثم
يقول المريد رافعا صوته مادا نفسه محضرا قلبه عند النفى والاثبات
ثم يقول الشيخ مرة ثانية ثم يقول المريد كذلك ثم يقول الشيخ ثالثة
والمريد كذلك ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو له يقول اللهم خذ منه
وتقبل منه وافتح عليه ابواب كل خير فتحته على انبيائك واوليائك
وهذا اما ذكر فى بعض كتب القوم وعمدتهم فى اصل التلقين حديث
روى عن على كرم الله تعالى وجهه وهو مذكور فى الاثبات وغيرها
واما فى الكيفية فالله تعالى اعلم بما هو عمدتهم فيها ولعل ذلك فى
غير طريقتنا النقشبندية والا فنحن ولله الحمد اخذنا الذكر من حضرة
الشيخ قدس الله تعالى زكى تربته وحشره فى زمرة احبته ولم نر شيئا
من ذلك * عند السلوك فى هاتيك المسالك * بل التلقين عند السادة

النقشبندية اداب غير هذه مذكورة فى كتبهم نفعنا الله تعالى بهم
(والاوامر) جمع امر قال فى الصحاح امرته بكذا امرا والجمع اوامر والامر
حدود فيها صحيح ومنها مزيف فالذى ارتضاه العلامة ابن الحاجب
انه اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء فالاقتضاء جنس وقوله
غير كف يخرج النهى لانه يقتضى الكف وهو فعل وقوله على سبيل
الاستعلاء يخرج ما على سبيل التسفل وهو الدعا وما على سبيل التساوى
وهو الالتماس واشترط الاستعلاء كما هو رأى ابى الحسين ولم يهمل
هذا الشرط كما هو رأى الاشعرى ولم يشترط العلو كما هو رأى المعتزلة
لذمهم الادنى بامر الاعلى ويرد عليه كف نفسك فانه امر بالكف والحق
انه لا يشترط الاستعلاء لقوله تعالى حكاية عن فرعون ماذا تامرون
والمزيف على ما قيل هو ما قاله القاضى وارتضاه الجمهور من انه القول
المقتضى طاعة المامور لفعل المامور به وما قاله قوم من انه خبر على الثواب
على الفعل واخرون عن استحقاق الثواب على الفعل لئلا يلزم الخلف
فى خبره عن العفو وما قاله بعض المعتزلة المنكرين للكلام النفسى
من انه قول القائل لمن دونه افعل وقال قوم منهم هو صيغة افعل
مجردة عن القرائن الصارفة عن الامر واخرون صيغة افعل بارادات
ثلاث ارادة اللفظ وارادة دلالتها على الامر وارادة الامتثال واحترز
بالاولى عن النائم وبالثانية عن التخيير والتهديد والاكرام والاهانة
ونحوها من المعانى التى تاتى لها هذه الصيغة فانها تاتى لمعان كثيرة
ذكرها غير واحد من الائمة وبالثالثة عن الصيغة التى تصدر عن
المبلغ والحاكى فانه لا يريد الامتثال واخرون هو ارادة الفعل ثم اعلم
انهم اختلفوا فى صيغة افعل وما فى معناها فقال الجمهور انها حقيقة
فى الوجوب فقط وقال ابو هاشم فى الندب فقط وقيل للطلب وهو
القدر المشترك بين الوجوب والندب وقيل مشترك بين الوجوب
والندب اشتراكا لفظيا وقال الاشعرى والقاضى بالوقف فيهما
اى لا ندرى اهو للوجوب او للندب وقيل مشترك بين ثلاثة معان
الوجوب والندب والاباحة وقيل للقدر المشترك بين الثلاثة قال

العضد وهو الاقرب وقالت الشيعية هو مشترك بين اربعة امور الوجوب والندب والاباحة والتهديد واختلفوا ايضا في ان هذه الصيغة هل تدل على تكرار ام لا وذهب امام الحرمين الى ان صيغة افعل بمجردها لا تدل على فعل المامور به متكررا ولا على فعله مرة واحدة وقال الاستاذ هو للتكرار مدة العمر ان امكن وقال ابو الحسين وغيره هو للمرة ولا يحتمل التكرار وقيل بالوقف بمعنى لا ندري واختلفوا ايضا في ان الشيء المعين اذا امر به فهل ذلك الامر نهى عن الشيء المعين المضاد له اولا فعند الامام والغزالي انه ليس نفس النهي عن ضده ولا يتضمنه عقلا وهو المختار وقال القاضي ومتابعوه اولا انه نفس النهي عن ضده وقالوا اخرا انه يتضمنه ثم اقتصر قوم على هذا وزاد القاضي ومتابعوه عليه فقالوا والنهي كذلك في الوجهين فقالوا ولا النهي عن الشيء نفس الامر بضده واخرا انه يتضمنه ثم القائلون بان الامر بالشيء نهى عن الضد على الوجهين منهم من عمم القول في امر الوجوب والندب فجعلهما نهيا عن الضد تحريما وتنزيها ومنهم من خصص امر الوجوب فجعله نهيا عن الضد تحريما دون الندب هذا وتمام الكلام في هذا المقام وبسط هذه الاقوال وما لها وعليها من القيل والقال يطلب من كتب اعدت لمثله لا من كتاب عد الايجاز من فضله ويسهو من سهى في الامر كدعا سهوا بالفتح وسهوا بالضم اذا نسيه وغفل عنه وذهب قلبه الى غيره فهو ساه وسهوان قاله في القاموس ويفهم منه عدم الفرق بين السهو والنسيان وفرق بينهما بعضهم بان السهو دون النسيان لانه ما يرجع عنه بسهولة وادنى التفات ولا كذلك النسيان فلهذا يجوز على الانبياء عندنا معاشر اهل السنة كما يدل عليه حديث ذو اليدين الذى اخرجه البخاري في الصحيح وان طعن فيه الرافضة على قبل ما تعين جوازه لما فيه من النقص المنزه عنه الانبياء غيرنا ظرين الى ان ذلك من الذهول بالله تعالى الغير المستمر عليه المترتب عليه احكام لا تحصى وفوائد لا تستقصى دون ما فيه من شائبة النقص ولم ار في كتب اللغة المشهورة تصريحا بذلك نعم قال في مجمع البحرين فسر السهو بزوال المعنى عن الذاكرة

فقط وبقاؤه مرتسما فى الحافظة بحيث يكون كالشئ المستور والنسيان عن القوتين الذاكرة والحافظة انتهى وهو يؤيد الفرق الذى ذكرناه * (والذكر) كالذكرى بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة * قال الشاعر

الا الم بك الخيال بطيف ومطافه لك ذكرة وشغوف

وقولهم اجعله منك على ذكر وذكر بضم وكسر بمعنى قاله فى الصحاح وقال بعضهم الذكر بضم الدال ما يكون بالقلب ويقال ذكرته اى قطعت ذكره كرأيته بمعنى قطعت رئته وعلى ذلك جاء قول الشاعر

ذكرت اباعمرو وفات مكانه فيا عجبا هل يهلك المرء من ذكر
وزرت عليا بعده فرأيته ففارق دنياه ومات على صبر

وقال بعض السادة الصوفية الذكر ترديد اسم المذكور على القلب واللسان والذكر الحقيقى غيبة الذاكر عن الذكر باستيلاء المذكور على قلب الذاكر والذكر منشور الولاية وهو الموصل الى الغاية فمن وفق للذكر فقد اعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وهو الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على بساط الحب والذاكر بالاخلاص والصدق جليس الواحد الحق لقوله تعالى فى الحديث القدسى انا جليس من ذكرنى واصل الذكر الصفا وفرعه الوفا وشرطه الحضور وبساطه العمل الصالح وخاصيته فتح من الله بحسب الاسم المذكور به وقال القشيرى الذكر لطف القلب بنعت الغيب وقيل بيان الفوائد بصدق الاعتقاد وقيل امتلاء القلب من المذكور واستيلاء القلب على الضمير واستلام السرائر عند ظهوره وقيل طمانينة القلب بشهود الرب وقيل انشراح الصدر بفيضان الذكر وقيل طلوع الانوار برؤية القهار وبلوغ الاماني بسرو جدانى ثم قال تتمة قال المحقق الذاكرون اربعة المريد والعارف والموحد والمحب فذكر المريد لا اله الا الله فهو متردد بين النفى والاثبات ومقتضاه نفى ما سوى الله وذكر العارف الله ومقتضاه استيلاء احكام الصفات الالهية على العوالم الملكوتية وذكر الموحد هو ومقتضاه اضمحلال العين بنور العيان وذكر المحب الاستهلاك والاثبات

ومقتضاه ذهابه عن الاسم والرسم والصفة والعاشق لاذكر له لذهابه به عنه بل كل جزء منه ذكر له ومن تعرض لذكر من هو اعلى منه فى الرتبة لايترقى به ولو دام ذاكرا به الف عام ومن رجع من ذكره الى ذكر من هو دونه فقد ابتلى بذل الحجاب وقد قيل كل ذاكر يجب الاستدامة على ذكره الى ان يجد الانس بالمذكور فينفر من ذكره ثم يترقى منه الى ذكر من هو اعلى منه والله الهادى انتهى وما ذكره من ان الله ذكر وهو ذكر انما هو عند السادة الصوفية وفى المشهور عند العلماء وقد ذكر بعض اكابر الشافعية ان مثل ذلك لكونه غير كلام لا يعد ذكرا والقلب الى ما ذكره السادة اميل بل هو الحق الحقيق بالقبول فتامل (والحافد) من الحفد الشرعة * قال فى الصحاح تقول حفد البعير والظليم حفدا وحفدانا وهو تدارك السير وبعير حفاد وفى الدعاء واليك نسعى ونحفد واحفدته حملته على الحفد والاسراع قال الراعى

مزايد خرقاء اليدين مسفيه ‏ ‏ ‏ ‏ اخب بهن المخلفان واحفدا

اى احفدا بعيرهما وقال بعضهم اى اسرعا ويجعل حفد واحفد بمعنى والحفدة الاعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد انتهى فيحتمل ان يراد هنا بالحافد المسرع فى السير والسلوك الى ملك الملوك ويحتمل ان يراد به الخادم ومراد المريد لانه خادم لاستاذه ومن بيده زمام انقاذه والاول اظهر وحاصل معنى البيت انه بعد سير هذا الشيخ من عالم الدنيا الى معالم الاخرى فقد من زوايا العرفان وخبايا الايقان من يلقن الاوامر الالهية والاذكار الربانية عند ما ينبه المسرع من المريدين وينفل الجد من السالكين عن ذكر مولاه الذى انه له خير جليس الانس وحياه وفيه اشارة الى انه لاينبغى للسالك الغفلة عن مالك الممالك * وان الغفلة امر عظيم وخطب جسيم يحتاج لها لمثل هذا الشيخ المرشد والمرنى المسعف المسعد * ولهذا قالوا ينبغى على طالب الحق الهارب من الخلق * ان يواظب على ذكر الله سبحانه وتعالى ويكون ذلك بقوة شديدة بحيث يدخل اثر الذكر فى باطنه فيسرى فى العروق والشرايين ويحرق ظلمة الوجود وكثافته وكد ورتبنار الذكر فان الذكر له نار

وبنور جنوده يسكن القلب الا بذكر الله تطمئن القلوب وبناره تحترق كثافة
الوجود فيزول منه الخشونة الاصلية واليبوسة الجبلية فيخرج من ثار
الصفات البشرية فيخفف عن الاثقال الترابية فيعلو قلبه عن ارض
الملكوت الى سماء الربوبية وللذكر شروط ذكروها واداب حرروها
وسطروها ان فعلها الذاكر واتمها من هو الى حضرة القدس سائر
حازمناه وفاز بمقعد صدق عند مولاه وفى مقام الاحسان المشار
اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى غالب ما يطلب هنالك
ثم لا يخفى ما بين صدر البيت وعجزه من عدم الموافقة وترك المناسبة
اللائقة مع ان الاحتياج الى التلقين انما هو فى اول امر المريدين
السالكين فتامل ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك * قال
الناظم

ومن قدوة التعريف والكشف بعده ومن لا باليس المخايل طارد

اقول (القدوة) مثلث القاف الاسوة وفى مجمع البحرين القدوة
بضم القاف اكثر من كسرها اسم من اقتدى به يقال فلان قدوة
اى يقتدى به انتهى (والتعريف) الاعلام كما فى الصحاح (والكشف)
قال فى القاموس كالضرب والمكاشفة الاظهار ورفع شئ عما يواريه
ويغطيه كالتكشيف انتهى والكشف عند القوم حقيقة الايقان *
والمشاهدة والفرق بصفات الذات وقيل غير ذلك ولعل الناظم
اراد به ما يراد فى التعريف والافصاح الكلام يحتاج الى نوع تكلف
لا يخفى على ذوى الافهام واراد (بابليس المخايل) الظنون الابليسية
والخواطر الردية (وطارد) من الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب
ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا فى لغة ردية قاله فى الصحاح
وتخصيص الناظم الطرد بابليس المخايل على ان يكون المراد منها الخواطر
الردية التى تعرض فى الطريق وليستوجب بقاؤها الانفراد عن
الرفيق * اشارة الى ان هذا النوع هو الحرى بان يطرد وينحى ويبعد
قال بعض السادة الصوفية نفعنا الله تعالى بفتوحاتهم السنية

١٢ الإيضاح وكشف النقاب الطبع

من علوم الصوفية معرفة الخواطر حتى يوافق ما كان منها للخالق ويخالف
غيره والخاطر والوارد يرد على قلب في صورة الخطاب والوارد اعم من الخاطر
كالحزن والسرور والقبض والبسط والكثير على ان الخواطر اربعة خاطر
من الحق تعالى وخاطر من الملك وخاطر من النفس وخاطر من الشيطان
فالخاطر الحقانى يقذفه الله تعالى من الغيب في قلوب اهل القرب والحضور
بغير واسطة قال الله تعالى قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب والخاطر
الملكى هو الذى يحث على الطاعات ويرغب فى الخيرات ويحذر من المعاصى
والمكاره ويلوم على ارتكاب المخالفات والتكاسل والتباعد عن
الموافقات والخاطر النفسانى هو الذى يتقاضى الحظوظ العاجلة ويظهر
الدعاوى الباطلة والخاطر الشيطانى هو الذى يدعو الى المعاصى والمناهى
والمكاره والفرق بين خاطر الحق سيما نه اذا خطر لا يعارضه شئ فاذا
ظهر سلطانه فكل جزء من اجزاء الوجود ينقاد ويستسلم له وسائر
الخواطر تضمحل وتتلاشى وسئل بعض الاكابر ما برهان الحق فقال
وارد يرد على القلب تعجز النفس عن تكذيبه ومع وجود الخاطر الملكى
معارضته خاطر النفس وخاطر الشيطان والفرق بين خاطر النفس
وخاطر الشيطان ان خاطر النفس لا ينقطع بنور الذكر ويتعاصى على
مطلوبه ليصل الى مراده الا اذا ادركه التوفيق الازلى فيقطع عنها عرق
المطالبة واما خاطر الشيطان فانه ينقطع بنور الذكر ولكن يمكن ان
يعود فينسيه الذكر ويغويه كما ورد فى الخبر الشيطان جاثم على قلب
ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس وتولى واذا غفل التقم قلبه وقال بعضهم
الخواطر خطاب يرد على الضمائر وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما
يوافقه صاحبه وربما يخالفه فاما خاطر الحق تعالى فلا يحصل خلاف
من العبد له والمشهور ان الخواطر اربعة وكلها من الله غير ان بعضها
بواسطة وبعضها بلا واسطة ولا يضاف الى الله تعالى الا الخير ادبا
واحتراما وزاد الشيخ مجد الدين البغدادى رحمه الله تعالى على الخواطر
الاربعة خاطر القلب وخاطر الشيخ وبعضهم خاطر العقل وخاطر
اليقين وفى الحقيقة ترجع هذه الخواطر الى الخواطر الاربعة وتندرج

والظاهر ان خاطر الحق خ

تحتها فان خاطر القلب مندرج تحت خاطر الملك واما خاطر العقل فان كان
فى امداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك وان كان فى امداد النفس
والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو واما خاطر الشيخ فهو امداد صاحب
الشيخ يصل الى قلب المريد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل
مشكل فى وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ وذلك
داخل تحت الخاطر الحقانى لان قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح الى عالم الغيب
وكل لحظة يصل امداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة
الشيخ واما خاطر اليقين فهو وارد مجرد من معارضات الشكوك والريب
فيدخل تحت الخاطر الحقانى ايضا واما خاطر العقل فقد قال صاحب
العوارف هو متوسط بين الخواطر الاربعة فيكون تارة مع النفس والعدو
لوجود التميز واثبات الحجة على العبد اذ لو فقد العبد سقط العقاب
والعتاب ويكون تارة مع الملك والروح ليوقع العقل المختار ويستوجب
به من الثواب من الملك الوهاب بل لا يبعد ان يقال الاصل فى الخواطر
بر منها الخاطر الحقانى والالهام الربانى لقوله تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها والكلام فى ذلك طويل وفى هذا القدر كفاية
فالمفهم ثم اعلم ان تميز الخواطر كما ينبغى لا يتيسر الا عند تجلية
مرآة القلب من صداء الطبع بمصقل الزهد والتقوى والذكر
حتى ينكشف فيها صور الخواطر كما هى ومن لم يبلغ بالزهد والتقوى
ويريد ان يميز بين الخواطر فله طريق وذلك بان يزن ما لا خاطره بميزان
الشرع فان كان من قبيل الفرايض والفضائل فيمضيه وان كان محرما
او مكروها ينفيه وان كان من قبيل المباحات فكل جانب يكون اقرب
الى مخالفة النفس والغالب من سجية النفس ميلها الى شئ دنى لكن
ينبغى ان يعلم ان مطالبات النفس على نوعين بعضها حقوق لا بد منها
وبعضها حظوظ فالحقوق ضرورية اذ قوام النفس بها والحظوظ ما زاد
عليها فيلزمه تميز الحقوق من الحظوظ لينفى الحظوظ وارباب البدايات
يلزمهم الوقوف على الحقوق وحد الضرورة وتجاوزهم عن ذلك ذنب
فى حقهم واما المنتهى فله فتح طريق السعة والخروج عن مضيق

الضرورة

الضرورة الى فضاء المشاهدة والمسامحة وامضاء خواطر الحظوظ باذن
الحق سبحانه وجعل بعض المشايخ الواجب للحق والمحظور للشيطان
والمندوب والمكروه للملك والنفس واما المباح فلما لم يكن فيه ترجيح
لم ينسب الى خاطر لاستلزامه الترجيح بلا مرجح هذا ان قلنا بوجود المباح
عند القوم واما اذا قلنا بعدم وجودها كما ذكره الامام سيدي عبد
الوهاب الشعراني فالامر واضح كما لا يخفى فافهم ذلك حفظك مولاك
* واعلم ايضا ان الخواطر تأتي للمجاهد كسيل العرم فالواجب عليه
في بداية امره النفي وفي اخره التمييز بين الخواطر جميعا وذلك لانه في
البداية ليس له اهلية لذلك التمييز فالواجب عليه ان ينفيها جميعا
وما كان محمودا يثبت ولا ينتفي بنفيه وما ليس كذلك يذهب ويزول
والاشتغال بالتمييز اذ ذاك يضر مضرة ظاهرة ولا يتيسر له ما ذكرنا
الا برعاية ظاهر الذكر ومعناه وملاحظة الوقوف القلبي والمبالغة في
تعظيم الحق فاذا واظب على نفي الخواطر وهو الشرط الاعظم بل الركن
الاهم وصل الى حقيقة الانس والتفريد وترقى عن مقام التجريد
وتبدل القاء الشيطان بالهام الرحمن وحديث النفس بمكالمة الروح
والقلب وبمناجات الحق سبحانه وتعالى ولنفي الخواطر اسباب كثيرة
منها احضار صورة الشيخ على الوجه الذي سموه بالرابطة قيل هذا
من اعظم الاسباب ومنها ادامة النظر الى شيء واحد فان ذلك يورث
الذهول وفيه سد لباب الخطرة الى غير ذلك * وحاصل معنى البيت
انه بعد عروج هذه الروح الملكية وصعودها الى الحضرة القدسية
وخلو الديار عن مثل هذا المنار من يكون القدوة والامام في التعريف
والاعلام وارشاد الانام ومن يطرد بنوره الباهر ابليس الخايل
والخواطر التي تنزل المريد من ذروة النعم الى حضيض الجحيم فقد
خلت الديار وعفت الاثار والامر لله الواحد القهار ولعل طرد
الشيخ لابليس الخواطر بسبب النور في القلب بالهمة القدسية
ويكون ذلك بما يسميه السادة النقشبندية بالتوجه وتختلف قوته
وتتفاوت ثمرته باختلاف همة المتوجه واستعداد المتوجه اليه كما

لا يخفى ذلك على اهله

قال الناظم

ومن لامارات الشهود ورمزها　　وغامضها ان جاء ينشد ناشيد

اقول (الامارات) جمع امارة بفتح الهمزة العلامة واما الامارة بالكسر فهو مصدر امر اى صار اميرا كالامرة وعرفوا الامارة فى الاصطلاح بانها التى يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول فتدبر (والشهود) مصدر كالحضور لفظا ومعنى ويستعمل جمعا ايضا كما يقال قوم حضور وهو عند القوم رؤية الحق بالحق ولهم شهودان احدهما شهود المفصل فى المجمل وهو رؤية الكثرة فى الذات الاحدية وثانيهما شهود المجمل فى المفصل وهو رؤية الاحدية فى الكثرة وللشهود عندهم تقسيمات اخر مذكورة فى محالها (والرمز) الاشارة والايما بالشفتين والحاجب ويستعمل فى كلامهم بمعنى الاشارة الخفية كما لا يخفى على المتتبع وكان ذلك لانها تورث اضطرابا فى الذهن لخفا المراد منها فافهم (والغامض) خلاف الواضح (وينشد) اى يسئل وبين جاء وينشد تنازع لا يخفى امره وحاصل معنى البيت انه بعد هذا الولى الكامل والشيخ الواصل من يبين خفى علامات الشهود للسائلين ومن يوضح غامض رموز الطريق للسالكين حتى لا يقع الضلال فى السلوك الى الملك المتعال وذلك لان الشيطان كثيرا ما يتعرض للمريد فيوهمه الشهود للملك المعبود قال بعض السادة الصوفية ان الشيطان قد يرى للمريد نفسه على عرش فربما يعتقده ربا فيسجد له وقد وقع مثل ذلك لرجل اسمه المزمل رآه فى برية طريق مصر على عرش بين السما والارض فسجد له وظن انه الرب ثم حكى ذلك لجماعة من المشايخ فقالوا ما ذاك الا الشيطان بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان للشيطان عرشا بين السماء والارض وهو يجلس عليه فقام الرجل وجد دايما نه واعاد صلاته وعاد الى المكان الذى راه ولعنه وانكر عليه وقال انما انت الشيطان اللعين كفرت بك وامنت برب العالمين وقد تجلى لعنه الله تعالى لسيدى عبد القادر الجيلى قدس سره على هذا العرش

قائلاله يا عبد القادر انا ربك وقد رفعت عنك التكاليف وابحت لك المحرمات فقال له اخسأ ان الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرفع في هذه الدار التكاليف عن احد ولو رفعها عن احد لرفعها عن احب احبائه اليه واعزهم عليه محمد المصطفى ورسوله المجتبى فقد تورمت قدماه ونحل جسمه في طاعة مولاه وللشيطان مع المريد مكايدات كثيرة ومخادعات وفيرة * اعاذنا الله من شره وحفظنا واياكم من اسره قال الناظم

ومن يرع في عين العناية وهو في مراقبة والذكر من ذاك حامد

اقول (يرع) بالبناء للمفعول من رعيت النجوم رقبتها قالت الخنسا

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري

وحذف الناظم الالف لغير جازم ضرورة وليست من شرطه كما لا يخفى على من له ادنى روية (والعين) معلومة وفيه تخييل لمكنية والعناية من عناه الامر يعنوه اهمه * وفي بعض نسخ القصيدة (الحقيقة) بدل العناية وهي خلاف المجاز بالمعنى الاعم الشامل للكناية وعند القوم قيل هي اسم للصفات الالهية وقيل هي سلب آثار وسماتك عنك باوصافه وقيل غير ذلك * وقد جاء عن باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه في تفسير الحقيقة لما سأله عنها كميل بن زياد ما فيه غنية والخبر في ذلك مشهود ولولا خوف الاطالة لنقلناه وشرحناه وقد يضيفون الحقيقة فيقولون حقيقة الحقائق ويعنون بها الذات الاحدية الجامعة لجميع الحقائق وهي التي يسمونها حضرة الجمع وحضرة الوجود ويضيفونها فيقولون الحقيقة المحمدية ويعنون بها الذات مع التعين الاول وهو الاسم الاعظم (والمراقبة) من رقبت الشيء رقبة ورقوبا ورقبة ورقبانا بالكسر فيهما اذا رصدته وعند القوم دوام ملاحظة المقصود وقيل اجماع القلب لاطلاع الرب سبحانه وتعالى وهي سبب قوي للوصول وحصول الجمع والقبول حكي عن سيد الطائفتين وشيخ المشايخ سيدي ابي القاسم سعيد بن محمد الجنيد قدس سره انه قال استاذي في طريق المراقبة الهرة وذلك اني كنت ذاهبا في الطريق فرأيت هرة

جالسة عند غار فارة مراقبة لها مستغرقة فى ذلك لا تحرك منها شعرة *
فحصل لى الحيرة من توجهها ومراقبتها فنوديت فى سرى يا دنى الهمة لا تحيلنى
فى مقصودك اقل من الفارة وانت لا تكون فى الطلب اقل من السنور فتنبهت
فلزمت طريق المراقبة فحصل لى ما حصل وكانت اكثر مراقبته تحت درج
فى داره وكان كثيرا ما يقول عن بعض تقريراته هذا من العلوم التى
حصلتها تحت الدرج والمراقبة عندهم تنقسم الى اقسام كمراقبة المعية
ومراقبة الاحدية وغير ذلك والتفصيل فى محله (والذكر) معلوم
(ومن) لتجلية كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا (وذلك)
اشارة الى ما تقدم اعنى المراقبة والتذكير بهذا الاعتبار وفى هذه
الاشارة اشارة لا تخفى على ذوى الابصار (وخامد) من خمدت
النار كنصر وسمع خمدا وخمودا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها * وحاصل
معنى البيت انه يعد ذياك الاوحد * والعلم المفرد * من الذى يلحظ بعين
العناية الالهية * والحقائق القدسية * وهو مجموع القلب لملاحظة
الرب * وقد خمد لهب ذكره * وهمد جمر فكره * وذلك لما حصل له من
الشهود ومعاينة الملك المعبود وقد ذكر سيدى الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر
انه لا ينبغى الذكر لمن تحصل له المشاهدة الا ترى ان من حضر لدى ملك
لا يليق به تكرار اسمه بل ربما يعد ذلك جنونا فالذكر اذ ذاك ذنب عظيم
واثم كبير ولهذا قيل

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنكشف الرذائل والعيوب
وترك الذكر افضل كل شئ ... وشمس الذات ليس لها مغيب

وانشدوا

لا اترك الذكر الا من يشاهده ... وليس يشهده من ليس يذكره
والذكر ستر على مذكوره ستر ... فحين اذكره فى الحال يستره
فلا ازال على الاحوال اشهده ... ولا ازال على الانفاس اذكره

قال الناظم

يسوس باصحاب المريدين حيثما ... بدت قبسات تجتلى ومشاهد

اقول (يسوس) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها

ويقال سوس امو الناس على ما لم يسم فاعله اذا ملك امرهم ويروى قول الخطيئة شعر *

لقد سوست امر بنيك حتى ... تركتهم ادق من الطحين

قال الفرا سوست خطاء قاله في الصحاح ولم ينقله في القاموس وفي النجوم الزاهرة السياسة معرب سه يسا وهي لفظة مركبة من كلمتين اولاهما عجمية والاخرى تركية فان سه بالعجمية ثلاثة ويسا بالمغلية الترتيب فكانه قال الترتيب الثلاثة وسبب هذه الكلمة ان جنكزخان ملك المغل كان قد قسم ممالكه على اولاده الثلاثة وجعلها ثلاثة اقسام * واوصاهم بوصايا لم يخرج عنها الترك الى يومنا هذا مع كثرتهم واختلاف السنتهم فصاروا يقولون سه يسا يعني الترتيب الذي رتبها جنكزخان فثقل بين العامة فعربوها على عادة تعاريفهم فقالوا سياسة انتهى فليحفظ (والاشخاص) جمع شخص وهو سواد الانسان وغيره تراه من بعيد كذا في الصحاح والقاموس والمراد به هنا الذات ويجمع ايضا على اشخص وشخوص والبا الداخلة عليه جوزان تكون زائدة لتعدي الفعل بدونها وجوزان تكون اصلية وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بها فتدبر (والمريدين) جمع مريد وهو الطالب والمريد عند القوم المجرد عن ارادته المخالف بالكلية احكام عادته * وقيل هو ناهض العكس في طلب الرب وذكروا ان المريد في الظاهر بنعت المجاهدات وفي الباطن بوصف المكابدات عالج الاخلاق ولازم المشاق وعاين الاهوال وفارق الاشغال نومه غلبة واكله فاقة وكلامه ضرورة وبداية المريد ان يجد الله تعالى مع الاشارة وفي نهايته يجد الله تعالى بلا اشارة والمراد اعلى درجة منه لانه المجذوب عن ارادته المجاوز للرسوم كلها من غير مكابدة ولا تعب * فالمريد هو المبتدي والمراد هو المنتهي والمريد محمول والمراد متحمل والمريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه عناية الحق المريد يسير والمراد يطير شتى يلحق السائر الطائر * ولله در سيدي السيد علي البندنيجي قدس سره في قصيدته العينية المشهورة

ولست مريدا اجعل بلن ترى ... ولست بطور كي يخر كي الصلح

(وحيثما) مركب من حيث وما قال في الصحاح حيث كلمة تدل على المكان لانه ظرف في الامكنة بمنزلة حين في الازمنة وهو اسم مبني وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين فمن العرب من يبنيها على الضم تشبيها بالغايات لانها لم تجئ الا مضافة الى جملة كقولك اقوم حيث يقوم زيد ولم تقل حيث زيد وتقول حيث تكون اكن ومنهم من يبنيها على الفتح مثل كيف استثقالا للضم مع الياء وهي من الظروف التي لا يجازى بها الا مع ما تقول حيثما تجلس اجلس في معنى اينما وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى من حرف ابن مسعود اين اتى والعرب تقول جئت من اين لا تعلم اى من حيث لا تعلم انتهى * وذكر بعض النحويين ان في حيث عشر لغات المشهور منها تسع والعاشر ذكره الحلبي فليحفظ (وبدت) اى ظهرت يقال بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اى ظهر (وقبسات) جمع قبسة من القبس محركا وهو شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس والمراد بها هنا قبسات الانوار الالهية ولمحات الاشعة الربانية وقد ذكروا انه يظهر للسالك في اثناء سيره الى حضرة الرب جل جلاله انوار كثيرة واشعة وفيرة وذلك عند تمكن الذكر ومداومة الخلوة فيظهر له البروق واللوامع وانوار ملونة ولا ينبغي ان يلتفت الى شيء من ذلك وليعلم يقينا ان النور الحقيقي منزه عن ان يكون ملونا ومشكلا ومتحيزا في جهة من الجهات وكل ما كان من قبيل الخيال يتبدل في الحال وليقل كما قال الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام انى لا احب الافلين * وقد خلق الله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة وجعلها استارا لحكمة الاسرار غيرة لها واشار الى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة * ومن هذه الحجب السبعين الفا عشرة آلاف ظلمانية مستكنة في اللطيفة القالبية ولونها كدر فاذا شتغل في الذكر واشتعلت نيرانه يشاهد تلك الظلمات المطبقة بعضها فوق بعض فاذا صلح الوجود صفي وابيض مثل المزن الابيض * ومنها عشرة آلاف كامنة في اللطيفة النفسانية ولونها ازرق وفيضانات النفس على الوجود وتربيته منها فاذا صفت وذكت افاضت عليه

الخير فينبت منه الخير وان افاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر
* ومنها عشرة الاف موضوعة فى اللطيفة القلبية ولونها احمر مثل لون
النار الصافية وقد يكون معها دخان * ومنها عشرة الاف مكنونة فى
اللطيفة السرية ولونها ابيض مثل لون الزجاجة البيضاء الصافية التى
وقعت عليها الشمس * ومنها عشرة الاف مودوعة فى اللطيفة الروحية
ولونها اصفر فى غاية الصفا * ومنها عشرة الاف مدرجة فى اللطيفة
الخفية ولونها مثل لون الشبح المصقل وفى هذا المقام يصل على اللطيفة
الانانية الى ينبوع الحياة * ومنها عشرة الاف موجودة فى اللطيفة
الحقية التى قامت بها هذه اللطائف لونها اخضر تقربه الاعين وتفرح
به القلوب وهو لون حياة القلب ومن وراء هذه الاستار يظهر انوار
اللطائف السبع فيشاهد فى اللطيفة القالبية الجن وفى اللطيفة النفسية
يشاهد الجنة * وفى اللطيفة السرية يشاهد الملائكة * وفى اللطيفة
الروحية يشاهد الاوليا * وفى اللطيفة الخفية يشاهد الانبيا * وفى
اللطيفة الحقية يشاهد نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم يتجلى نور الانوار
فيهلك فى نوره جميع الانوار وينتهى السلوك فى هذا المقام ويتبدل السير
بالجذبة الجلية التى لا تحصل الا بمتابعة سيد البرية ثم يفتح له باب
المكاشفات وتفاض عليه الحقائق ثم يكافح بصريح الحق فى كل شئ
رزقنا الله تعالى ذلك بمنه وفضله وكرمه (وتجلى) اى تنكشف *
(ومشاهد) جمع مشهد والمشهد كما فى الصحاح والقاموس محضر
الناس واراد به هنا محل شهود الحق جل جلاله * وحاصل معنى البيت
ان هذا المرشد والمنهم فى بيداء السلوك والجد يسوس باشخاص
المريدين ويسير بقلوب السالكين حيث ما تبدو الانوار وتجلى مشاهد
الاسرار لينالوا بذلك المطلوب ويشاهدوا هنالك المحبوب ولعمرى
انه كما ذكر وفوق ما سطر لكم ظهرت امارات ذلك على كثير ممن يحوم حول
حماه ويستضئ بنور ارشاده اذا حلولك ليل الغواية بظلماه فجزاه الله
تعالى خيرا عن المسلمين * واسكنه فى مقعد صدق مع النبيين والمرسلين
ووفقنا لمثل ذلك وارشدنا للسلوك فى هاتيك المسالك * * * *

قال الناظم

اخي خالد مشكاة كل فضيلة      وبدر كمال نوره متزايد

اقول (اخي) اما مبتدأ وخالد بدل منه ومشكاة خبره واما منادى حذف منه حرف النداء وخالد مبتدأ ومشكاة خبره فهو مثل ومنا امير المؤمنين شبيب وهو المعنى اللائق بالمقال كما لا يخفى على من اطلع على حقيقة الحال * نعم قال لي الناظم انما اردت المعنى الاول فقلت ان حضرة الشيخ اعظم من ان يكون اخاك واجل فقام عني مغاضبا وقل ما يترك الحق لقائله صاحبا والاخ قال في الصحاح اصله اخ بالتحريك لانه جمع على اخا مثل اباء والذاهب منه واو لانك تقول في التثنية اخوان مثل خرب وخربان وعلى اخوة واخوة بكسر الهمزة وضمها عن الفراء وقد يتسع فيه فيراد به الاثنان كقوله تعالى فان كان له اخوة وهذا كقولك انا فعلنا ونحن فعلنا وانتما اثنان واكثر ما يستعمل الاخوان في الاصدقاء والاخوة في الولادة وقد يجمع بالواو والنون قال الشاعر عقيل بن علفة المري

وكان بنو فزارة شر قوم      وكنت لهم كشر بني الاخينا

ولا يقال اخو ولا ابو الا مضافا تقول هذا ابوك واخوك ومررت باخيك وابيك ورأيت اباك واخاك وكذلك حموك وهنوك وذو مال فهذه ستة اسما لا تكون موحدة الا مضافة واعرابها في الواو والياء والالف فان الواو وان كانت من نفس الكلمة ففيها دليل على الرفع وفي الياء دليل على الخفض وفي الالف دليل على النصب ثم قال وانما قالوا اخت بالميم لتدل على ان الذاهب منه واو وضح ذلك فيها دون الاخ لاجل التاء التي تثبت للوصل والوقف كالاسم الثلاثي والنسبة الى الاخ اخوي وكذلك الى الاخت لانك تقول اخوات وكان يونس يقول اختي وليس بقياس انتهى * وذكر العلماء ان الاخ يخفف ويشدد كالاب على الصحيح وقد يعرب بالحركات المقدرة مضافا للمضمر كقولهم مكره اخاك لا بطل وتمام الكلام فيه يطلب من كتب النحو وقد اشبعنا الكلام في ذلك في حواشينا على شرح القطر لابن هشام (والمشكاة)

الكوة او موضع الفتيلة من السراج (والفضيلة) على ما في الصحاح خلاف النقيصة وفي القاموس الفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل والاسم الفاضلة انتهى وذكر غير واحد من المحققين ان الفضيلة النعمة الغير السارية والفاضلة هي النعمة السارية ومقام التمدح هنا يقتضي ان يراد بالفضيلة ما يعم الفاضلة كما لا يخفى واضافة كل الى فضيلة يفيد استغراق الافراد قال العلامة الثاني المحقق التفتازاني كل اذا اضيفت الى المعرف يكون لعموم الاجزاء واذا اضيفت الى النكرة تكون لعموم الافراد ولهذا قيل كل الرمان ماكول صادق وكل رمان ماكول كاذب انتهى قيل وبهذا يظهر سر قولهم بوقوع طلقة واحدة اذا قال لامرأته انت طالق كل الطلاق وبوقوع الثلاث اذا قال انت طالق كل طلاق تأمل وفيما ذكره العلامة نظر بالنسبة الى اطلاق المعرفة في الاول والاقتصار على النكرة في الثاني والصواب ما في المغني انها لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه واجزاء المفرد نحو كل زيد حسن قال فاذا قلت اكلت كل رغيف لزيد كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرد واحد انتهى وعلى هذا يكون كل في كل من كل الرمان ماكول وكل رمان ماكول لعموم الافراد فجعلها في الثاني فقط لذلك وفي الاول لعموم الاجزاء وهم على انه لو سلم ذلك لا يتم الحكم بصدق الاول وكذب الثاني لذلك كما لا يخفى قاله بعض المعاصرين ثم الحق ان هذا الحكم اكثري او انه الاصل عند الخلو عن القرائن كما صرح به بعض المحققين وشاع ذلك بين المحصلين فلا يرد انها قد تأتي بعكس ذلك فليحفظ (والبدر) القمر ليلة اربعة عشر وسمي بدرا لمبادرته غالبا الشمس بالطلوع كأنه يعجلها المغيب ويقال سمي لذلك لتمامه وذلك لان القمر على ما قيل ينمو نوره كل ليلة لقربه من العرش فيزداد لذلك نورا فاذا كانت ليلة الاربعة عشر وصل اليه فيكمل نوره ثم يبدو بالبعد عنه فينقص لذلك نوره والشمس تبيت كل ليلة تحت العرش فهي كاملة النور دائما ولا كذلك القمر وكون ذلك بسبب اختلاف

اوضاعه من الشمس مبنى على قول الفلاسفة وقواعدهم ولم يصح فى الشرع شئ من ذلك لكن عبارات كثير من الاسلاميين تنطق بذلك قال ابو السعود العمادى فى تفسير قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الضيا اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه شعار بان نوره مستفاد من الشمس ثم قال بعد ذلك عند قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق ففيه اقوال بان جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا لخلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل انتهى وكذا كلام السعد فى المطول يشير الى ذلك وان اعترضه بعض المحققين وكلام الشعراء ايضا يصرح بذلك * *

قال الشاعر

لئن كان لى فضل فمنك كسبته ولولا ضياء الشمس ما بهر البدر

والله اعلم بحقيقة الحال وعندى لا باس بالقول بان نور القمر مستفاد من ضياء الشمس بل يكاد بعد انكار ذلك كانكار الشمس والقمر ليلة تم وحديث سجود الشمس كل ليلة تحت العرش صحيح لكنه ينبغى تاويله ضرورة تحقق انها تغرب عن قوم وتطلع على اخرين وفى الحديث ان ذلك عند ما تغرب واول بان ذلك سجود روحانية وعلى هذا النحو عروجها الى العرش وهذا نحو زيارة الكعبة بعض الاوليا مع انها فى موضعها لم تتزحزح عنه فيه شعرة ويقال فى حديث العمرات صح نحو ذلك فليحفظ وللشعراء كلام كثير فى البدر يعجز عنها نطاق الحصر فمن ذلك لشريف رفتر حوان فى تقابله مع الشمس

تامل اذا ما قابل البدر شمسه صباحا وكل تملا الافق انوارا
كان الذى القى الى الغرب رهما لحاجته القى الى الشرق دينارا

وللطغرائى فى ذلك ايضا

وكانما الشمس المنيرة اذ بدت والبدر يجنح للغروب وما غرب
متحاربان لذا مجن صاغه من فضة ولذا مجن من ذهب

واما ما ورد فى الهلال فلا يكاد يحصره المقال بحال وفى شرح لامية العجم للصفدى وشرح البديعية لابن حجة نبذة منه فارجع اليهما (والكمال) التمام وفى فعله ثلاث لغات ارداها الكسر كما فى الصحاح (والنور) بالضم الضوء ايا كان او شعاعه جمعه انوار ونيران قاله فى القاموس وقد يفرق بين النور والضوء كما يفهم من عبارة ابى السعود المارة آنفا وبه صرح غير واحد من العلماء والضوء عند معظم الاسلاميين ليس بجسم فقيل كيفية يخلقها الله تعالى عند مقابلة المضئ الزائلة بزوالها وقيل هو مراتب ظهور اللون والقائل بذلك ادعى ان الظهور المطلق هو الضوء والخفا المطلق هو الظلمة والمتوسط بينهما هو الظل وتختلف مراتبه بحسب القرب والبعد من الطرفين فاذا الف الحس مرتبة من تلك المراتب ثم شاهد ما هو اكثر ظهورا من الاول حسب ان هناك بريقا ولمعانا وليس الامر كذلك بل ليس هناك كيفية زائدة على اللون الذى ظهر ظهورا تاما فالضوء هو اللون الظاهر على مراتب مختلفة لا كيفية موجودة زائدة عليه ويبطل هذا القول ان القائل اعترف بان امر متحد دا فلا يكون الضوء نفس اللون ولانه مشترك بين الالوان فلا شك انها غير متشاركة فى الماهية بل متخالفة فيها فلا يكون الضوء نفسها وبان البلور فى الظلمة اذا وقع عليه ضوء يرى ضوءه دون لونه اذ لا لون له وكذلك الماء وايضا لو كان عين اللون لكان بعضه ضد البعضه لكنه باطل اذ لا يقابله الا الظلمة وزعم بعض الحكما الاقدمين بان الضوء اجسام صغار تنفصل من المضئ وتتصل بالمستضئ ويبطله انها اما غير محسوسة والضرورة تكذبه او محسوسة فتستر ما تحتها فيكون الاكثر ضوءا اكثر استتارا والمشاهد عكسه وانه لو كان جسما لكان حركته بالطبع اذ لا ارادة ولا قاسر فكانت الى جهة واحدة فلم يقع من كل جهة والتالى باطل ومما يقوى كونه غير جسم ان النور اذا دخل من الكوة ثم سد دناها فانه لا يخرج ولا يعدم ذاته والا لزم ان يكون حيلولة جسم بين جسمين معدمة لاحدهما بل كيفية وهو مرادنا واختار الفلاسفة المحدثون انه اجسام

غير موزونة وزعموا مثل ذلك في الحرارة ودفعوا ما يرد على ذلك واختار الملا صدرا انه اجسام الهيئة لا مادة لها واطال في اسفاره الكلام في ذلك * وتحقيق هذا المطلب بماله وما عليه يطلب من شرح المواقف ونحوه ففيه ترى المقاصد (ومتزائد) من الزيادة بمعنى النمو ويقال زاد يزيد زيادة وزيدا وزيدا بالكسر مثله وروي بالوجهين قول الشاعر

وانتم معشر زيد علاماتٍ    فاجمعوا امركم طرا فكيدوا

لكن المراد من هذا البيت ما هو بمعنى الفاعل كما لا يخفى وفي وصف البدر بتزايد النور مع انه لا يسمى بدرا الا اذا كمل نوره مبالغة لا تخفى * وحاصل معنى البيت على ما يقتضيه المقام ويشهد به الخاص والعام يا اخي وصاحبي ومن نحن اليه في الوداد كابي اخبرك بما تهش له الاذان وتبش من اجله الاذهان لا شنف سمعك بغرر درره واطيب فهمك بعبير عنبره والذك بذكر نعمانه واونسك بنغمات ها تيك الالحان واكرر عليك تلك الاخبار واحاديث نجد لا تمل تكرارا والا فقد طار في الافاق ما اقصه عليك واطلق في اكناف الطباق ما اقدم بين يديك وهو ان خالدا الولي الكامل جمع كل مفرد من الفضائل ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ولم يدع مرتبة ولا منقبة الا بلغ اقصاها شعر

ليس على الله بمستنكر    ان يجمع العالم في واحد

وانه بدر الكمال * الساطع في افلاك الجمال * المتزايد نوره وان تم شكله وتدويره * وفي الكلام ما لا يخفى على ذوي الافهام * * *

قال الناظم

راينا عظيم الهول في خطبه كما    رأت بشرها في الخلد منه الخرائد

قوله (راينا) من الرؤية النظر بالعين وبالقلب ورايته رؤية ورايا وراة وراية ورئيانا قاله في القاموس ويجوز عند الامام الاشعري رحمه الله تعالى ومتبعيه تعلق الرؤية بكل موجود كالاصوات والطعوم والروائح والالوان والاكوان وعدم الرؤية الا لبعض الموجودات

كالاجسام

كالاجسام عادى ولهذا قالوا يجوز رؤية الله تعالى يوم القيامة للملائكة
ومؤمنى الانس والجن وتحقيقه ان الابصار عبارة عن ادراك تام
وانكشاف بليغ يحصل عقيب فتح البصر وهذا فى الشاهد انما يحصل
بالمحاذات والقرب والانطباع عند خروج الشعاع على هيئة مخروط
مستدير راسه عند الحدقة وقاعدته على سطح المرئى ومن هنا ترى
العنبة فى الماء كالاجاصه وبيان ذلك يطلب من محله وفى حق الله تعالى
فى الاخرة يحصل هذا الادراك بدون تلك الشرائط ولا يلزم من كون
تلك الشرائط شرائط فى ادراكنا فى هذه النشاة كونها شرائط فى
النشاه الاخرى اذ لاشك فى قدرة الله تعالى على ان يخلق فى البصر
قوة يتمكن بها من ادراك ذاته بدون تلك الشرائط فلا مواد ولامقابلة
ولاجهة بل هذه ونحوها اسباب عادية فيجوز الابصار بدونها فى
هذه النشاة كاعمى الصين يرى بقة اندلس واستدلوا على جواز
الرؤية بالنقل والعقل فاما النقل فقوله تعالى حكاية عن موسى على
نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام رب ارنى انظر اليك الآية
ووجه الاستدلال انه امران الاول ان سؤال موسى الرؤية يدل
على امكانها لان العاقل لايطلب المحال فضلا عن النبى ولا مجال للقول
بالجهل لان الجاهل بما لايجوز على الله تعالى لايصلح للنبوة اذ الغرض
منها هداية الخلق ولاريب فى نبوة موسى وانه من اهل العزم الثانى
انه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو امر ممكن فى نفسه والمعلق على
الممكن ممكن لان معنى التعليق الاخبار بوقوع المعلق عند وقوع المعلق
به والمحال لايثبت على شئ من التقادير الممكنة واما النقل فانا نرى
الاعراض والالوان والاضواء وغيرها ونرى الجواهر ايضا فلابد
من امر مشترك بينهما يكون هو المتعلق الاول للرؤية وذلك الامر اما
الوجود او الحدوث او الامكان والاخيران عدميان لايصلحان لان
تتعلق الرؤية بهما فلم يبق الا الوجود وهو مشترك بين الواجب
والممكنات فتجوز رؤيته عقلا وما قيل انه يجوز ان يكون الوجود بشرط
الحدوث والامكان او نحوهما لايوجد فيه تعالى ففيه ان مجموع علة

الرؤية يكون عدميا ايضا على ما قيل لكن يانت تعلم ان القول باشتراك الوجود
بينا فى مذهب الشيخ فانه ذهب الى ان وجود كل شئ عينه وانه لا اشتراك
بين الموجودات الا فى اللفظ كما هو المشهور واوله صاحب المواقف بان
مراد الشيخ انه ليس فى الخارج هويتان احدهما الوجود والاخرى الماهية
فالاتحاد بينهما بحسب التحقق لا بحسب المفهوم فلا ينافى اشتراكهما فى
مفهوم مطلق الوجود وهذا التاويل فى غاية البعد وقال الآمدى ان الشيخ
وان انكر الوجود اقام الدليل على سبيل الزام المخالفين القائلين بالاشتراك
وقد يثبت وقوع رويته تعالى فى الاخرة بالكتاب والسنة اما الكتاب
فكقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنظر فى اللغة يكون
بمعنى الانتظار واستعمل متعديا بنفسه كقوله تعالى على ما قيل انظرونا
نقتبس من نوركم اى انتظرونا نقتبس ويكون بمعنى التفكر والاعتبار
ويستعمل ح بفى يقال نظرت فى ذلك الامر اى تفكرت فيه وجاء بمعنى
الرافة والتعطف ويستعمل باللام يقال نظر السلطان لفلان اى راف به
وتعطف وجاء بمعنى الرؤية ويستعمل بالى والنظر فى الاية مستعمل بالى
فوجب حمله على الرؤية وليس بمعنى الانتظار والى بمعنى النعمة مفعول به له
لان الاية وردت مبشرة للمؤمنين والانتظار يوجب الغم فلا يناسب سياق
الاية واما السنة فكقوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون
القمر ليلة البدر والمعتمد فيه اجماع الامة قبل حدوث المبتدعين على
وقوع الرؤية وهو مستلزم لجوازه وعلى كون الاية محمولة على الظاهر
المتبادر منها وقد احتج المنكرون بقوله تعالى لا تدركه الابصار لان الادراك
المنسوب الى الابصار هو الرؤية والله تعالى تمدح بكونه لا يرى وما
كان سلبه مدحا يكون وجوده نقصا يجب تنزيه الله تعالى عنه وقد
اجيب عن ذلك بوجوه الاول ان الادراك هو الرؤية مع الاحاطة
بجوانب المرئى وحقيقة النيل والوصول كقوله تعالى انا لمدركون
اى ملحقون والرؤية المقارنة للاحاطة اخص من الرؤية المطلقة
فلا يلزم من نفيها بالمعنى الاول نفيها بالمعنى الثانى الثانى ان هذه
القضية رفع للايجاب الكلى ولا اقل من احتمال الاية لهذا المعنى بان يعتبر

اولا العموم ثم ورد للسلب فيكون سالبة جزئية ومع هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال الثالث انا لو سلمنا ان الاية عامة في الاشخاص فلا نسلم عمومها في الاوقات فانها سالبة مطلقة ونحن نقول بموجبها حيث لا يرى في الدنيا شعر

ومن قال في الدنيا يراه بعينه فذلك زنديق طغى وتمردا

على ما ذكره جمع من العلما وما قيل من التمدح ليس دليلا على مطلوبهم بل هو حجة لنا لانه لو امتنعت الرؤية لم يكن فيه تمدح وانما التمدح للتمنع المتفرد بحجاب الكبرياء مع امكان رؤيته ولان عدم رويته في الدنيا مع كونه اقرب اليهم من حبل الوريد كاف في التمدح فلا ينافي رؤيته في الدار الاخرة وذهب بعض السادة الصوفية الى انه سبحانه انما يرى في الاخرة متجليا بما شاء وكيف شاء واما ذاته تعالى الحق الذى هو الوجود المطلق حتى عن قيد الاطلاق فلا يمكن ان يرى مجردا عن جميع التعينات وقالوا ان ما وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام من الرؤية ليلة المعراج كان بتجل خاص ولعله اكمل التجليات ومتى كان التجلي في مظهر فالحكم بالمقابلة ونحوها لذلك المظهر لا غير وسبحان العزيز الحكيم هذا والكلام في هذا المقام كثير محله كتب العقائد وفيما ذكرناه كفاية (والعظيم) من عظم الشيء عظما كبر فهو عظيم والعظام مثله بالضم كذا في الصحاح (الهول) من هاله الشيء يهوله هولا اذا فزعه كهوله فاهتال والهول المخافة من الامر لا يدري ما يهجم عليه منه والجمع اهوال وهول كالميلة بالكسر وهول هائل ومهول كمقول تاكيد قاله في القاموس (والخطب) الشان والامر عظم او صغر جمعه خطوب والمراد به هنا الامر العظيم (والبشر) من بشر الرجل البشره بالضم بشرا وبشورا من البشرى وكذلك الابشار والتبشير ثلاث لغات والاسم البشارة والبشارة بالكسر والضم يقال بشرته بمولود فابشر ابشارا اى سر كذا في الصحاح (والخلد) بضم الخا وسكون اللام دوام البقاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله تعالى وخلده تخليدا والمراد به دار الخلد يعني الجنة وسميت بذلك لخلود اهلها وعدم فنائهم على ما هو

مذهب المسلمين وكذلك اهل النار وما ينسب الى سيدى محيى الدين فى صحة نسبته اليه ومقال نقل سيدى عبد الوهاب عنه نصوصا ناطقة بخلافه وان صح فهو قول مؤول واما الاستثناء فى قوله تعالى خالدين فيها الا ماشاء ربك فقد ذكروا له وجوها مشهورة فيما بينهم ورايت لبعض المعاصرين من الفضلا المحققين توجيها لذلك ايضا زعم انه اخترعه فكره الوقاد وذهنه النقاد * ونصه والذى يلوح لذهنى الكليل * والله سبحانه وتعالى اعلم بمعانى التنزيل * ان الاستثنا فى الموضعين مبنى على الفرض والتقدير ومعنى الاماشاء الله اى لو فرض ان الله شاء اخراجهم من النار والجنة فى زمان لكان مستثنى من مدة خلودهم ولكن ذلك لايقع البتة لدلالة القواطع على نفى وقوعه ثم النكتة فى هذا الاستثناء والله تعالى اعلم ارشاد العباد الى تفويض الامور اليه تعالى واعلامهم بانها منوطة بمشيئته يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولاحق لاحد عليه ولايجب عليه شئ كما قال ان ربك فعال لما يريد وعلى هذا يكون المراد بالذين شقوا الكفار فقط فانهم الاحقاء بهذا الاسم على الحقيقة وبالذين سعدوا المؤمنين كافة مطيعهم وعاصيهم فيكون التقسيم فى قوله تعالى فمنهم شقى وسعيد للانفصال الحقيقى ولاينافيه قوله فى الجنة لانه يصدق بالدخول فى الجملة ولعل هذا التاويل هو الحق الذى لامعدل عنه ان شا الله تعالى وان خلت عنه الدفاتر فكم ترك الاول للاخر انتهى * وكان كثيرا ما يخطر فى ذهنى هذا المعنى ولم اتجاسر على ابدائه لعلمى انى لست من فرسان هذا الميدان ولامن ارباب هذا الشان مع انه لايخلو عن شئ فتامل فيه ظاهره وخافيه ثم انى ظفرت بمعناه فى معالم التنزيل فعجبت من دعوى ذلك المعاصر الجليل ولا اظن فيه الاصالحا فاذا حققت ذلك فاعلم ان المؤمنين كلهم مخلدون فى الجنة بعد ان يعذب عصاتهم بقدر المعصية او يعفو عنهم وان الكفار مخلدون فى النار سواء فى ذلك الكافر المعاند والمبالغ فى الاجتهاد وخالف فى هذا الجاحظ وعبد الله العنبرى قال ان الخلود انما هو فى حق المعاندين لا المبالغ فى الاجتهاد الساعى بقدر وسعه وان لم يهتد نبيه اذ لاتقصير منه ولايكلف الله نفسا الا وسعها وفى المنقذ

من الضلال للغزالي كلام يقرب منه بعض القرب وكذا الشيخ الإسلام بن
تيمية في بعض فتاويه واما الاطفال فالجمهور على ان اطفال المشركين
في النار لما روي ان خديجة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن اطفالها الذين ماتوا في الجاهلية فقال هم في النار وقيل من علم الله تعالى
منه الايمان والطاعة على تقدير بلوغه ففي الجنة ومن علم منه الكفر
والعصيان ففي النار وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الصحيح
ان اطفال المشركين من اهل الجنة وقالت المعتزلة انهم لا يعذبون
بل هم خدم اهل الجنة لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون قال بعض المدققين وهذا الدليل لا يدل على كونهم خدم
اهل الجنة فلا بد لهم من دليل اخر ثم ان النار سبع طبقات جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير * ثم سقر ثم الهاوية وبين العليا والسفلى خمس
وسبعمائة سنة واختلفوا في الجنة هل هي واحدة والاسماء والصفات
المتعددة جارية عليها ام متعددة قال جمع بالاول وجمع بالثاني لكنهم
اختلفوا بالمقدار فقال بعضهم انها سبع الفردوس وجنة المأوى
وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال
وبعض انها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن
دونهما جنتان والله تعالى اعلم (والخرائد) جمع خريدة ويجمع على خرد
وخرد والخريدة من النساء الحسنة قال ابن الاعرابي وكل عذراء
خريدة وكل لؤلؤة لم تثقب كذلك وقال في الصحاح وربما قالوا جارية
خرود اي خفرة واراد بالخرائد الحور العين او غيرهن من نساء الدنيا
اللاتي يفقهن بما يعطينه من الحسن جزاء على اعمالهن وفي البيت اشارة
الى وجود الجنة الان وهو مذهب اهل السنة قالوا الجنة والنار
مخلوقتان الان لقوله تعالى اعدت للمتقين واتقوا النار التي اعدت
للكافرين وحملهما على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في
تحقيقه مثل ونفخ في الصور ونادى اصحاب الجنة خلاف الظاهر
فلا يعدل اليه بدون قرينة على انه من تتبع الاحاديث الصحيحة وجد
فيها شيئا كثيرا دالا على وجودهما دلالة ظاهرة نعم لم يرد نص صريح

في تعيين مكانهما والاكثرون على ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش لقوله تعالى عند سدرة المنتهى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم سقف الجنة عرش الرحمن وان النار تحت الارضين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين وقالت المعتزلة انهما ليستا مخلوقتين الآن بل يخلقان يوم الجزاء لانهما لو كانا موجودين فاما في عالم الافلاك او العناصر او في عالم آخر والكل باطل * اما الاول والثاني فلانه ورد في التنزيل ان عرض الجنة كعرض السموات والارض فكيف توجد الجنة والنار فيهما معا واما الثالث فانه يستلزم الخلاء بينهما والجواب منع امتناع الخلاء وعلى تقدير التسليم يمكن ان تكون الفرج مملوة بجسم آخر وادلة الكروية الحقيقية لا تتم حتى يقال ان الجسم الآخر ايضا يلزم ان يكون كرويا فوقوع الفرجة لازم البتة لا يقال ان خلقهما الآن خال عن الحكمة والمصلحة اذ هما للمجازات ولا مجازاة قبل يوم القيامة بالاجماع لانا نقول لا يجب على الله رعاية المصلحة والحكمة عندنا ولئن سلمنا فلا نسلم انحصار الفائدة بالمجازاة ولئن سلم فلا نسلم انه غير واقع وورد انه قد يفتح للمؤمن في قبره باب الى الجنة وللكافر باب الى النار وان المؤمن يصل اليه من روح الجنة والكافر يصل اليه المكروه من النار بل قد ورد في بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات المؤمن اعطي نصف الجنة واراد نصف جنته فلا اشكال وقال بعض اكابر المحققين ان الجنة والنار مخلوقتان الآن لكن في الجملة على معنى انه لم يتم خلقهما بحيث لم يتجدد فيهما شيء من اجزائهما الماصح انه يضم للنار يوم القيامة البحار الموجودة اليوم في الدنيا على الارض وانه يغرس للمؤمن في الجنة كذا شجرة كلما سبح وهلل او كبر فيجوز ان يقال انهما مخلوقتان الآن ويكون صدق كل على اعتبار فافهم وكذا في البيت اشارة الى ان خالدا من اهل الجنة ولا ضير في ذلك بناء على قول كثير من العلماء من صحة اطلاق القول بدخول الجنة على غير المبشرين لقوله صلى الله عليه وسلم من اثنيتم عليه خيرا دخل الجنة وكذا القول بدخول النار لقوله صلى الله عليه وسلم ومن اثنيتم عليه شرا دخل النار وتحقيق المقام يطلب من كتب الكلام والتشبيه

فى قوله كما رات كالتشبيه فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وكالتشبيه فى الصلاة الابراهيمية على وجه فيهما * وحاصل معنى البيت * انا راينا الهول العظيم * والخطب الجسيم * عند حلول المنية ونزول تلك البلية * بساحل هذا الولى الكامل * والعالم الفاضل * كما رات الخرائد سرورها فى جنة الخلد برؤياه * واستبهجت الحور بلقياه * وهذا امر لا مرية فيه * ولا شبهة تعتريه * وعد ما حل بجناب الشيخ خطبا انما هو بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه * فهو من احب الاشيا لديه كيف لا وهو سبب للقاء مولاه * والتمتع برؤياه * والفوز بالنعيم السرمدى * والبقاء الابدى وكان قدس سره قبل وفاته بايام * يظهر الاستبشار بالوفود على الملك العلام * كما نقل ذلك الثقات من اهل دمشق الشام * فرحم الله تعالى زكى تربته * وحشره فى زمرة احبته وآجرنا على مصيبته * والهمنا الصبر على فرقته * * * *

قال الناظم

بذا قضت الايام ما بين اهلها  مصائب قوم عند قوم فوائد

اقول هذا البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها سيف الدولة * ويذكر فيها بعض غزواته ومطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد  وان ضجيع الخود منى لماجد

وقبل هذا البيت

فتبكى عليهن البطاريق فى الدجا  وهن لدينا ملقيات كواسد

وبعده

ومن شرف الاقدام انك فيهم . على القتل موموق كانك شاكد

(وذا) اسم اشارة يشار به الى المفرد المذكر المحسوس المشاهد وقد ينزل المعقول لنكتة كما هنا منزلته ولقلة المذكر او شرفه لم يوضع للاشارة اليه الا لفظ واحد ولكثرة المؤنث ولاستقباح التصريح به كثرت الفاظ الاشارة اليه فنها ذى وذه بالكسر والسكون والاختلاس وتا وتهو وته كذه ووضعها كلى والموضوع له فيها مشخص على ما هو التحقيق عندهم ويفهم من كلام العلامة عبد الحكيم السالكوتى فى حواشيه على المطول

ان الاختلاف لفظى فليراجع فانه غريب (وقضت) اى حكمت ومنه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ومصدره القضا واصله قضاى لانه من قضيت الا ان الياء لما جاءت بعد الالف همزت واليه تنسب القضية فى اصطلاح المنطقيين وهى من نسبة الكل الى الجزء اذ الحكم جزء منها كذا قيل فتامل (والايام) جمع يوم واصله ايوام فادغم بعد القلب قاله فى الصحاح ويطلق اليوم على مطلق الوقت كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة وعلى اليوم الشانى وقد يقال الشؤنى المشار اليه فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان وهو مركب من اثنى عشرة ساعة مفرقة فى الايام العرفية والليالى وهى ساعات الكواكب السيارة وللشيخ الاكبر رسالة فى ذلك وعلى اليوم الشرعى وهو كالنهار من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس * وذهب سليمان الاعمش الى انه من اول بزوغ الشمس الى غروبها محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة النهار عجما وان قال بعضهم ولعمرى ان الحديث ان صح معه وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأن صلاة النهار عجما فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجما وهى الجهورية والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان مشهودا اى مجهورا به وما جهر به كان حكمه داخلا فى الليل * ويقال انه قيل لابى حنيفة رضى الله عنه الا تمضى الى الاعمش تسلم عليه قال كيف اسلم على من لا صام رمضان قط وقال وكيع سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى هذا كان مذهب الاعمش وهو الذى روى النسائى باسناده الى حذيفة رضى الله عنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك فى تاريخه الكبير وقد اكد الامام فخر الدين الرازى مذهب الاعمش ونصره بحث قال فيه لو بحثنا عن حقيقة الليل فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل وجدناه عبارة عن غيبة الشمس بدليل ان الله سمى ما بعد المغرب ليلا بعد بقاء الضوء فيه فثبت ان يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون قبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد النهار الا عند

طلوع القرص انتهى قال بعض المحققين قلت الاية الكريمة قد بينت حرمة اكل الصائم فى قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد بينت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح فى غاية مدة اكل الصائم فى الليل والخيط الابيض هو الفجر الثانى الذى يظهر فى الافق من القبلة الى السماك وليس بالفجر الكاذب الذى يأخذ اولا من ذيل الافق قريبا من ثلثه طولا وهو المسمى ذنب السرحان اورد على ما تقدم ان حديث صلاة النهار عجماء وان وكذا حديث صلاة النهار عجما فى صحته مقال كما اشرنا اليه سابقا وبفرض الصحة الاستدلال به مبنى على ان مفهوم اللقب حجة ولم يقل بذلك احد من القائلين بالمفهوم الا الدقاق والصيرفى وابن خويز منداد ومنصور بن احمد والامام احمد نفسه ونحن من وراء المنع ثم انه ليس معنى مشهودا مجهورا انه عند جمهور المفسرين بل معناه تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار الذين يتعاقبون فينا وخبر النسائى عن حذيفة بعد تسليم سلامته عن العلة محمول على المبالغة فى تاخير السحور جمعا بين الاخبار وكلام الرازى فى الانتصار للاعمش فى غاية الضعف اذ لا يلزم من تسمية ما بعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء ان يكون الطرف الاول من النهار كذلك كما لا يخفى على المنصف وبالجملة لا يتبع الاعمش فى هذه المسألة الا الاعمى وتمام الكلام فى هذا المقام يطلب من كتب الفقهاء الاعلام ولليوم اطلاقات اخر وانهى بعضهم اطلاقاته الى نيف وخمسين اطلاقا واغرب ما فيها اطلاقه على المرتبة وجعل من ذلك ما فى قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام والبحث فى ذلك مجال ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع كلامه بما له وما عليه (وبين) قال فى الصحاح بمعنى وسط تقول جلست بين القوم كما تقول وسط بالتخفيف وهو ظرف فان جعلته اسما اعربته تقول لقد تقطع بينكم برفع النون كما قال الهذلى ابو خراش يصف عقابا

فلاقته ببلقعة براح فصادف بين عينيه الجبوبا

وتقول لقيته بعيدات بين اذا لقيته بعد حين ثم امسكت عنه ثم اتيته

وهذا الشئ بين بين اى بين الجيد والردى وهما اسمان جعلا واحدا انتهى ومهنا بحث نفيس ذكره الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص لا باس بذكره وهو انهم يقولون المال بين زيد وبين عمرو بتكرير لفظة بين فيهمون فيه والصواب فيه ان يقال بين زيد وعمرو كما قال سبحانه وتعالى بين فرث ودم والعلة ان لفظة بين تقتضى الاشتراك فلا تدخل الا على مثنى او مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدى عن شيئين وان كانت مفردة وتنوب مناب لفظتين الا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم لفظة ذلك مقام مفعولى ظننت وكان تقدير الكلام مذبذبين بين الفريقين وكشف سبحانه هذا التاويل بقوله تعالى لا الى هولاء ولا الى هولاء ونظيره لفظة احد فى مثل قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وذلك ان لفظة احد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع وليست بمعنى واحد يعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبى لستن كاحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءنى احد فقد اشتمل هذا النفى على استغراق الجنس من المذكر والمؤنث والمثنى والجمع فان اعترض معترض بقول امرء القيس بين الدخول فحومل فالجواب عنه ان الدخول اسم واقع على عدة امكنة فلهذا جاز ان يعقب بالفاء كما يقال المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه وانما ذكر السحاب وهو جمع لانه من قبيل الجمع الذى بينه وبين واحده الهاء وهذا النوع من الجمع مثل الشجر والسحاب والنخل والنبات يجوز تذكيره وتانيثه كما قال سبحانه وتعالى فى سورة القمر كانهم اعجاز نخل منقعر وقال تعالى فى سورة الحاقة كانهم اعجاز نخل خاوية قال الشيخ الاجل الامام الامجد ابو محمد ارضانا الله برحمته واظن الذى اوهمهم لزوم تكرير لفظ بين مع الظاهر ما راوه من وجوب تكريرها مع الضمير فى مثل قوله عز وجل هذا فراق بينى وبينك وقد وهموا فى المماثلة بين الموطنين وخفى عليهم الفرق الواضح بين الموضعين وهو ان المعطوف فى الاية قد عطف على المضمر المجرور الذى من شرط جواز العطف

عليه

عليه عند النحويين من اهل البصرة تكرير الجار فيه كقولك مررت به وبزيد ولهذا لحنوا حمزة فى قراءته واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام حتى قال ابو العباس المبرد لو انى صليت خلف من قرأها لقطعت صلاتى ومن تاول فيها لحمزة جعل الواو الداخلة على لفظة الارحام واو القسم لا واو العطف وانما لم يجز البصريون تجريد العطف على المضمر المجرور لانه لشدة اتصاله بما جره يتنزل منزلة احد حروفه او التنوين منه فلهذا لم يجز العطف عليه كما لا يجوز العطف على التنوين ولا على احد حروف الكلمة فان قيل كيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب بغير تكرير وامتنع العطف فى المضمر المجرور الا بالتكرير فالجواب عنه انه انما جاز ان يعطف ذانك المضمران على الاسم الظاهر فى مثل قولك قام زيد وهو وزرت عمرا واياك جاز ان يعطف الظاهر عليهما فيقال قام هو وزيد وزرتك وعمرا ولما لم يجز ان يعطف المضمر المجرور على الظاهر الا بتكرير فى مثل قولك مررت بزيد وبك لم يجز ان يعطف الظاهر على المضمر الا بتكرير ايضا نحو مررت بك وبزيد وهذا من لطائف العلوم العربية ومحاسن الفروق النحوية * واقول قد وهم فى ذلك العالم على ما عامله الله تعالى بعدله فى قوله الذى هو دون غيره من اهله

ونثرن حاطبا بهذا الورى فثور الثريا ونور الثرى
فمن بين هذا ومن بين ذا حمير مسرحة للعرى

ثم قال الحريرى ايضا فى درته ويقولون للمتوسط الصفة هو بين البينين والصواب هو بين بين اى كما ذكر فى الصحاح وقد كان الاصل فى هذا الكلام ان يضاف فى بين فلما قطع عن الاضافة وضم احد الاسمين الى الآخر وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا كما بنى العدد المركب نحو احد عشر ونظائره واختيرت له عند بنائه الفتحة لانها اخف الحركات وليست هذه الفتحة التى فى قولك بين بين من جنس الفتحة فى لفظة بين عند الاضافة لان هذه فتحة اعراب بدلالة اعتقاب الجر عليها فى مثل قوله تعالى من بين فرث ودم ثم قال ومن خصائص

بين الظرفين ان الضم لا يدخل عليها بحال فاما قراءة من قرا لقد تقطع بينكم بالرفع فانه عنى بالبين الوصل كما عنى به الشاعر البعد في قوله

لقد فرق الواشون بيني وبينها • فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

لان لفظة بين من الاضداد انتهى وفي الصحاح ما يقرب منه وهو من الحسن بمكان * وما الواقعة قبل بين ها هنا موصولة منصوبة بنزع الخافض اى فيما بين اهلها ولا يبعد القول بزيادتها بل المعنى عليه اظهر كما لا يخفى على ذى نظر نعم الشائع زيادة ما بعد بين كقوله

فاستقدر الله خيرا وارضين به • فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط • اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه • وذو قرابته في الحي مسرور

واورد ابو بكر بن محمد بن القاسم الانبارى لهذا البيت حكاية هي من ظروف الاعاجيب وغير التجاريب فروى باسناده الى هشام بن الكلبى قال عاش عبيد بن سريت الجرهمي ثلاثمائة سنة وادرك الاسلام * فاسلم فدخل على معاوية بالشام وهو خليفة قال حدثني باعجب ما رايت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

يا قلب انك من اسماء مغرور • فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من احد • حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدرى وما تدرى اعاجلها • ادنى لرشدك ام ما فيه تاخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به • فبينما العسر اذ دارت مياسير

الى ان اتيت الى قوله يبكى الغريب البيت فقال لى رجل اتعرف من يقول هذا الشعر قلت لا قال ان قائله هذا الذى دفناه الساعة وانت الغريب الذى يبكى عليه وليس يعرفه وهذا الذى خرج من قبره امسى الناس رحما به واسرهم بموته فقال له معاوية لقد رايت عجبا فمن قائل هذا البيت فقال عمرو بن لبيد العذرى وقيل الميت عمش ابن لبيد وفى كتاب المعمرين الميت جريت بن جبلة ذكر ذلك الحريرى

فى درة عند تخطئة من قال هو قرابتى ذاكرا ان الصواب هو ذو قرابتى واستشهد بالبيت واورد القصة وحسنها اوردناها ثم ان الحريرى نوقش فى بعض كلامه السابق فارجع الى شرحه للشهاب الخفاجى ولا تغفل والضمير فى (اهلها) راجع للايام والمراد من الاهل هنا ظاهر وقال المطرزى فى المغرب اهل الرجل اخص الناس به واشترط بعضهم ان يكون الاختصاص بالقرابة ويقال اهل البيت لسكانه واهل الاسلام لمن تدين به واهل القران لمن تقراءه ويقوم به والال بمعناه الا انه خص استعماله بالاشراف وقيل الال فى الاصل الشخص ويسمى الاولاد بذلك لانهم خرجوا من الشخص ثم عموا اواستعملوا فى اهل البيت واهل الدين ذكر ذلك العلامة البرجندى قال فى الصحاح الاهل اهل الرجل واهل الدار وكذلك الاهلة قال الشاعر

واهلة ود قد تبريت ودهم ... وابليتهم فى الحمد جهدى ونائلى

اى رب من هو اهل للود قد تعرضت له وبذلت له فى ذلك طاقتى من نائلى والجمع اهلات واهالات واهال زادوا فيه الياء على غير القياس كما جمعوا الليلا على ليال وقد جاء فى الشعر على آهال مثل فرخ وافراخ وزند وازناد وانشد الاخفش

وبلدة ما الانس من اهالها ... ترى بها العوهق من وبالها

اى بها اهلها ثم قال وتقول فلان اهل لكذا ولا تقول مستاهل والعامة تقوله انتهى (والمصائب) جمع مصيبة وهى والمصابة والمصوبة الامر المكروه الذى بالانسان وقيل هى فى الاصل ما يصيب الانسان ويصل اليه من مكروه او محبوب ثم خصها العرف بما يصيب من مكروه وجمعها المشهور مصائب وربما جمعت على مصيبات (والقوم) قال فى الصحاح الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى ... اقوم آل حصن ام نساء

قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وربما

دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء جمع القوم اقوام وجمع الاقوام اقاوم قال ابو صخر

فان يعذر القلب العيشة والصبا فؤادك لا يعذر له فيه الاقاوم

عنى بالقلب العقل قال ابن السكيت يقول اقاوم واقاوم والقوم يذكر ويؤنث٣ مثل رهط ونفر وقوم قال الله تعالى وكذب به قومك فذكر وقال كذبت قوم نوح فانث فان صغرت لم تدخل فيها الهاء وقلت قويم ورهيط ونفير وانما يلحق التانيث فعله وتدخل الها فيما يكون لغير الادميين مثل الابل والغنم لان التانيث لازم له واما جمع التكسير مثل الجمال ومساجد فان ذكرت وانثت فانما تريد الجمع اذا ذكرت وتريد الجماعة اذا انثت انتهى وقوم الرجل اقرباؤه والذين يجتمعون معه في جد واحد وقد يطلق على الاجانب توسعا ومنه قوله تعالى يا قوم اتبعوا المرسلين على ان القائل كان مقيما بين اولئك ولم يكونوا ذوي قرابته وكانه انما سمى القوم قوما لقيامهم بالعظائم والمهمات (وعند) مثلثة العين وهي ظرف تستعمل في المكان والزمان تقول عند الليل وعند الحائط الا انها ظرف غير متصرف لا تقول عندك واسع بالرفع وقد ادخلوا عليه من حروف الجر من وحدها كما ادخلوها على لدن قال تعالى رحمة من عندنا وقال من لدنا ولا يقال مضيت الى عندك ولا الى لدنك قاله في الصحاح وانما اختصت من بذلك لانها ام حروف الجر ولام كل باب اختصاص بتنازيه وتنفرد بمزيته كما اختصت ان المكسورة بدخول اللام في خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضي خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر قال غير واحد ولا يرد ما تقدم من قول الشاعر

كل عند لك عندي لا يساوي نصف عندي

لانه كقوله

ليت شعري واين مني ليت ان ليتا وان سوف عناء

٣ لان اسماء الجمع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت للادميين تذكر وتؤنث

هذا وقد ذكروا ان عند تستعمل لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك
عندى زيدا فضل من عمرو وبمعنى الملكية كقولك عندى مال وبمعنى
الحكم كقولك زيد عندى افضل من عمرو اى فى حكمى وبمعنى الفضل
والاحسان كما قال تعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما السلام
فان اتممت عشرا فمن عندك اى من فضلك واحسانك وتاتى لغير ذلك
كما لا يخفى على المتتبع وحاصل معنى البيت ظاهر فلا يحتاج لذكره ذاكر
وفى هذا البيت من انواع البديع ارسال المثل وهو عبارة عن ان
ياتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت او
غير ذلك مما يحسن بالتمثيل كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة
وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها * وقول

زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه    وتغرس الا فى منابتها النخل

وقول بشار

فعش واحدا او صل اخاك فانه    مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى    ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

وللمتنبى من ذلك شئ كثير وذكر ابن ابى الاصبع انه استوعب شعره له
فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربع مائة بيت فمن ذلك
قوله من قصيدة وذكروا انه هو الذى ادعى بها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى    عدوا له ما من صداقته بد

وقوله فى القصيدة التى هذا البيت المشروح منها

اهم بشئ والليالى كانها    تطاردنى عن كونه واطارد

وقوله

وحيد من الخلان فى كل بلدة    اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه    على حالة لم يحمل الكف ساعد

وقوله

وكل يرى طرق الشجاعة والندى    ولكن طبع النفس للنفس قائد

وقوله

وان قليل الحب بالعقل صالح    وان كثير الحب بالجهل فاسد

وله من امثال ذلك شيء جليل * وما لابي الطيب وامثاله مثيل * ولقد صدق فيما يقول

وما الدهر الا من رواة قصائدي    اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا    وغنى به من لا يغني مغردا

ودع كل صوت غير صوتي فانني    انا الصائت المحكي والآخر الصدى

ولولا حذر الاطناب لاتينا من كلامه بالعجب العجاب وفي الكلام غير ما ذكرنا من انواع البديع فافهم ان كنت ذا ذهن رفيع ولشهرة هذا البيت ساغ للناظم تضمينه وذلك ليس من السرقة في شيء ومثل ذلك كثير واكثر منه تضمين الشطر كما لا يخفى على المتتبع * * *

قال الناظم

دعاه لصقع القدس مولاه عنده    فلباه سرا وهو اياه قاصد

اقول (دعاه) ناداه (والصقع) بالضم الناحية ويقال ما ادري اين صقع اي اين ذهب وفلان من اهل هذا الصقع اي من اهل هذه الناحية والمراد بصقع القدس حضرته تعالى المقدسة (والمولى) له معان قال في الصحاح المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار * والصهر والمولى وكل من ولي امر واحد فهو وليه * وقول الشاعر

هم المولى وان جنفوا علينا    وانا من لقائهم لزور

قال ابو عبيدة يعني الموالي اي بني العم وهو كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا واما قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه    مولى المخافة خلفها وامامها

فيريد انه اولى موضع ان يكون فيه الحرب وعند قوله فغدت تم الكلام كانه قال فغدت هذه البقرة وقطع الكلام ثم ابتدا فكانه قال تحسب كل الفرجين مولى المخافة والمولى الحليف قال

موالي حلف لا موالي قرابة    ولكن قطينا يسألون الاتاويا

يقول هم حلفاء لا ابناء عم وقول الفرزدق

فلو كان

فلوكان عبد الله مولى هجوته ٭ ولكن عبد الله مولى مواليا
لان عبد الله بن ابی اسحاق مولی الحضرميين وهم خلفاء بنی عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى وانما قال مواليا فنصبه لانه رده الى اصله للضرورة ولم ينون لانه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لا ينصرف والنسبة الى المولى مولوى انتهى والمراد بالمولى هنا الناصر او من ولى امره وزعمت الشيعة ان من جملة معانى المولى الاولى بالتصرف ولهذا جعلوا حديث الغدير قطعيا فی امامة علی رضی الله تعالى عنه وهو ما رواه بريدة ان النبی صلی الله عليه وسلم لما كان بغدير خم حين رجوعه من حجة الوداع اخذ بيد علی كرم الله وجهه بحضر من الصحابة وقال يا معشر المسلمين الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وذكروا فی الاستدلال ان المولى بمعنى الاولى فی التصرف وكونه اولى بالتصرف عين الامامة ولا يخفى ان اول الغلط فی هذا الاستدلال انكار اهل العربية قاطبة ثبوت ورود المولى بمعنى الاولى بالتصرف بل قالوا لا يجیء قط مفعل بمعنى افعل الا ان ابا زيد اللغوی جوز ذلك متمسكا فيه بقول ابی عبيدة فی تفسير قوله تعالى هو مولاكم اولى بكم لكن جمهور اهل العربية خطؤه قائلين لو صح هذا القول لزم ان يقال مكان فلان اولى منك مولى منك وهو باطل بالاجماع وتفسير ابی عبيدة بيان لحاصل المعنى والثانی ان المولى لو كان بمعنى الاولى ايضا لا يلزم ان يكون صلة بالتصرف اذ يحتمل ان يكون المراد اولى بالمحبة او التعظيم ٭ والثالث ان القرينة البعدية تدل صراحة على ان المراد بالولاية المفهوم المحبة وهی قوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولا لقال اللهم وال من كان فی تصرفه وعاد من لم يكن كذلك فذكر المحبة والعداوة دليل صريح على ان الحق ايجاب محبته والتحذير عن عداوته ولو كان المقصود من الحديث بيان الخلافة لصرح بذلك صلى الله عليه وسلم ولقال ايها الناس ان عليا والى امركم من بعدى والقائم فی الناس بامری وبهذا رد الحسن المثنى بن الحسن السبط الاكبر رضی الله عنه على من زعم

ان الحديث يدل على الخلافة كما رواه عنه ابو نعيم ووجه تخصيص الامير بالذكر دون غيره ما علمه عليه الصلاة والسلام بالوحي من وقوع الفساد والبغي في زمان خلافته وانكار بعض الناس لامامته لا يقال ان قوله في صدر الحديث الست اولى بالمؤمنين من انفسهم يدل على ان المولى الاولى بالتصرف لانا نقول اي حاجة الى حمل الاولى على معنى الاولى بالتصرف بل هو ايضا بمعنى الاولى بالمحبة وحاصل المعنى يا معشر المسلمين انكم تحبونني ازيد من انفسكم فمن يحبني كذلك يحب عليا اللهم احب من احبه وعاد من عاداه وهو كلام منتظم غاية الانتظام كما لا يخفى على ذوي الافهام ومن العجائب ان بعض المدققين من الشيعة اورد دليلا على نفي معنى المحبة وهو ان محبة الامير امر مفاد حيث كان ثابتا في ضمن اية والمؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فلو افاد هذا الحديث ذلك المعنى ايضا كان لغوا ولا يخفى فساده والجواب انه كم فرق بين بيان وجوب محبة احد في ضمن عموم شيء وايجاب محبته بخصوصه ولو فرض اتحاد مضمون الاية والحديث لا يلزم ايضا قباحة لان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم تاكيد مضامين القران كما هو ظاهر لمن له عينان وايضا عند الشيعة التنصيص على امامة الامير كان مرارا فيلزم عليهم ما زعموا لزومه علينا ولكن من يضلل الله فما له من هاد وفي هذا المقام للشيعة روايات تعد عند العلماء من الترهات ولولا خوف الاطناب لاوردناها ورددناها على وجه يتضح به الصواب وينكشف النقاب ويزيل الارتياب وقد اودعنا عنده ما نعلم منه وضمير (عنده) للمولى والظرف في موضع الحال من صنع العذر (فلباه) اي اجابه اجابة بعد اجابة والمراد اجابه على اتم وجه اوقال له لبيك قيل وهو من الب الرجل بالمكان اذا اقام به ولب لغة فيه فمعنى لبيك انا مقيم على طاعتك اقامة بعد اقامة والتثنية فيها مثلها في قوله تعالى فارجع البصر كرتين من حيث انها لم يقصد بها سوى التكرار اي كرة بعد كرة يشعر بذلك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ونصبه على المصدرية كحمدا وشكرا وفي المصباح اصل لبيك لبين لك فحذفت النون للاضافة بعد حذف حرف الجر وعن يونس انه ليس مثنى بل اسم

مفرد يتصل بالضمير بمنزلة على ولدى اذا اتصلا به وانكره سيبويه وحكى من كلامهم لبى زيد بالياء مع الاضافة الى الظاهر وانشد للاسدى

دعوت لما نابنى مسور فلبى فلبى يدى مسور

وهو يدل على انه ليس مثل على ولدى وتمام الكلام فى محله (والسر) قال فى القاموس ما يكتم كالسريرة جمعه اسرار وله اطلاقات اخر وجوزان يكون المراد هنا اللباء خفية حيث لم يشعر الناس وان يكون المراد لباء فى سره اى قلبه او السر الذى هو احد اللطائف الخمس وقيد التلبية بذلك للاشارة الى انه فى جميع احواله ابعد عن الرياء فتدبر وهو ضمير منفصل مرفوع المحل وقد تشدد واوه كما فى قوله

وان لسانى شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم

وتمام الكلام فى صحاح الجوهرى فارجع اليه ان لم تغنك كتب النحو (والقصد) اتيان الشئ ويقال قصدته وقصدت اليه والكل من باب ضرب طلبته بعينه وفى مفردات الراغب القصد استقامة الطريق يقال قصدت قصده اى نحوت نحوه انتهى وجمع القصد على ما فى مجمع البحرين موقوف على السماع واما المقصد فيجمع على مقاصد وفى جواز نسبة القصد مصدر المبنى للفاعل اليه تعالى تردد وينبغى ان لا يتردد فى ذلك اذا اريد منه الارادة او نحوها نعم لم يسمع ذلك عن الشارع عليه الصلاة والسلام ولا اهل القرون الثلاثة والله تعالى اعلم والظاهر ان الدعاء والتلبية كنايتان عن تعلق الارادة وقبول مقتضاها او عن نحو ذلك ويحتمل ان يراد بالدعاء امره تعالى اياه قدس سره بالامر التكوينى بناء على مذهب السلف من انه لا يوجد شئ الا بكن اى بهذا اللفظ حقيقة وما قاله الرازى فى رد ذلك مردود بعد امعان النظر وبالتلبية الكون وكونه اجابة بعد اجابة من حيث انه كان عن قوة استعداد وفى البيت اشارة الى انه قدس سره بعد انقطاع تعلق روحه الطيبة عن بدنه الشريف ووفاته صار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى مستقر الارواح بعد مفارقة الابدان خلاف وقد استوفى الكلام

في ذلك السفار بينهن في البحور الزاخرة * وذكر بعضهم ان منها كار واح بعض الكاملين مما هو جوال في عالم الملك والملكوت وربما يتطورن باذن الله تعالى ان يتطور به وهل تكتسي الروح بعد المفارقة وخلعها ثوبها تنسوج لها من غزل العناصر قال الشيخ ابراهيم الكوراني على ما رايته في بعض رسائله نعم تكسى بدنا مثاليا تتعلق به والله اعلم بحقيقته وفي تقديم المعمول في قوله وهو اياه قاصد اشارة الى ان المرثي قدس سره ممن لا يلتفت الى السوى وليس ممن قصده الحور والولدان وسائر ما اعد من النعيم في جنة المأوى * وحاصل معنى البيت ان هذا الحبيب القوي يسر له في هذا العصر ضريب * دعاه مولاه الى مرابع القدس ومراتع الانس فلباه سرا واطاع على اتم وجه له امرا وقصده ولم يقصد سواه * وسار اليه ولم يعرج على حمى غير حماه * * *

قال الناظم

نحاه ولا ينحو سواه وانثنه اليه به منه عليه لوافد

اقول (نحاه) من النحو بمعنى القصد ومنه سمي العلم المخصوص نحوا وذلك لان عليا رضي الله عنه لما اخبره ابو الاسود بما سمع من قراءة بعض الناس ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر قرر له كلاما واعطاه اياه وقال انح هذا النحو وهذا ما ذكره بعضهم في سبب وضع النحو واخرج ابو بكر محمد بن القاسم الانباري في اماليه والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن ابي مليكة قال قدم اعرابي في زمن عمر رضي الله عنه فقال من يقرئني مما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فاقراه رجل براءة فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي او قد بريء الله تعالى من رسوله ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرء منه فبلغ عمر مقالة الاعرابي فدعاه فقال اتبرء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا امير المؤمنين اني قدمت المدينة ولا علم لي بالقران فسالت من يقرئني فاقراني هذا سورة براءة فقال ان فقال عمر ليس هكذا يا اعرابي فقال كيف هي يا امير المؤمنين فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله فقال الاعرابي وانا والله ابرء

مما برئ الله ورسوله عنه فامر عمر رضي الله عنه ان لا يقرأ القران الا عالم
باللغة وامر ابا الاسود الدؤلي فوضع النحو وقال ابو القاسم عبد الرحمن بن
اسحاق الزجاجي النحوي في اماليه باسناده الى ابي الاسود قال دخلت على
امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فرايته مطرقا مفكرا فقلت
فيم تفكر يا امير المومنين قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اصنع
كتابا في اصول العربية فقلت ان فعلت هذا احييتنا وبقيت فينا هذه
اللغة ثم اتيته بعد ثلاث فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام
كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبأ على المسمى والفعل ما انبأ عن حركة
المسمى والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد
فيه ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر
وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس
بظاهر ولا مضمر قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه
وكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان
ولم اذكر لكن فقال لم تركتها فقلت لم احسبها منها قال بل هي منها فزدها
وقيل ان الواضع لعلم النحو ابو الاسود بامر زياد وقيل بامر عبيد الله بن زياد
لكن المشهور انه بامر علي رضي الله عنه وقد كان ابو الاسود من شيعته
كما نص عليه الهندي في التحفة الاثنى عشرية وزياد وابنه بعيد ان عن
التوفيق لمثل هذه الصدقة الجارية * واخرج ابو طاهر في الطيوريات
عن ابي عبيدة معمر بن المثنى انه قال اول من وضع النحو ابو الاسود
الدؤلي ثم ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن اسحاق قال ووضع
عيسى بن عمر في النحو كتابين سمى احدهما الجامع والاخر المكمل وقال
الشاعر

بطل النحو جميعا كله ... غير ما احدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

وقد مدح ابو حيان علم النحو بقصيدة ذكر فيها واضعه والسابقين
فيه فقال

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده ... لقد فاز باغيه وانجح قاصده

وما فضل الانسان الا بعلمه . وما امتاز الا ثاقب الذهن واقده
وقد قصرت اعمارنا وعلومنا يطول علينا حصرها وتكابده
وفي كلها خير ولكن اصلها هو النحو فاحذر من جهول تعانده
به يعرف القرآن والسنن التي هما اصل دين الله من انت عابده
فناهيك من علم على مشيد مبانيه اعزز بالذى هو شائده
لقد حاز في الدنيا فخارا وسوددا ابو الاسود الدؤلى فلا اجير حائده
هو استنبط العلم الذى جل قدره وطار به للعرب ذكر تعاوده
وساد عطاء نجله وابن هرمز ويحيى ونصر ثم ميمون ناهده
وعنبسة قد كان ابرع صحبه فقد قلدت جيد المعانى قلائده
وما زال هذا العلم تنميه سادة جهابذة تاتى ببر وتعاضده
الى ان اتى الدهر العقيم بواحد من الازد تنميه اليه فرائده
امام الورى ذاك الخليل بن احمد اقرله بالسبق في العلم حاسده
وبالبصرة الغراء قد لاح نجمه فنارت اقاليمه وضاءت اباعده
اذكى الورى ذهنا واصدق لهجة اذا ظن امرا قلت ها هو شاهده
وما اختص في ذا بل جميع علومه تجلت فاعيت كل حبر يجالده
هو الواضع الثاني الذى فاق اولا ولا ثالث في الناس يغني قواصده
وقد كان ربانى اهل زمانه صوم قوام الليل راكع ساجده
يقسم منه دهره في مثوبة وشوقا بان الله حق مواعده
فعام الى الحج وعام لغزوة فيعرفه البيت العتيق ووافده
ولو رمته يوما عن العلم والتقى كواعب حسن تنثنى ونواهده
واكثر سكناه بثغر بحيث لا تشاغله الا الضيا وأوابده
وساقوته الا شعير بسيفه بماء قراح ليس تغنى موارده
عزوبا عن الدنيا وعن زهراتها وشوقا الى المولى وما هو واعده
ولما راى في سيبويه نجابة وايقن ان الحين ادنى مباعده
حباه بما قد كان وارث علمه ولا ضن حتى كانه وهو والده
وسواه غيره قال الاعشى
تجانف عن جو اليمامة ناقتى وما عدلت عن اهلها لسواكا

وفى سوى بهذا المعنى وكذا بمعنى العدل كما قال الاخفش ثلاث لغات ان ضمت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت وقد وقعت سوى هنا مفعولا لم يبق وقد تقع ايضا فاعلا كما فى قوله

ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

وفى ذلك كلام للنحويين فارجع اليه (ووافد) اى وارد يقال وفد على الامير اذا ورد عليه والجمع وفد وجمعه اوفاد ووفود والاسم الوفادة وقيده فى الصحاح قوله ورد بقوله رسولا ولا يخفى عدم استقامته هنا وقال الراغب يقال وفد يفد وفادة وهو وافد وهم وفود وهم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الحوائج ومنه الوفد من الابل وهو السابق لغيرها انتهى وجاء من طريق الامامية يا على الوفد لا يكون الا ركبانا والظاهر انه بيان الحكم وفد المتقين الى ربهم يوم القيامة لا بيان المدلول اللغوى للوفد لان عليا كرم الله وجهه اجل من ان يجهل ذلك مع انه عليه الصلاة والسلام لم يبعث لبيان المدلولات اللغوية فتدبر وقوله اليه برمته عليه او وافد متعلق بقوله وافد والباقى بالسببية وفى ذكر اليه وعليه نوع استدراك كما لا يخفى ولعل فى البيت اشارة الى وحدة الوجود فتامل وهذا البيت يشبه قول ابى الطيب

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

وفى اخلال مثل ذلك فى الفصاحة كلام * وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ قصد مولاه الذى خلقه فسواه وهيهات ان يقصد احدا سواه فى علانيته ونجواه لانه بمعونته ورد عليه وباعانته توجه اليه فليس عنده سوى الله فى سائر احواله ولا يستعين باحد فى مشاق الدهر واهواله وهو ينادى بلسان الحال الذى هو افصح من لسان المقال

لأنت منى قلبى وغاية بغيتى واقصى مرادى واختيارى وخيرتى

وليتامل فى هذا البيت مع سابقه ولينظر فيه مع لاحقه فانه يختلج فى القلب على هذه الابيات الثلاث بعض شئ لا اظنه يخفى على من له ادنى ممارسة بالابحاث * * * *

قال الناظم

وما أمّ غير الله مدّة عمره ... وحاشا وما للغير في السير عابد

قوله (أم) من الأم بالفتح بمعنى القصد يقال امه وامّمه وتامّمه إذا قصده (وغير) قال في الصحاح بمعنى سوى والجمع اغيار وهي كلمة يوصف بها ويستثنى فان وصفت بها اتبعتها اعراب ما قبلها وان استثنيت بها اعربتها بالاعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد الا وذلك ان اصل غير صفة والاستثناء عارض قال الفرا بعض بني اسد وقضاعة ينصبون غيرا اذا كان في معنى الا تمّ الكلام قبلها او لم يتم يقولون ما جاء في غيرك وما جاء في احد غيرك وقد يكون غير بمعنى لا فتنصبها على الحال كقوله تعالى غير باغ ولا عاد كأنه قال فمن اضطر جائعا لا باغيا وكذلك قوله تعالى غير ناظرين اناه وقوله سبحانه غير محلّ الصيد انتهى وقد ذكر ارباب العربية ان غيرا متوغلة في الابهام فلا تكتسب تعريفا بالاضافة الا في نحو قوله تعالى غير المغضوب عليهم مما وقعت فيه غير بين متقابلين نص عليه غير واحد (والله) تقدم على سبيل الاختصار الكلام فيه (والمدة) بضم الميم الغاية من الزمان والمكان والبرهة من الدهر قاله في القاموس (والعمر) قال في القاموس بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة جمعه اعمار وهو هنا بضم العين وسكون الميم ولا يستعمل في القسم الا المفتوح تقول لعمرك لافعلن كذا في الصحاح وغيره وفي مفردات الراغب العمر والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء فاذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه فاذا قيل بقاؤه فليس يقتضي ذلك فان البقاء ضد الفناء ولفضل البقاء على العمر وصف الله تعالى به وقل ما يوصف بالعمر ثم ان العمر المفتوح العين الساكن الميم يقال اللحم الذي به يعمر ما بين الاسنان وجمعه عمور (وحاشا) كلمة تنزيه ويقال حاش لله ولا يقال حاشا لك قياسا عليه وانما يقال حاشاك وحاشى لك وتكون للاستثناء كخلا وعدا ولا تدخل عليها في الغالب ما مثلهما وتكون بمعنى استثنا كما في قوله ما حاشا فاطمة على راى ويؤيده ولا غيرها *

(وللغير) متعلق بعائد قال الحريري ومن اوهامهم قولهم فعل الغير ذلك فيدخلون
على غير آلة التعريف والمحققون من النحويين يمنعون من ادخالها عليه لان
المقصود من ادخال آلة التعريف على الاسم النكرة ان تخصصه بشخص
بعينه فاذا قيل الغير اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى كثرة ولم تتعرف
بآلة التعريف كما انها لا تتعرف بالاضافة فلم يكن لادخال الالف واللام
عليها فائدة ولهذا السبب لم تدخل الالف واللام على المشاهير من
المعارف مثل عرفة وذكا الوضوح اشتهارها والاكتفاء عن تعريفها
بمعرفة ذواتها ونظير هذا الوهم قولهم حضرت الكافة وانما هو كافة بدون
تعريف قال الله تعالى ادخلوا في السلم كافة فالعرب لا تلحق بها لام التعريف
كما لم تلحقها بلفظة معا ولا طرا وكذا قولهم فعل ذلك من الراس والعرب
كما تقول لا افعله من راس بالتنكير انتهى ملخصا وانا لا ارى باسا في ادخال
ال على غير في مثل هذا الموضوع فانها كالعوض من المضاف اليه او عوض
عنه اي غير الله وقد استعمل ذلك شيخي وسندي علاء الدين علي
افندي قدس الله روحه واعلى في الجنان فتوحه في قصيدته التي
مدح بها فخر الوزرا وتاج العلماء داود باشا يسر الله تعالى له من
الخيرات ما يشا وقد ابتهاجه بها الدين في التاريخ الذي الفه له ولم يتم لما
اعتراه من نوائب الزمان وعوائق الحدثان وذلك قوله

مجده في عكاظ الملك مفتخر … والغير حاشاه فخار بمجده

وقوله ايضا فيها

يا من يناظره بالغير من ملك … هذا الذي ربك ما دير له كسيده

(والسير) الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة (وعابد)
من العبادة وهي الخضوع قال العلامة الثاني السعد التفتازاني في
شرح الاربعين النووية العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية
تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة قال
الراغب وهي الغاية القصوى من ابداع الخلق وارسال الرسل وكلما
زاد العبد معرفة ازداد عبودية ولذا خص الانبياء صلوات الله
تعالى وسلامه عليهم والعلم بخصائص ولا ينفك العبد عنها ما دام

حتى في البرزخ عليه عبودية اخرى كمسائلة الملكين عن ربه ونبيه وفي القيامة يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود واذا دخل الجنة كانت عبوديته سبحانك اللهم مقرونا بانفاسه * وفي كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق والشركاء عن كل شرك والغناء عن مشاهدتك في مشاهدة الحق ولها ثلاث مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذا لمن له علم يقين او يعبد الله تشرفا بعبادته وقبول تكاليفه وتسمى بالعبودية وهذا لمن له عين اليقين او يعبده لكونه تعالى الها وكونه هو عبدا والالهية توجب العبودية والعبدية ويسمى بالعبودية وهذا لمن كان له حق اليقين انتهى وهذا معنى ما قاله بعضهم العبادة هي غاية التذلل للعامة والعبودية للخاصة الذين صححوا النية الى الله تعالى بصدق القصد اليه في سلوك طريقه والعبودية لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة لله تعالى في خدمته فهم يعبدونه في مقام احدية الفرق والجمع ولهم في ذلك عبادات كثيرة مالها بضرب من المجاز الى ما ذكره العلامة وما ذكره من ان اول المراتب ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة في الثواب اراد به مع اعتقاد الاستحقاق الذاتي اما من عبد الله سبحانه كذلك مع نفي الاستحقاق قائلا لولا العقاب والثواب ما عبدته فهو كافر مخلد في النار لو مات على ذلك اعاذنا الله تعالى واياكم من المعاطب والمهالك والظاهر ان قوله للغير وقوله في السير متعلقان بعابد واللام في للغير للتقوية وتقرب من الزائدة ويشجع عليها كون العامل انما عمل لمشابهته الفعل وكون معموله مقدما عليه وان عابد خبر لمبتدا محذوف اى وما هو عابد الغير في السير ولعله اراد بعبادة الغير ما يعم ارادته والميل اليه فان ذلك في دين الغرام شرك وعليه قول سيدي محمد عمر بن الفارض قدس سره

ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي

ومما هو في حكم العبادة للغير الرياء في عبادة الله تعالى كما يشير اليه قوله تعالى في الحديث القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن اشرك

فى عمله احدا فهو لمن اشرك وقوله عليه الصلاة والسلام الرياء شرك خفى فيجوز ان يراد بالعبادة المنفية ايضا ما يعم ذلك والا يكن هذا ولا ذاك لا يكن فى الشطر كثير مدح للمرثى قدس سره لا سيما بعد أن مدحه بالشطر الاول فتدبر * وحاصل معنى البيت ظاهر فافهم *

قال الناظم

مراحل لم يستقصها قط ناسك  سواه ولا يرقى لها قط زاهد

اقول اراد هنا ك اى فى السير (مراحل) وهى جميع مرحلة وهى المسافة يقطعها المسافر عادة فى كل يوم و(لم) لنفى المضارع وجزمه وقلبه ماضيا على المشهور (ويستقصها) اى يبلغ اقصاها واستقصى فلان فى المسئلة وتقصى بمعنى (وقط) مشددة الطا اسم مبنى على الضمة مثل حيث ومنذ ومعناها الزمان الماضى ومنهم من يقول قط يتبع الضمة بالضمة وتخفف قط فتكون ح اسما مبنيا على السكون مثل قد وكلاهما بمعنى حسب قال الحريرى وقرات فى اخبار الوزير على ابن عيسى انه راى كاتبا يبرى قلما بمجلسه فانكر ذلك عليه وقال ما لك فى مجلسى الا القط فقط وقد تدخل نون العماد على قط وقد مع ضمير المتكلم المجرور كما قال الراجز فى قط

امتلا الحوض وقال قطنى  مهلا رويدا قد ملات بطنى

قيل اى قد بلغ من الامتلاء الى الحد الذى لو كان له نطق لقال حسبى وفى معناه ما قيل انه قول بلسان الحال * ومما انشدته من ابيات المعانى

اذا نحن نلنا من ثريدة عوكل * فقدنا لها ما قد بقى من طعامها

اراد هذا الشاعر بقوله فقدنا اى حسبنا ثم استانف فقال لها ما قد بقى من طعامها اى لا نرزؤها بر لاستغنائنا عنه واكتفائنا بما نلنا منه انتهى واقول مثل قوله

وعرضن لى بالوصل حتى  قلت قدنى عرضن عنى

ولك ان تقول هو من باب ما تم شئ الا بدا نقصه واعرضن على الاول فعل امر وعلى هذا فعل مضارع والنون على الوجهين ضمير النسوة

فاعل لما اتصل بها فهم ولم يذكر مثال قد وقد مثلوا بقوله فدنى من نصر المجتبين قدى (والناسك) العابد وقد نسك وتنسك اى تعبد ونسك بالضم نساكة اى صار ناسكا واكثر ما استعمل النسك فى اعمال الحج وادعى الراغب انه اختص بها والمراد به هنا العبادة مطلقا وشاع عند المتصوفة اليوم ان الناسك هو العابد الذى ليس له باطن ولا وقوف على المقامات ويجعلونه دون السالك الطائر باجنحة العشق الى حظائر القدس وينشدون على ذلك قول سيدى ابن الفارض

تمسك باذيال الهوى واخلع الحيا  وخل سبيل الناسكين وان جلوا

وقال من قال

تمسك باذيال النبى وشرعه  ولا تستح من قتية خلعوا الحيا

(وسواه) تقدم معناه (ويرقى) من رقيت فى السلم بالكسر رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيته مثله (وقط) الثانية ليست فى محلها فقوله لا يرقى لها قط زاهد على حد قول العامة لا اكلمه قط وقد قال الحريرى هذا من افحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة ابدا فيما يستقبل منه فيقولون ما كلمته قط ولا اكلمه ابدا والمعنى فى قولهم ما كلمته قط اى فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اى قطع طرفه ومما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه انه كان اذا اعتلى قد وان اعترض قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا انتهى المراد منه واجاب بعض المعاصرين عما وقع هنا بانه من قبيل المشاكلة مع قط الاولى لانها فى محلها كما لا يخفى فهو على حد قوله تعالى من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وقوله

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه  قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وهو كما ترى واقول قد استعمل قط فى مثل هذا الموضع صاحب الكشاف غير مرة وهو امام فى العربية لا يسعه ان يكون استعماله كروايته * نعم شنع عليه فى ذلك ابو حيان فى بحره بما شنع فتبصر (والزاهد)

من الزهد وهو كما فى الصحاح خلاف الرغبة تقول زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة وزهد يزهد لغة فيه وفلان يتزهد اى يتعبد وقال بعض الصوفية الزهد اسقاط الرغبة عن الشئ بالكلية فلا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود لانه ناظر الى الحقائق وقال القشيرى الزهد ترك الفضلة والبذل على الوهلة وقال الامام حجة الاسلام الزهد عبارة عن فرار الناس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار وطمعا فى الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولا جاه وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه انتهى والى ذلك ارشد الامام الشافعى رضى الله عنه حيث يقول

ايا نفس يكفيك طول الحياة　　اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف يبيس وماء روى　　وثوب خلق
وحفش تكنك جدرانه　　فماذا العناء وماذا القلق

وفى المنازل ما حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة فى الشئ عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب الزهد فى الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد فى الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب * وانشدوا

وما الزهد الا فى انقطاع العلائق　　وما الحق الا فى وجود الحقائق
وما الحب الا حب من كان قلبه　　عن الخلق مشغولا برب الخلائق

والكلام فى الزهد كثير لا يفى هذا الموضع بذكره فلنتركه لذلك لا زهدا فيه * وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ قطع قدس سره فى سيره مراحل لم يستقصها قط عابد ورقى مقامات لا يرقى اليها ابدا زاهد فهو السابق الذى لا يشق له غبار * والفائق الذى لا تدرك شأوه الافكار

حلف الزمان ليأتين بمثله ° حنثت يمينك يا زمان فكفر

ثم اعلم ان للمقامات فى المشهور قيل ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرة وقد شاع
ذلك وذاع وملأ الاسماع * وطبق البقاع * وقد اشبع الكلام فيه ابو القاسم
الكاشانى فى كتابه السير والسلوك الى ملك الملوك * وقد رايت لبعضهم رسالة
ترجم فيها مائة مقام وكشف ماهياتها وحقايقها وغاياتها ولا بأس
بذكر شىء منها فنقول قال منها اليقظة وهى انتباه النفس من سنة
الغفلة بداعية الموعظة الحسنة بلسان الحيلة الصالحة وحقيقتها
نور قدحه زناد الايمان بيد اليقين فى حراق الوهم فاشتعل مصباح
البصيرة فى ليل الظلمة الطبيعية وغايتها اعمال النظر فى تحصيل اسباب
النجاة ونفس المحاسبة وهى حصر الهفوات النفسانية بضابط
القوانين الشرعية وحقيقتها رفع العقل المعيشى الى ميزان الشرع
لاعتبار النقص والزيادة وغايتها اخراج اضغان النفس وردعها
عن الدعاوى المكدرة لصفا جوهر القربات ومنها التوبة وهى الترك
وحده النسيان وغايته الجهل الحقيقى الحاصل عند انعدام الفكر
وحقيقتها تجريد النفس عن رعونات الطبع بواسطة تقبيح مخالفات
الاوامر الشرعية وغايتها رفض كل نسبة اضيفت لفاعل معتل *
والانابة وهى الرجوع عن مرفوض بالترك الى ملحوظ بالقصد *
وحقيقتها مراعاة الاصلح واختيار الحسن بالراجحية على القبح بالمرجوحية
وغايتها الرجوع عن كل ما صدق عليه التغير الى الذات الموصوفة بسلب
الحدوث ونفى العدم والانابة وهى الخروج من القيود والحدود الى الشهود
والوجود وحقيقتها تخليص الاسباب الموصلة الى المقاصد الفانية
من الشوائب المعترضة فى سبل المقاصد وغايتها انقلاب الاعيان *
الخلقية عند تجلى الوجودات الحقية والفكرة وهى اعمال النظر فى كيفية
تحصيل مطلوب غلب على الظن حصوله وحقيقتها تحصيل الصور
المعنوية وتركيبها وغايتها الاطلاع على عجائب الملكوت بتبصير التصور
لبديهى نقل حجابة المثل المعلقة ونقشها فى لوح الخيال باقلام القوة
الناطقة والتذكر وهو انكشاف غطاء النسيان بيد القوة الذاكرة

عن طرق

عن طرق القوة الحافظة وحقيقته اخراج السوابق من قوة الفهم الى تصور الذهن وغايته اثارة الشوق الى حصول نتائج المقدمات الروحانية والاعتصام وهو التبرى من الحول والقوة والاعتراف بالعجز وحقيقته التمسك بعروة الاستعانة بالله تعالى على كل قصد وغايته العصمة بشهود الحضرة الالهية عن رؤية تاثير الاسباب وغلبة تصور النسب والاضافات والفرار وهو نفرة الارادة المحكمة عن دعاوى الاوهام الى داعى الالهام وحقيقته هرب برهب وطلب يطرب وغايته اجابة داعى الله المحيط بكل لسان وسمع والمتجلى من كل وجه وجهة والرياضة وهى تهى النفس الانسانية بنفى عوارض المعارضة والاعتراض لقبول ما لابد منه وحقيقتها نفى حركة النفس بوجد سكينة القلب التى هى زيادة اليقين الذى لا يتناهى وغايتها جلاء جوهر النفس بنور العلم والعمل من شوائب الاوهام وتمكين التصور الذهنى من قبول الحق بالحق والسماع وهو اصاخة القلب لناطق الغيب من وراء حجاب العزة بشرط خمود الحس وانقطاع خبر الفكر وحقيقته تمييز الخبر المطابق لعينه من عكسه وغايته فهم معانى الكلمات الواجبة المتعلقة بحروف الامكان الكائنة مداد القول الالهى فى لوح الحدوث المحيط بذات الكثرة التى لا تتناهى بالعدد ولا تنقطع من تواصل المدد والحزن وهو الموجود بالنفس لوجود ارادة وفقد وعدم القدرة على تحصيله وحقيقته انكسار القوة النفسانية لاستصعاب اسباب المسيرة وغايته تلذذ بتذلل لتعزز مطلب لابد منه والخوف وهو الاهتمام بالحذر من وقوع منافر للطبع غالبا وحقيقته الاحجام عن الاقدام على ما غلب على الظن سوء العاقبة فيه وغايته ملاحظة سطوات العزمن حضرات تجلى الجلال والاشفاق وهو رقة فى الطبع توجب الحذر مما يظن حصول المشقة بسببه وحقيقته تدور بين الحذر والخشية والترحم وغايته مقدرة البشر بملاحظة تصاريف القدر والنظر الى كل مصنوع صانعه الحق والخشوع وهو اجلال رهبوت يوجب خبوت النفس وخمود الطبع وجمود الجوارح وحقيقته اضمحلال الملكة المحكمة

عند هجوم طوارق العظمة وغايته انعدام ظلمة الإمكان عند تجلى انوار
الوجود الواجب والاخبات وهو استئناس الطبع المستوحش من شواهد
الحق المتواضع المخلص من شوائب العلل وحقيقته استغراق النفس
الطبيعية باللذة فى محض العبودية وغايته اقتطاف ثمر الايمان على بساط
السكينة والزهد وهو ترك كلما يشغل عما لابد منه وحقيقته الرغبة
عن كل مفتقر فى وجوده للغير وغايته التفانى عن كل ما يجوز هلاكه
والورع وهو اجتناب كلما يفسد انواع القربات ويكدر صفا المعاملة
وحقيقته توقى كلما يحذر منه وغايته تدقيق النظر فى طهارة الاخلاص
من نجاسة الشرك الخفى والتبتل وهو لزوم الانقطاع فى خلوة
التجلى المطلوب ولو غلب على الظن حصوله وحقيقته رسوخ قدم
صدق الطلب على طريق الاستقامة وغايته استدامة النظر فى
حل رموز اسرار القدر والرجاء وهو تعليل النفس ببلوغ المنى
وحقيقته تمنى المريد ما ليس فى قوة امكانه وهو انبساط الامل
الى ما لا يدرك بعلم وعمل وغايته رغبة الاطماع فى حصول المعجوز
عنه بالقطع والرغبة وهى انبساط الامل فى الطلب وقد غلب على
المؤمل بلوغ الادب وحقيقته استكثار النفس من حاصل ملائم
لا يمل الاكثار منه وغايته الاقدام فى موضع الاحجام بشرط بسط
الانس وطى بساط الوحشة والرعاية وهى حراسة مستيقظ لا
يتساهل فى حصول اسباب الضيعة وحقيقتها صورة ملحوظ بعين
العناية من كل جهاته وغايتها انزال مخصوص بالمحبة منزلة نفس
المخصص والمراقبة حذر يمنع صاحبه من الغفلة عن ملحوظ
وحقيقتها اعمال الفكر فى استخراج اسباب النجاة وغايتها مطالعة
الغيوب فى كل شئ من كل جهاته والحرمة وهى تعظيم مهاب بالغيبة
والشهادة وحقيقتها الامتناع من تعدى حد يحذر ما وراءه وغايته
حضور ما لا يغيب شاهده ولا يتمكن مخالفته والاخلاص وهو
تصحيح القربات من آفات علل الالتفات وحقيقته تقديس المحبة
من نجاسة الشرك الخفى وغايته استحضار حضرة الواحد الذى

لا يقبل

لايقبل التثوية ولايشهد مع وجود حكم المعية والتهذيب وهو تسكين النفس
من اضطراب الطبع عند طوارق المحن وحقيقته تمرين القوة البشرية
على مايليق بالحضرة الالهية من اداب المحاضرة وغايته التسبب في
تحصيل مقدمات من الرياضة لتنتج حقيقة المسلوب عند وجود
المطلوب والاستقامة وهى بقاء المامور على ما امر به حسب المراد منه
وحقيقتها لزوم الوسط الذى يصعقو منه القرب غالبا وغايتها رسوخ
القدم على الصراط الذى ينتهى الى الحق والتوكل وهو ترك التدبير
اعتمادا على المقادير وحقيقته اسقاط رؤية الاسباب بملاحظة
السوائق وغايته تحقق النفس بالعجز من كل وجه مع الثقة بصلاح
القدرة للقيام بمصالح الخلق وتبليغ المخصوص من المنح مماليس في
قوة الاجتهاد والتفويض وهو ترك النظر ورد الامر الى منزله وحقيقته
تفريغ النفس من احكام المعارضة ومحكمات التعليل وغايته الترقى
عن حضيض الحظوط الى اوج السمو عن معالجة التدبير والثقة
وهى محض اليقين بحصول النجاة من مواطن الهلكة وحقيقتها
سكون النفس الى موعد لايعارضها فيه تردد الطبع وتشكيك
القياس وغايتها اعتصام بحبل عصمة التوحيد الذى لا يجيره
قاطع التثوية والتسليم وهو انقياد النفس بخطام الطاعة المقبول
ما ورد عليها من الحق وحقيقته وقوف النفس في موقف ترك
الاختيار اعترافا بالعجز عن تقويم الامر وغايته اعراض النفس
عن التعرض على الاقدار واقرار العقل بعد الاعتراض بالعجز عن
مفهوم سر القدر والصبر وهو تحمل المشقة بانتظار الفرج ثقة
بصدق الوعد وحقيقته تجرع المكروه المنضر اذا غلب على الظن
حصول ما يلائم بهذا التسبب وغايته حمل بلا تكلف وكلف بلا
تكلف والبقاء فى الشئ المستكره مع القدرة على نقيضه والرضا
وهو غض بصر الامل عن ملاحظة المزيد على الحاصل فى الوقت
وحقيقته انقطاع جواد التمنى عن مجازاة سوابق الامل وغايته
حصول ما لا يسعه توسع المال ولا يخطر على قلب بشر بحال *

والشكر وهو الاعتراف بالنعمة والعمل بما يقتضي المزيد من النعم وحقيقته ملاحظة النعمة بلواحظ احترام المنعم وغايته الاقرار بالعجز عن القيام بحق المنعم ومد كف الفقر والفاقة للاغتراف من بحبوحة بحر الفضل والحيا وهو تعظيم حرمة الرقيب الذى لا يجوز عليه الغفلة ويستحيل التستر عنه فى حال من الاحوال وحقيقته استعظام سبب يؤدى الى السقوط من عين الكمال بوجه من وجوه التنقيص وغايته اسبال ستر الحسن عند موجبات هتك حجاب السترية وكشف غطاء العورة والايثار وهو شفقة يغيب عنها بها عن ملاحظة الاولية فيبذل ما مست اليه ضرورته وحقيقته استفراغ الوسع فى بذل النصيحة للخلق لوضع حفظ حرمة الحق فيهم وغايته شهود الحق فى كل شئ فيميزه على نفسه من كل وجه مع عدم الالتفات لاعتبار الضرورة والخلق وهو تصفى النفس من رعونات الطبع ومجانبة نفقة العادة والتجافى عن مراكنة دواعى الحظوظ وحقيقته العفو مع المقدرة لغير علة وحمل الكل عن الخلق وايصال الراحة لهم وعدم الالتفات الى الجزاء وغايته النظر لكل شئ بعين الحقيقة مطلقا والاخذ فى كل شئ من الله والعطا فى كل شئ بالله والتواضع وهو خفض جناح الذل لعزة الحق ومحق كبر النفس بما ريد عظمة الجبروت وحقيقته اعتراف النفس بالعبودية مع دوام استحضار حضيرة الربوبية وغايته تلاشى النفس المتميزة عند تطلع احاطة الحق فى كل شئ والفتوة وهى ان تتحقق النفس الانسانية بانها لا تملك شيئا ولا تستحقه وحقيقتها انزال النفس كل شئ منزلته فى المعاملة وغايتها النظر للكل بعين الحسن وغض بصر البصيرة عن ملاحظة القبح وتتبع العورة والانبساط وهو اطلاق اساءة النفس من قيود اوهام العقل المستفاد بالوضع وحقيقته خلع عذار الحشمة عند انقطاع اسباب الوحشة على بساط الانس وغايته تفرغ النفس من احوال العبودية وتحكم احكام الربوبية والقصد وهو الهمة الى مطلوب متميز فى النفس قد خصصته الارادة بالعزم

على تحصيل الاسباب الموصلة اليه وحقيقته طلب يصحبه صدق يمنع صاحبه من الالتفات بالتروك شغل والتعلل بعارض يعرض دون حصول المطلوب وغايته تعلق الهمة المنفردة بعين الجمع فى كل وجه من وجوه الفرق لا بطلب محض ولا بترك منسى والعزم وهو جزم الهمة على الشروع فى التوصل الى ما اهتمت به وحقيقته حمل النفس على ركوب الاخطار دون ما عز حصوله وغايته قطع الوهم بالقدرة على تحصيل ما لا يقدر عليه بسبب خارج عنه والارادة وهى صفة توجب تخصيص المراد بما يستحيل عند المريد حصول مثله منه لغير من تعلقت به ارادته وحقيقتها عشق يثير شوقا يحمل صاحبه على بذل نفسه طوعا فى مرضاة مراده وغايتها استغراق يوجب لصاحبه شهود مراده فى كل شئ فيحمله على الانقياد لطاعته حسب ما شهد والادب وهو ملكة فى النفس تمنعها من تعدى الحد ومحالفة الاذن وحقيقته وقار ينتج للنفس باستعمال مقدمات من الرياضات العملية والعلمية وغايته ذوق يفهم به صاحبه عن الله مراده عنه فى كل حال ومقال ومقام فيكون ابدا بالموافقة على الكشف واليقين وهو تمييز العلم الذى لا يحتمل النقيض وحقيقته تصور ينزل المسموع منزلة المشاهد وغايته استغناء النفس من كل مسموع بما حصل منه فى داخل الذهن لانه عين الجمع لا يعتبر الخارج لاستغنائه عنه فلا يفتقر الى المطابقة وله مراتب الاولى علمه والثانية عينه والثالثة حقه ومنها غير ذلك ولولا خوف الاطناب والخروج عن عادة الكتاب لذكرنا جميع ذلك ولاشبعنا الكلام فيما هنالك ولاتينا بما للقوم من كلام تسجد له رهبان الاقلام فى صوامع الارقام وعليك بالتامل فيما ذكرناه والتفكر فيما نقلناه وحررناه واقول ان المراحل فى السير الى الله تعالى متناهية وهى فى السير فى الله تعالى غير متناهية فالتفاوت بين الكمل من اوليائه تعالى انما هو فى كثرة قطع المراحل وقلته فى هذا السير والسالك كلما اوغل فيه ازداد حيرة وهى حيرة يتنافس فيها المتنافسون ولها غنى سيدى ابن الفارض بقوله * *

زدنى بفرط الحب فيه تحيرا * وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

قال الناظم

نفى ظلمة الشرك العميم وقد محا * غياهبه كيما تصح العقائد

اقول في الصحاح (نفاه) طرده تقول منه نفيته فانتفى ونفى هو ايضا يتعدى ولا يتعدى قال القطامى

فاصبح جاركم قتيلا ونافيا * اصم فزادوا في مسامعه وقرا

اى منتفيا والنفى من الارض في قوله تعالى او ينفوا من الارض التغريب عند الشافعية والحبس عند الحنفية والادلة في محلها (والظلمة) * خلاف النور والظلمة بضم اللام لغة فيه والجمع ظلم وظلمات وظلمات

قال الراجز

يجلو بعينيه دجى الظلمات

وفي المواقف وشرحه الظلمة عدم الضوء عما من شانه ان يكون مضيئا فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة والدليل على انه امر عدمى رؤية الجالس في الغار المظلم الخارج عنه اذا وقع على الخارج ضوء ولا عكس وما هو الا لانه ليس الظلام امرا حقيقيا قائما بالهواء مانعا من الابصار اذ لو كان كذلك لم ير احدهما الآخر اصلا لوجود العائق عن الرؤية بينهما فتعين انه عدم الضوء وح ينتفى شرط كون الجالس في الغار مرئيا فلا يرى دون شرط كون الخارج مرئيا ولذلك اختلف حالهما انتهى * وعلى القول بعدمية الظلمة يفسر خلقها في قوله تعالى خلق الظلمات والنور بقدر كما قيل وذهب بعضهم ان اعدام الملكات تتصف بالمخلوقية فتامل ولا تغفل وتمام البحث هناك (والشرك) الكفر وقد اشرك فلان بالله تعالى فهو مشرك ومشركى * قال الراجز * ومشركى كافر بالفرق * اى بالفرقان وقد ذكروا ان الشرك اكبر وهو ان تجعل لله سبحانه ندا ونحو ذلك واصغر وهو الرياء روى ابن ماجه بسكون الهاء ان اخوف ما اخاف على امتى الاشراك بالله اما انى لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية وكثيرا ما يعبر عنه بالشرك الخفى روى الحاكم الشرك الخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل

ومنه

ومنه على قول ما قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون والاحاديث في ذلك كثيرة ذكر طرفا منها العلامة ابن حجر في زواجره ثم ان اطلاق الشرك على مطلق الكفر شائع ومنه قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال بعضهما نه اخص من الكفر وعليه قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ومع كونه اخص ينقسم الى شرك في الالوهية بان يعبد المرء والعياذ بالله تعالى الها اخر كما كانت العرب تفعله وشرك في الربوبية بان يزعم والعياذ بالله تعالى ان صانع العالم اثنان او اكثر كالبزدانية ولم يكن ذلك في العرب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (والعميم) اراد به العام وفي القاموس العميم موضع وبيبيس البهمى وصميم القوم (ومحا) من المحو وهو اذهاب الاثر يقال محا الوحه يمحوه محوا ويمحيه محيا ويمحاه ايضا فهو ممحو ومحي صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها فادغمت في اليا التي هي لام الفعل

وانشد الاصمعي

كما رايت الورق المحيا * وامحى انفعل منه وامتحى * لغة فيه ضعيفة قاله في الصحاح (والغياهب) جمع غيهب وهو الظلمة الشديدة يقال فرس ادهم غيهب اذا اشتد سواده (وكيما) اى لاجل فكي بمعنى اللام التعليلية وما مصدرية (ونصح) تصير صحيحة اى سليمة (والعقائد) جمع عقيدة وهو ما يعتقده الشخص ويشد قلبه عليه وتطلق العقائد على علم الكلام وقد ذكروا ان الاحكام الشرعية المأخوذة من الشرع قسمان احدهما ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالى قادر سميع بصير وهذه تسمى اعتقادية واصلية وعقائد وقد دون علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصد به العمل كقولنا الوتر واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية واحكاما ظاهرة وقد دون علم الفقه لها وهي لا تكاد تنحصر ومبلغ من يعلمها التهيئ التام لها بخلاف العقائد فانها مضبوطة لا تزايد فيها انفسها وانما التزايد في وجوه استدلالاتها وطرق شبهاتها

وهي اما حقة كالعقائد التي عليها اهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية واما باطلة كغالب العقائد التي عليها سائر الفرق من المعتزلة القائلين بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفي رؤيته تعالى وبوجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطين الغالين في محبة علي رضي الله عنه القائلين انه الخليفة الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بلا فصل وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطين في بغضه المكفرين له وحاشاه ولمن اذنب كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة وهي خمس فرق والنجارية الموافقة اهل السنة في عدم خلق العباد لافعالهم والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلين بسلب الاختيار والقدرة عن العباد بالكلية اي لا تأثير ولا مقارنة وهي فرقة واحدة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول وهي فرقة ايضا فتلك اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار لسوء عقائدهم وما انطووا عليه والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضاء المحمدية والطريقة النقية الاحمدية ولها اي السنة كما اشتهر بين المتصوفة ظاهر يسمى بالشريعة مشروعة للعامة وباطن يسمى بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب الارواح من المشاهدة والرؤية قال القشيري رحمه الله تعالى الشريعة امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصولة فالشريعة قيام بما امر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وتعالى انما وجبت عليه بامره تعالى

ولله در من قال

الا فالزموا سنة الانبياء … الا فاحفظوا سيرة الاتقياء

ومن يبتدع بدعة لم يكن . يوجد دا مرتبة الاولياء

ولهذا البحث تتمة ان شاء الله تعالى وحاصل معنى البيت ان هذا البدر المنير والعالم النحرير ازال ظلمة الشرك باسره ومحا غياهبه بانوار سره فكم من مشكل حله ومجمل فصله وشبهة اذهبها ومباحث هذبها ومسائل حررها ومطالب قررها مع عذوبة بيان وحلاوة تبيان * ولطافة معانى ورصانة مبانى

من كل معنى يكاد الميت يفهمه لطفا ويعبده القرطاس والقلم

كل ذلك لتصح العقائد وتتم الفوائد والعوائد ويتضح سبيل الحق للسالك وياْمن المؤمن من المعاطب والمهالك وقد اتفق لهذا العبد الفقير انى لما قرات حواشى عبد الحكيم السيالكوتى على حواشى الخيالى على شرح السعد للنسفية ورايت قوله نقلا عن المحقق الدوانى في شرح العقائد العضدية ما نصه * اعلم ان مسئلة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الاصول التى يتعلق بها تكفير احد الطرفين وقد سمعت عن بعض الاصفياء انه قال عندى ان زيادة الصفات وعدمها وامثالها لا يدرك الا بالكشف ومن اسنده الى العقل فانما يرى ما كان غالبا على اعتقاده بحسب الفطرة ولا ارى باسا فى اعتقاد احد طرفى النفى والاثبات فى هذه المسئلة انتهى حصل شوق عظيم لتحقيق هذا البحث وانه كيف هو عند اهل الكشف الصريح والذوق الصحيح فاحببت ان اسئل الشيخ عن ذلك ليكون مرشدا فى ما تيك المسالك فحجبنى حاجب الحياء عن مشافهته والجلوس فى مجلسه المنيف ومكالمته فكتبت اليه ابياتا اسئله فيها واطلب منه تحقيق هذه المسئلة ظاهرها وخافيها فلما فازت الورقة بلثم يديه وتشرفت بحلولها لديه وافتخرت بوقوع نظره عليها وباهت بتوجيه فكره اليها نادانى وادنانى وحيانى وبيانى وقال لا ينبغى الحياء من اقتباس العلوم واخذ المنطوق منه والمفهوم ففتحت الكتاب بين يديه وقرات العبارة عليه وانا مسند ركبتى بركبته وقد جعل راسه فوق راسى لينظر ما فى الكتاب وانى لاجد قلبى من عظم هيبته قد ذاب فقرر وحرر وبين وفسر وقال الحق المعول عليه القول بزيادة الصفات

وانها ليست عين الذات واتى على ذلك بادلة نقلية وبراهين عقلية ما
سمعتها اذنى ولا خطر شئ منها فى ذهنى ورد شبهة المعتزلة وكلما ذكرت
دليلا من ادلتهم ابطله حتى صفا لى الحق الحقيق وكرعت حميا الصواب
فى كوس التحقيق فقال هل بقى فى ذهنك شئ من اوهامهم وبقية من
كلامهم فقلت لا متعنا الله تعالى بحياتك وارشدنا بانوار هدايا تك
وسنى كماتك ثم قال هضما لنفسه وتواضعا مع ابناء جنسه لا تظن انى
عرفت ذلك بالكشف ولكن رايته فى كتب المحققين من المتقدمين والمتأخرين
ولست من ارباب الكشف وصحبه واهل الذوق وحزبه * فقبلت يديه
ودعوت الله ان يسبل ثوب العافية عليه وامثال ذلك لا يحصى
ولا يعد ولا يستقصى رحمه الله تعالى ما اعلمه وما انجبه وما احلمه

شعر

ويحجب طرف تردد موعه على فضله العالى فلله دره

قال الناظم

بصيرته القلبية استنهضت به الى سبل الشرع فيها مراصد

اقول (البصيرة) الاستبصار بالشئ وتطلق على الحجة قال الله
تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة وعلى ما بين شفتى البيت وعلى غير
ذلك وقال بعض العلما البصيرة هى قوة القلب فى حل اشكال مسائل
الخلاف مما لا يتعلق به العلم تعلق القطع وحقيقتها نور يقذف فى القلب
يستدل به العقل الخابط خبط عشواء على سبيل الاصابة وقد
يظلم ليل الحيرة وغايتها النظر الى الحق من الوجه الذى ينظر هو منه
اليه انتهى وعدها غير واحد من المقامات (والقلبية) المنسوبة
الى القلب وهو كما فى الصحاح الفؤاد وقد يعبر به عن العقل قال
الفراء فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل
والقلب فى الانسان كالملك وسائر اعضاء الجسد رعيته قال
صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ولهذا شق صدر
النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى سنة ثلاث او اربع من مولده

ثم بعد

ثم بعد ما تم له أربعون سنة ثم اعيد ليلة المعراج فشق ما بين الثغرة الى العانة وأستخرج قلبه الشريف فشق وأستخرج منه علقة وقيل له هذا حظ الشيطان منك ثم اتى بطست من ذهب مملوءة ماء فغسل وحشى ايمانا وحكمة ثم اعيد ولهذا سر يعرفه العارفون ولخفاء امره انكر الحديث الشق الملحدون وقال بعض العارفين رحمهم الله تعالى لجميع القلب هدف سهام القهر واللطف وهى لطيفة متقلبة فى قبضة القهار فاذا وقعت فى بحار النكرات مالت من تاثير القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة الآثام واذا وقعت فى بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق الى مشاهدة الله تعالى فاستنارت بنورها فنورت العقل والحس والروح والصورة فيتولد من حسن جوارحها خشوع الصورة وصلاح الجوارح فى خدمته والقلب لغة صرف الشئ الى عكسه ومنه المقلوب سمى القلب بذلك لكثرة تقلبه قال الشاعر

قد سمى القلب قلبا من تقلبه  فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال

وما سمى الانسان الا لانسه  ولا القلب الا انه يتقلب

وله ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة فى التجويف الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا نسب اليه الصلاح والفساد وباطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العالية التى هى مهبط الانوار الالهية وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهى وبها صلاح البدن وفساده وهى خلاصة تولدت من الروح الروحانى ويعبر عنها بالنفس الناطقة قال تعالى ونفس وما سواها والروح قل الروح من امر ربى وهو مقر الايمان كما ان الصدر محل الاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد محل المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الألباب اى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا بلب الوجود الحقيقى لكن معرفتها كما هى متعذرة والاشارة

الى حقيقتها على ارباب الحقائق متعسرة وشاع بين الصوفية حديث لم تسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وهو حديث صحيح عند أهل الكشف وان قال العراقى لم ار له اصلا وقال ابن تيمية هو مذكور فى الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد شيد اركان صحته وشرحه بلا مزيد عليه الشيخ ابراهيم الكورانى فى رسالته المسماة بالمسلك الوسط الدانى فارجع الى ذلك ان اردته (واستنهضت) من نهض قال فى الصحاح نهض ينهض نهضا ونهوضا اى قام وانهضته انا فانهض واستنهضته لامر كذا اذا امرته بالنهوض (والسبل) جمع سبيل بمعنى الطريق يذكر ويؤنث قال تعالى قل هذه سبيلى فانث وقال وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا فذكر (والسر) الذى يكتم والجمع اسرار كما تقدم * وقال بعض القوم السر هو ما يخص كل شئ من الحق عند التوجه الايجادى المشار اليه بقوله تعالى انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ولهذا قيل لا يعرف الحق الا الحق ولا يحب الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق لان ذلك السر هو الطالب له والمحب له والعارف له كما قال عليه الصلاة والسلام عرفت ربى بربى انتهى وقال القاسم الوقام السر ما لطف عن ادراك الروح ويطلق فيقال سر العلم بازاء حقيقة العالم لان العلم عين الحق فى الحقيقة وغيره فى الاعتبار وسر الحال بازاء ما يعرف من مراد الله تعالى فيها وسر الحقيقة بازاء ما يقع به الاشارة والسر محل المشاهدة والروح محل المحبة والعقل محل المعرفة والقلب محل التعلق والنفس محل التخلق والجسم محل الخدمة وقيل السر ما ليس لك عليه اشراف ويطلق لفظ السر على ما كان مصونا مكتوما بين العبد والرب من المواجيد وعليه يحمل قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم وقال العارف سيدى عمر بن الفارض

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر ارق من النسيم اذا سرى

وعندهم شئ يقال له سر التجليات وهو شهود لكل شئ فى كل شئ وشئ يقال له سر سر الربوبية وهو ظهور الرب بصور الاعيان فهى من حيث

سر الربوبية وهو توقفها على المربوب لكونها نسبة لابد لها من شيئين وشئ يقال له

مشطوب شمطا

مظهريتها للرب القائم بذاته الظاهر بتعيناته قائمة به موجودة بوجوده فهم عبيد مربوبون من هذه الحيثية والحق رب لها فما حصلت الربوبية في الحقيقة الا بالحق والاعيان معدومة وهي عندكم اليوم بحالها في الأزل وشيء يقال له سر الآثار وهي الاسماء الالهية التي هي بواطن الاكوان وشيء يقال له سر السر وهو ما انفرد به الحق عن العبد كالعلم بتفصيل الحقائق في اجمال الاحدية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وغير ذلك وتحقيقه في محله (والمراصد) جمع مرصد يقال رصده يرصده رصدا والرصد الترقب (وحاصل معنى البيت ان نوره القلبي* واستبصاره الوهبي* اخذ بيده فسار الى طرق فيها مواضع ترقب منها مكنونات الاسرار* ففاز منها باوفر نصيب* وحاز من قداحها المعلى والرقيب واطلعه ربه على علوم ما دنت بها افهام ذوى الافهام* ولا داستها اقدام اوهام اولى الاقدام* وبذلك امتاز على ابناء عصره* وعلماء مصره* فرحمه الله تعالى رحمة واسعة* وجعل روحه في رياض حضرات القدس راتعة* وهذه العلوم المشار اليها هي بعض العلوم اللدنية وتقوى الله اقوى سبب لافاضتها* وفي الحديث من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم وفي التنزيل اتقوا الله ويعلمكم الله ولست مما يصطاد بعناكب الافكار* ولو نصبت شباكها طول الليل والنهار بل هي علوم تنزل بكف التقوى من عالم السر والنجوى ولذا قال سبحانه وتعالى وقل رب زدني علما* ولم يقل سبحانه تعلما واكتسب علما ونحو ذلك فافهم هديت لاوضح المسالك

قال الناظم

تقرب من قوس الضحى حتى فلا يقاس به الا والله صا عد

قوله (تقرب) اي دنا من القرب وهو الدنو وللقرب عند السادة الصوفية معنى آخر وهو القيام بالطاعة وهو ملزوم لما ذكرنا والقرب الى الله تعالى يكون بالفرض والنفل* قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه جل وعلا ما تقرب الى المتقربون باحب من اداء ما افترضت

عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا ويدا مؤيدا ويروى بلفظ اخر مشهور ومقتضى القرب بالفرائض
تجلى الحق له وظهور العبد بحسب الحق غير محدود ولا متناه ومقتضى
القرب بالنوافل تجلى الحق للعبد متلبسا بقابليته المحدودة * ورايت
فى بعض الرسائل ان بعض اكابر السادة الصوفية فرق بين قرب
النوافل وقرب الفرائض بان قرب النوافل يترتب عليه ان يكون
الحق سمع العبد الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويداه التى
يبطش بها وقرب الفرائض يترتب عليه ان يكون العبد للحق سمعا
وبصرا ويدا الى غير ذلك انتهى وهو كلام تقشعر من ظاهره جلود
الذين امنوا وعامة ما نقول انه طور وراء طور العقول وحسن الظن
بقائله يحكم بانه قصد معنى صحيحا لا تاباه الشريعة الحنفية التى
ليلها كنهارها ثم القرب اما غير مفرط وهو مختلف بحسب كثرة
الطاعات وقلتها واما مفرط وهو وان كان خفيا يعبر عنه بقاب
قوسين وان كان اخفى عبر عنه باوادنى ولذا قيل انه قد يطلق القرب
على حقيقة قاب قوسين وفى هذا المقام يحصل الاتصال بالحق
سبحانه ولكن مع بقاء التمييز والاثنينية وفى المقام الاخر وهو القرب
الاخفى يحصل الفناء المحض والطمس الكلى المرسوم فيرتفع التمييز
والاثنينية الاعتبارية هناك وهذا طور ايضا ما وراء طور العقل
وبالله تعالى الاعتصام وعليه الاعتماد فى كل مقام وكان مراد الناظم
بقوس الصعود مقام قاب قوسين وهو مقام عال جدا حتى قيل
لا مقام اعلى من هذا المقام (والقوس) قال فى الصحاح تذكر وتؤنث
فمن انث قال فى تصغيرها قويسه ومن ذكر قال قويس وفى المثل
هو خير قوس سهما والجمع قسى واقواس وقياس وانشد ابو
عبيدة ووز الاساور القياسا وكان اصل قسى قووس لانه
فعول الا انهم قدموا اللام وصيروه قسوعلى فلوع ثم قلبوا الواو ياء
وكسروا القاف كما كسروا عين عصى فسارت قسى على فليع كانت
من ادوات الثلاثة فصارت من ادوات الاربعة واذا انسبت

اليها

اليها قلت قسوى لانها فعول فترد ها الى الاصل انتهى (واصعود) خلاف الهبوط (والحمى) المكان وهو تمييز محول عن فاعل على ما يظهر لى واصل الحمى ما يحمى من الارض لاجل الدواب وتمنع عن دخول الغير وهو غير جائز الا للنبى صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله قاله اسعد (ويقاس) من قست الشئ بغيره وعلى غيره اقيس قيسا وقياسا فانقاس اذا قدرته على مثاله وفيه لغة اخرى قسته اقوسه قوسا وقياسا ولا يقال اقسته كذا فى الصحاح فالقياس التقدير والمساواة وفى اصطلاح اهل الميزان قول مؤلف من اقوال متى سلمت لزم عنها الذاتها قول آخر وفى اصطلاح الاصوليين مساواة فرع الاصل فى علة حكمه وهو احسن تعاريفه وله اركان اربعة الاصل والفرع وحكم الاصل والوصف الجامع والكلام فى تفصيل ذلك وبيان انقسام القياس ودليل اثباته طويل جدا فليطلب فى محله وليرجع الى كتاب اعد لمثله وقوله (الاه) من الاغلاط الشائعة فى اشعار المولدين قال الحريرى فى درة الغواص ويقولون جاء فى القوم الاك والاه فيوقعون الضمير المتصل بعد الا كما يوقع بعد غير مثل قولك جاء القوم غيرك فيهمون فيه كما وهم ابو الطيب فى قوله

ليس الاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول

والصواب ان لا يوقع بعد الا الا الضمير المنفصل كما قال الله تعالى امر الا تعبدوا الا اياه والفرق ههنا بين الا وغير ان الاسم الواقع بعد غير لا يقع ابدا الا مجرورا بالاضافة وضمير المجرور لا يكون الا متصلا ولهذا امتنع ان يفصل بينهما وليس كذلك الاسم الواقع بعد الا لانه يقع اما منصوبا او مرفوعا وكلاهما يجوز ان يفصل بينه وبين العامل فيه ولذا جعل له ضميران متصل ومنفصل الا انه لما اعترضت الا فى الكلام وفصلت بين العامل والمعمول اوقع بعدها الضمير المنفصل كما قال سبحانه وتعالى فى الضمير المنصوب ضل من تدعون الا اياه وكما قال عمرو بن معدى كرب فى الضمير المرفوع

قد علمت سلمى وجاراتها * ما قطر الفارس الا انا

واما قول القائل

فما بالى اذا ما كنت جارتنا * الا يجاورنا الاك ديار

فلم يات فى اشعار المتقدمين سواه والنادر لا يعتد به فلا يقاس عليه انتهى واقول لا يبعد اغتفاره فى الشعر وعند الضرورات تباح المحظورات وهو فى اشعار المولدين اكثر من ان يحصى واعظم من ان يستقصى فافهم ذلك عصمك الله وهداك * وحاصل معنى البيت ان جناب هذا الامام والنحرير الهمام * قرب مكانه فى صعوده * وصار اذ صار قريب قاب قوسين من معبوده * فلا يقاس به فى حالته ومزيد جلالته الا ابن اخت خالته وفى اثبات القرب له من قوس الصعود نوع ادب مع نور الوجود وبدر السعود افضل كل موجود محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين حيث اثبت مقام قاب قوسين لجنابه صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه ولم يثبت ذلك للمرثى قدس سره ولكان ذلك نعم وما يثبت هنا لو اثبت عينى ولكن فيه ما من سوء الادب كما لا يخفى على من بلغ فى الادب ادنى الرتب والمراد من قوله فلا يقاس به الا ه نفى القياس بالكلية لا نفى قياس سواه به واثبات قياسه بنفسه ضرورة ان القياس يقتضى مقيسا ومقيسا عليه متغايرين والقول بذلك والتزام التغاير الاعتبارى وكفايته فى صحة القياس خروج عن ذوق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم

قال الناظم

وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا * يذوب بسيماها الحصا والجلامد

اقول (شاهد) اى عاين (والشمس) كوكب نهارى ينسخ وجوده ظهور الليل قال فى الصحاح يجمع على شموس كانهم جعلوا كل ناحية منها شمسا كما قالوا للمفرق مفارق قال الاشتر

حمى الحديد عليهم فكانه * ومضان برق او شعاع شموس

انتهى قيل وان الجمع باعتبار التعدد الاعتبارى بل هذا هو المشهور * لدى الجمهور والقول بان كل يوم له شمس مخصه كذبه اظهر من الشمس وجوزان تكون الافراد فرضية وسميت الشمس شمسا لكونها فى وسط

السموات السبع فاشبهت شمسة القلادة وهى الخرزة الكبيرة التى فى
وسطها كذا قيل وفيه ان هذا مبنى على المشهور من اقوال اهل الهيئة
من انها فى السماء الرابعة ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك فلعل الوجه
فى تسميتها ح انها اكبرها بالنسبة الى سائر النجوم تشبه تلك الخرزة
التى فى وسط القلادة فانها اكبر ما فى القلادة فوجه الشبه الكبر
لا التوسط وقد اختلف العلماء فى مقدارها والمشهور انها مثل الارض
مائة ونيفا وستين مرة والكواكب اصغرها مقدار المثل جبل احد
وقيل مثل اعظم جبل فى الدنيا وقيل مثل الدنيا ثمان مرات وقدرة
الله تعالى اعظم من ذلك والذى ذهب اليه اهل الهيئة اليوم من
الافرنج ان الشمس فى وسط الكواكب التى تدور حولها وانها اعظم
من الارض بالف الف مرة وثلاثمائة وثمانية وعشرين الف مرة وان
لها حركة على نفسها وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفتها التى
يظهر على ظهرها ورجوعه فى ازمنة مخصوصة انها تدور على نفسها
فى خمسة وعشرين يوما واثنتى عشرة ساعة وجزموا بان ليس لها
حركة حول الارض بل للارض حركة حولها وان الارض احدى السيارات
وهى عندهم عطارد * والزهرة * والارض * والمريخ * ووسته * وقد
كشفها رجل منهم يقال له اولبوس فى حدود سنة الف ومائتين
وثلاث وعشرين هجرية ويونون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق
فى حدود سنة الف ومائتين وعشرين ومركيس وقد كشفها رجل
منهم يقال له بياظى فى حدود سنة الف ومائتين وستة عشرة
وبلاس وقد كشفها اولبوس ايضا فى حدود سنة الف ومائتين
وسبع عشرة والمشترى وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم
يقال له هرشيل فى حدود سنة الف ومائة وسبع وتسعين ولم
يعد والقمر من السيارات بل من سيارات السيارات لانه يدور
حول الارض دورانها حول الشمس وهو عندهم دون عظم الارض
بتسع واربعين مرة وزعموا ان بعد الشمس عن الارض اربعة وثلاثون
الف الف فرسخ فرنساوى وهى المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة

الف فرسخ ومع هذا يصل نورها الينا فى مدة ثمان دقائق وثلاث
عشرة ثانية وان البعد الابعد للقمر عنها احد وتسعون الفا واربعمائة
وخمسون فرسخا والبعد الاقرب له ثمانون الفا ومائة وخمسة فراسخ
فيكون البعد الاوسط نحو ستة وثمانين الف فرسخ وكانوا يزعمون
من قبل ان ليس للشمس حركة على كوكب آخر وانما لها حركة على نفسها
فقط ثم ادركوا على ما نسمع ان لها حركة على كوكب من كواكب الثريا
وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر ابعد منه وهكذا
الى ما لا يعلمه الا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عند هم
وفيها من الكواكب ما لا يتناهى ايضا وزعموا ان من هاتيك الكواكب
ما لا يصل نوره الى الارض في مائة سنة بل اكثر مع شدة سرعة
حركة الضوء كما اشير اليه انفا فى بيان حركة نور الشمس وهم فى دعوى
عدم تناهي الابعاد كثير ممن من فلاسفة الهند المتقدمين وقد
ابطل ذلك فى علم الكلام والحكمة فلا تغفل واحذر كل الحذر من
اعتقاد ما يصادم نصا من نصوص الشريعة الغراء (والحقيقة)
تقدم معناها (والمشرق) موضع شروق الشمس وطلوعها ويوحد
فيراد به الجنس ويثنى فيراد به مشرق الصيف ومشرق الشتاء ويجمع
فيراد به مشرق كل يوم وكذا المغرب وعلى هذه الانحاء الثلاثة ورد فى
كلام الله تعالى العزيز وقد قيل ان فى جبل قاف طاقات فى جهة المشرق
كل يوم تطلع الشمس من واحدة منها وكذا فى جهة المغرب والفجر الصادق
والكاذب مبنى على ذلك قال بعضهم ان فى جبل قاف طاقة اذا حاذتها
الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة واذا تعدت المحاذات بطل الضوء
فاذا قاربت الشمس اخرى بدا الضوء الثانى فحصل فجران ونسب الصفدى
هذا القول لبعض الحمقى ثم قال عنه وهذا من خرافات القول واكاذيب
الاوهام وقد ابطله القرافى ايضا بان جبل قاف لا وجود له وبرهن
عليه بما يرده ما جاء عن ابن عباس من طرق اخرجها الحفاظ وجماعة
منهم ممن التزموا تخريج الصحيح وقول الصحابى ذلك ونحوه مما لا مجال
للرأى فيه حكمه حكم المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم منها ان وراء

ارضنا بحرا محيطا ثم جبلا يقال له قاف ثم ارضا ثم بحرا ثم جبلا وهكذا حتى عد سبعا من كل واخرج بعض اولئك عن عبد الله بن زيد ان جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنف السماء وعن مجاهد مثله وكما اندفع بذلك قوله لا وجود له اندفع قوله اثره ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه لانه اراد بالدليل مطلق الامارة فهذا عليه ادلة او الامارة القطعية فهذا مما يكفي فيه الظن كما هو جلي وقال بعض المحققين في سبب الفجر الكاذب وكونه مستطيلا واعلاه اضوء من باقيه ثم تعقبه ظلمة انه يعرض للشعاع الناشئ عنه الفجر الثاني انحباس قرب ظهوره كما يشعر به التنفس في قوله تعالى والصبح اذا تنفس فعند ذلك الانحباس يتنفس منه شئ من شبه كوة والمشاهد في المتنفس اذا خرج بعضه دفعة ان يكون اوله اكثر من اخره ثم قال وهذا الكون كلام الصادق قد يدل عليه ولا ينافي عن سبب طوله واضاءته اعلاه واختلاف زمنه وانعدامه بالكلية الموافق للحس اولى مما ذكره اهل الهيئة القاصر عن كل ذلك انتهى وكل ذلك مما ذكره العلامة ابن حجر في تحفة المحتاج بشرح المنهاج وانا لا اقول اكثر من ان الشمس اذا قربت من الافق الشرقي نحو سبع عشرة درجة ظهر الفجر باذن الله تعالى فهو اثر من اثارها وانكار الامام الرازي ذلك لا يسمع وما ذكره من الشبهة اشبه شئ بالفجر الكاذب وتحقيق سبب الفجر الكاذب مسطور في كتب الهيئة فارجع اليه ان اردته واراد بمشرق شمس الحقيقة تجليات الذات قبل الفناء التام في عين احدية الجمع ويحتمل انه اراد غير ذلك فليتأمل (ويذوب) مضارع ذاب ذوبا وذوبانا نقيض جمد (والسيما) مقصور العلامة قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقد يمد كالسيماء قال اسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة حين قاسمه ماله

غلام رماه الله بالحسن يافعا    له سيماء لا تشق على البصر

(والحصا) معروف جمع حصاة ويجمع على حصيات مثل بقرة وبقرات (والجلامد) جمع جلمود وهو وكذا الجلمد الصخر ويطلق ايضا على الرجل

الشديد وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ عاين من شمس الحقيقة
مطلعا باهرا* ومشرقا زاهرا* غير مشرق شمس الحقيقة* الذى
يعاينه ويعاينه ارباب الطريقة* كيف وهو مشرق يذوب بسهاه
الحصا والجلمود وتميع بسيماه الحشا والكبود لما فى ذلك من تجليات
باهره* ومعاينات قاهره* لا تطيق لحملها رواسخ الرجال ولا يقدر
عليها الامن ربته العناية فى حجرها وغذته الهداية من افاويق درها
ومن هنا يعلم انه اراد بالمشرق غير ما هو المشهور* وسوى ما هو
المسطور* فليفهم* والله سبحانه وتعالى اعلم* * *

قال الناظم

وما بدليل الان ترعاه نسبة    اجل بطريق اللم للعلم حاشد

اقول اراد (بدليل الان) البرهان الانى وبطريق اللم البرهان اللمى
والفرق بينهما ان الاول هو الذى يستدل فيه بالمعلول المساوى
على العلة والثانى هو الذى يستدل فيه بالعلة على المعلول وبعبارة
اخرى الحد الاوسط فى البرهان لا بد ان يكون علة لنسبة الاكبر الى
الاصغر فى الذهن فان كان علة لوجود تلك النسبة فى الخارج ايضا
يسمى برهانا لميا لانه يفيد اللمية فى الذهن والخارج كما يقال هذا متعفن
الاخلاط محموم فهذا محموم فتعفن الاخلاط علة ثبوت الحمى فى
الذهن والخارج جميعا وان كان علة للنسبة فى الذهن دون الخارج
يسمى برهانا انيا لانه يفيد انية النسبة اى انها كذا فى الذهن دون
لميتها مثل هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط فهذا متعفن الاخلاط
فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الاخلاط فى الذهن الا انها
ليست علة له فى الخارج بل الامر بالعكس قاله غير واحد (والدليل)
فى اللغة ما يستدل به والدال وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة
ودلولة والفتح اعلا وانشد ابو عبيدة* وانى امرء بالطرق ذو دلالة
وفى تعريفات السيد الدليل فى اللغة المرشد وما به الارشاد وفى
الاصطلاح هو الذى يلزم من العلم به العلم بشئ اخر والدلالة هى كون
الشئ بحالة يلزم من العلم به العلم بشئ والشئ الاول هو الدال

والثانى

والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح الاصوليين محصورة في عبارة النص واشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص ووجه ضبطه ان الحكم المستفاد من النظم اما ان يكون ثابتا بنفس النظم او لا والاول ان كان النظم مسوقا له فهو العبارة والا فالاشارة والثاني ان كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة او شرعا فهو الاقتضاء فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة اى يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل كالنهى عن التأفيف في ولا تقل لهما اف فانه يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الاذى لغة بدون الاجتهاد انتهى وللدليل وكذا الدلالة تقسيمات اخر عند العلماء يطول الكلام بذكرها مع شهرة امرها (والا) كلمة مستعملة ثم نفهم معناها مما قدمناه (وشرعاه) تقدم ما يفهم منه معناه (والنسبة) بكسر النون وضمها كالنسب واحد الانساب (واجل) حرف جواب مثل نعم قال الاخفش الا انه احسن من نعم في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام فاذا قال انت سوف تذهب قلت اجل وكان احسن من نعم واذا قال اتذهب قلت نعم وكان احسن من اجل قاله في الصحاح وما عنه الجواب مقدر كما لا يخفى (والطريق) السبيل يذكر ويؤنث تقول الطريق الاعظم والطريق العظمى والجمع اطرقة او طرق قال صخر

فلما جزمت به قربتي تيممت به اطرقة او خليفا

(والمه كالاف) (والعلم) على القول بانه نظري صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض وقيل صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به وقيل غير ذلك والمراد بالعلم ههنا قيل المعرفة قال الواسطي المعرفة ما شاهدته حسا والعلم ما شاهدته خبرا وليس بمتعين وما ذكر اصطلاح واستيفاء الكلام في العلم مما يضيق عنه هذا الكتاب وامر علم الله حتى تحير فيه وحولهم كثير من ذوي الالباب وقريب منه عندي امر كلامه سبحانه والحق ان كل شان الله تعالى غريب وليس للاذهان من الوقوف على الحقيقة نصيب

هيهات ان تصطاد عنقاء البقا ، بلعابهن عناكب الافكار

(وحاشد) اى جامع يقال حشدوا يحشدون بالكسر حشدا اى اجتمعوا وكذلك احتشدوا وتحشدوا وحاصل المعنى ان جناب الشيخ لا يستدل بالمعلولات على عللها والمصنوعات على صانعها كما استدل الاعرابى لما سأله الاصمعى بحضرة الرشيد بم عرفت الله فقال البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير فسماء ذات ابراج وبحار ذات امواج الا تدل على اللطيف الخبير وقريب من ذلك ما انشده فى الزهر ابو نواس حيث قال ولله دره

تامل فى رياض الارض وانظر الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات على اهدابها ذهب سبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك

ونظائر ذلك كثيرة جدا ذكر نبذة منها العلامة السغيرى فى شرح البخارى بل ان سألت عن حال هذا الجامع للمنقول والمعقول فهو الذى يستدل بالعلة على المعلول وهذا المزيد شهوده وملاحظته لمعبوده ❁ قال بعض القوم اعلم ان المعرفة تنقسم الى قسمين استدلالية وشهودية اما الاستدلالية فهى المشار اليها بقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم الآية وهى درجة العلماء واما الشهودية فهى المشار اليها بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وهى درجة الصديقين قال بعض المشايخ رأيت الله قبل كل شئ وهو عرفان الايقان والاحسان فعرفوا كل شئ به واوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام يا داود اتدرى ما معرفتى قال لا قال حياة القلب فى مشاهدتى وقال احمد بن عاطم الانطاكى ما اغبط الا من عرف مولاه جل جلاله واشتهى ان لا اموت حتى اعرف معرفة العارفين الذين يستحيون لا معرفة الصديقين انتهى ملخصا وفى هذا البيت من انواع البديع الجناس المطرف بين اللم والعلم وهو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى آخره

فهي له كالذيل نحو قوله

وسائلها باشارة عن حالها ... وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى ... الا الهوان ازيل عنه النون

وقوله

ان الكلام هو الشفا ... عمن الهوى بين الجوانح

والمطرف تكون الزيادة في اوله لنظيره كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفي تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف في التسمية ظاهرة والمقدم فيه قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تكون تارة في الركن الثاني كما تقدم وتارة في اول الركن الاول كقول ابي الفتح البستي

ابا العباس لا تحسب بانى ... بشيء من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين ... زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما اكبت الادوار زندا ... فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الي عوارف ... ثنائي على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف ... لشكري على تلك اللطائف طائف

الى غير ذلك مما لا يحصى وفيما ذكرناه كفاية

قال الناظم

وما نافع دين العجائز لامرئ ... بمرأى نهاه للجمال يشاهد

اقول (النافع) من النفع ضد الضر يقال نفعته بكذا فانتفع به والاسم المنفعة (والدين) تقدم معناه (والعجائز) جمع عجوز وهي المراة الشيخة ولا تقول عجوزة او هي لغة ردية وللعجوز معان كثيرة تقارب السبعين المتبادر منها هنا ما ذكرناه (والامرئ) الانسان او الرجل وفيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاها الفرا وضمها على على كل حال واعرابها على كل حال ولا جمع له من لفظه واما المرء فكذلك ايضا لكن بعضهم يقول المرؤن وجاء في الحديث ايها المرؤن ذكره في الصحاح وحرف الجر الداخلة عليه للتقوية لتعدى نافع بنفسه

( والنهى ) المنطق ( والنهى ) العقل وكان يسمى بذلك لنهيه صاحبه
عن القبيح حسب ادراكه كما انه يسمى عقلا لانه كالعقال يعقل صاحبه
عن ذلك ( والجمال ) الحسن والفرق الذى يذكره بعضهم غير مسلم
وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمراة جميلة وجملاء ايضا عن
الكسائى وانشد

فهى جملاء كبدر طالع بذت الخلق جميعا بالجمال

والجمال عند القوم نعوت الرحمة والالطاف من الحضرة الالهية المشتملة
على الحقائق الاسمائية ويقابله الجلال بمعنى نعوت القهر والعظمة من
الحضرة الالهية وقال بعضهم الجمال هو تجلية توجهه لذاته وجماله
المطلق جلال فهو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق احد حتى يراه
وهو على الجمال وله دنو يدنو منا وهو ظهوره في الكل كما قال قائلهم

جمالك في كل الحقائق سائر وليس له الا جلالك ساتر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعينات الاكوان فلكل جمال جلال ووراء
كل جلال جمال ولما كان في الجلال ونعوته معنى الاحتجاب والعزة لزمه
العلو والقهر من الحضرة الالهيه والخضوع والهيبة منا ولما كان في
الجمال ونعوته معنى الدنو والسفور لزمه اللطف والرحمة والعطف من
الحضرة الالهية والانس منا انتهى والمراد بدين العجائز ما كان بطريق
التقليد ومجرد الاعتقاد اذ لا قدرة لهن في الغالب على النظر وقد ورد
عليكم بدين العجائز وبه استدل من قال ان النظر في معرفة الله تعالى
وصفاته وافعاله والعقائد الدينية والمسائل الكلامية ليس واجبا
وفيه انا لا نسلم صحته بل قيل انه من كلام سفيان الثورى رحمه الله تعالى
فانه روى ان عمرو بن عبيد من رؤساء المعتزلة قال ان بين الكفر والايمان
منزلة بين المنزلتين فقالت عجوز قال الله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن فلم يجعل الله تعالى من عباده الا الكافر والمؤمن
فبطل قولك فسمع سفيان كلامها فقال عليكم بدين العجائز وعلى
تقدير تسليم صحته فالمراد به التفويض الى الله تعالى فيما قضاه وامضاه
والانقياد له فيما امر به ونهى عنه لا الكف عن النظر والاقتصار على مجرد

التقليد على انه خبر احاد فلا يعارض القواطع الدالة على وجوب النظر مثل قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله سبحانه قل انظروا ماذا في السموات والارض وقوله تعالى فانظروا الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها الى غير ذلك من الادلة وعندي ان النظر انما يجب اذا توقف عليه حصول العلم الواجب فمتى لم يتوقف عليه وتحقق بسبب اخر كالفيض الالهي لم يجب النظر وبالجملة المطلوب العتيب * *

* وحاصل معنى البيت * ان هذا العالم النحرير والعارف الخبير لا يرد حياض التقليد ذهنه ولا يميل اليه ولا يستحسنه لانه امرء بمراة لبه وانوار منور قلبه يشاهد الجمال ويعاين صفات ذي الجلال والملك المتعال ولا يحتاج للمصباح من اشغله الصباح ولا ينتفع بالاثر من شاهد العين ولا يقنع بالمدد من حصل العين واللجين وشتان ما بين التبر والتراب وكم من فرق بين الشراب والسراب وليس الخبر كالعيان ولا الامارة كالبرهان

الم تر ان السيف ينقص قدره     اذا قيل ان السيف خير من العصا

لكن ينبغي ان يعلم انه لا بد ان يبقى لاهل الكشف والشهود ما يكون ايمانهم به ايمانا بالغيب فليحفظ وفي البيت اشارة الى ان التقليد نافع في الجملة وحاصل الكلام في هذا المقام انهم اختلفوا في هذه المسئلة * فنقل عن الاشعري والقاضي والاستاذ وامام الحرمين والجمهور فمنهم من يقول المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ومنهم من فصل وقال هو مؤمن عاص اذا كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وغير عاص ان لم يكن فيه اهلية ذلك ونقل عن طائفة ان من قلد القران والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدم امن الخطاء على غير المعصوم وعن بعض انه جعل النظر والاستدلال شرط كمال فيه وعن اخر انه حرم النظر قال العلامة المحلي وقد اتفقت الطرق الثلاث يعني الموجبة للنظر والمحرمة والمجوزة على صحة ايمان المقلد وان كان اثما بترك النظر على الاول ومحل الخلاف في غير النظر الموصل لمعرفة الله تعالى اما هو

[illegible] الحنفية وعن الامام مالك والشافعي [illegible] اختلفوا اهـ

فواجب اجماعا كما ان الخلاف انما هو فيمن نشأ على جبل شاهق مثلا ولم يتفكر فى ملكوت السموات والارض فاخبره غير معصوم بما يفترض عليه اعتقاده فصدقه فيما اخبره به بمجرد اخباره من غير تفكر ولا تدبر وليس الخلاف فيمن نشأ فى دار الاسلام من الامصار والقرى والصحارى وتواتر عندهم حال النبى صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات ولا فى الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض فانهم كلهم من اهل النظر والاستدلال * وحكى الامدى اتفاق الاصحاب على انتفاء كفر المقلد وانه ليس للجمهور الا القول بعصيانه بترك النظر ان قدر عليه مع اتفاقهم على صحة ايمانه وانه لا يعرف القول بعدم صحة ايمان المقلد الا لابى هاشم الجبائى من المعتزلة وقال ابو منصور الماتريدى اجمع اصحابنا على ان العوام مؤمنون عارفون بربهم وانهم حشو الجنة كما جاءت به الاخبار وانعقد عليه الاجماع لكن منهم من قال لابد من نظر عقلى فى العقائد وقد حصل لهم منه القدر الكافى فان فطرهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه من الموجودات وان عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين والعلم بالعبادة علم زائد لا يلزمهم وقد حقق العلامة التاج السبكى هذا المقام تحقيقا يصير به الخلاف لفظيا فقال ان يجزم المقلد الذى فيه اهلية النظر ولا يخشى عليه من الخوض الذى فيه الوقوع فى الشبه والضلال اعتقاده بصدق قول المخبر له غير المعصوم دون حجة صح ايمانه عند اهل السنة الاشعرية وغيرهم فى اجراء الاحكام الدنيوية عليه اتفاقا فينا كح ويؤم وتوكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ويدفن فى مقابرهم وفى الاحكام الاخروية عند المحققين من اهل السنة فلا يخلد فى النار ان دخلها ولا يعاقب فيها على الكفر وماله الى النجاة فى الجنة لقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم لكنه عاص بترك النظر وان لم يجزم المقلد عقيدته بصدق المخبر له على الوجه السابق لم يكفه ذلك

فى صحة اسلامه وترتيب احكامه عليه لانه فى شك وهو مناف للايمان وهذا ليس من محل الخلاف فى شئ لانهم متفقون على عدم صحة ايمانه هذا والخلاف فى ايمان المقلد انما هو بالنظر الى احكام الاخرة وفيما عند الله واما بالنظر الى احكام الدنيا فالايمان الكافى هو الاقرار فقط فمن اقر اجريت عليه الاحكام الاسلامية فى الدين ولم يحكم عليه بكفر الا اذا اقترن به ما يدل على كفره كالسجود للصنم ذكر ذلك غير واحد من علماء الكلام وحكماء الاسلام وانا بعد هذا القيل والقال اختار ان المدار على حصول الجزم فمتى حصل كفى وكم رايت مقلدا لا يزحزح جبل ايمانه عواصف الشبهات وشخصا يزعم انه ناظر تقلب قلبه الشكوك على فراش التخيلات فافهم والله اعلم

قال الناظم

امير رياض النفوس وان من اساطينها تلقى اليه المقالد

اقول (الامير) ذو الامر (والرياضات) جمع رياضة يقال رضت المهر اروضه رياضا وروضة اذا ذللته والرياضة عند القوم هى الخروج عن طبع النفس وتهذيب اخلاقها وفى التعريفات الشريفية هى تهذيب الاخلاق النفسية وتخليصها عن نزغات الطبع وهو قريب مما ذكر (والنفوس) جمع نفس وقد تقدم بعض الكلام عليها وقال بعض القوم النفس هو الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والارادة وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهى الواسطة بين القلب الذى هو النفس الناطقة وبين البدن المشار اليها فى القران بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الانسان وبركته بها ولكونها ليست من شرق عالم الارواح المجردة ولا من غرب عالم الاجساد المكثفة انتهى وذكروا ان للنفس سبع صفات الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة والمقام فى الاولى مقام ظلمة الاغيار وفى الثانية مقام الانوار وفى الثالثة مقام * الاسرار وفى الرابعة مقام الكمال وفى الخامسة مقام الوصال

وفى السادسة مقام تجليات الافعال وفى السابعة مقام تجليات الصفات والاسماء وبعضهم ذكر ان النفوس ثلاثة النفس اللوامة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتامر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى ماوى الشر ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى والنفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب بقدر ما تنبهت به من سنة الغفلة وبدت باصلاح حالها مترددة بين جهة الربوبية والخلقية فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية تداركها النور الالهى فاخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة الى باب الغفور الرحيم ولهذا نوه الله تعالى بذكرها بالاقسام بها فقال لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة والنفس المطمئنة وهى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة وتوجهت الى جهة القلب بالكلية متابعة له فى الترقى الى جناب عالم القدس متنزهة عن جانب الرجس مواضبة على الطاعات ساكنة الى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها ربها بقوله عز من قائل يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى هذا وما ذكرناه اولا هو المشهور لدى الجمهور (والاساطين) * جمع اسطوانة بالضم وهى السارية معرب استون وهى اما افعوالة او فعلوانة والمراد بالاساطين المشايخ الذين هم كالسوارى فى مساجد اليقين وكالاركان فى ارشاد المسترشدين وتسليك السالكين (وتلقى) اى تطرح (والمقالد) كالمقاليد جمع مقلد وهو مفتاح كالمنجل ويقال ضاقت مقالده ومقاليده اى اموره ويحتمل غير ذلك والظاهر ان اسم ان ضمير الشان كما فى قوله

ان من يدخل الكنيسة يوما  يلق فيها جاذرا وظباء

وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ امير فى تدريب النفوس

الابية

الابية وخبير بتهذيب اخلاقها الردئية فالنفس الامارة منقادة تحت امارته والنفس اللوامة لا تمة بالخروج عن طاعته اذ لا يدعو الا الى دعا الله تعالى ورسوله اليه ولا يغذ النفوس الا على ما يغذ المخلصون عليه فهى مطمئنة باقواله راضية مرضية بافعاله كاملة باتباع احواله وان الشان ان المشايخ العظام ومن كل منهم فى هذا المقام اماما يلقون اليه المقالد ويرجعون اليه فى المعضلات والشدائد لعلمهم بانه جزيلها المحكك بين الانام وعذيقها المرجب بين الخاص والعام لا زالت سحائب الرحمة منهلة عليه ولا برحت موائد النعمة مصبوبة بين يديه

قال الناظم

عليه رحى العرفان دارت لانه هو القطب والابدال فيها فرائد

اقول قال فى الصحاح (الرحى) معروفة مؤنثة والالف منقلبة من الياء تقول هما رحيان قال مهلهل

كانا غدوة وبنى ابينا بجنب عنيزة رحيا مدير

وكل من مد قال رحاء ورحاءان وارحية مثل عطاء وعطاءان واعطية وجعلها منقلبة من الواو ولا ادرى ما حجته وما صحته وثلث ارح والكثير ارحا انتهى (والعرفان) مصدر عرف وكذا المعرفة والعرفان عند القوم شهود الله تعالى فى مظهر جامع بين الظاهر والباطن ورحى العرفان من باب اظفار المنية (ودارت) تحركت مستديرة (والقطب) العمود الذى تدور عليه الرحى وفيه ثلاث لغات قطب وقطب وقطب بتثليث القاف ويقال فلان قطب بنى فلان اى سيدهم الذى يدور عليه امرهم والقطب عند السادة الصوفية هو الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى فى من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانسانى والمقام الرحمانى وله خمسة اعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه ويأكل الحلال وستة باطنة الفناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وفى

الفتح المكى

منزلة القطب والامامة منزلة مالها علامة
يعلمها واحد تعالى عن صفة الحسير والاقامه
يعلوه في لون اصفرار في ايمن الخد منه شامه
حقيقة مالها نسوه ايده الله بالسلامه

قيل لا يكون القطب في كل زمان الا واحدا وهو الغوث وهو اما جامع للخلافة الظاهرة والباطنة كابي بكر رضي الله تعالى عنه واما منفرد بالخلافة الباطنة كالسبتي قدس سره واجل الاقطاب بعد ائمة اهل البيت المعروفين حضرة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره فقد ذكر الامام الرباني مجدد الالف الثاني في مكتوباته ان القطبية كانت لائمة اهل البيت اصالة وصارت من بعدهم وكالة حتى ظهر الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره فاعطيها اصالة حتى اذا ذهب الى حظائر القدس اعطيها من جاء بعده وكالة عنه فكل الاقطاب من بعده نوابه ووكلاؤه ولا يزال الامر كذلك حتى يظهر المهدي فيعطاها اصالة وفي قوله قدس سره

غربت شموس الاولين وشمسنا ابدا على فلك العلي لا تغرب

رمز الى ذلك انتهى فليحفظ (والابدال) قال في الصحاح قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد بدل الله تعالى مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل انتهى وقال بعض السادة الصوفية الابدال سبعة في كل زمان يحفظ الله تعالى بهم الاقاليم السبعة لكل واحد منهم اقليم منهم على قدم الخليل عليه السلام ومنهم على قدم الكليم عليه السلام ومنهم على قدم هارون عليه السلام * ومنهم على قدم ادريس عليه السلام ومنهم على قدم عيسى عليه السلام ومنهم على قدم ادم عليه السلام وقال بعضهم هم سبعة رجال يسافر احدهم عن موضع ويترك جسدا على صورته بحيث لا يعرف احد انه فقد وذلك معنى البدل لا غير وهم على قلب ابراهيم عليه السلام ويصير جسد البدل كالبيت ان شاء نزل فيه وان شاء ارتحل عنه وراثة نبوية وذلك

انه سيدنا

ان سيدنا ونبينا محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستفتى فيغيب في الوقت الحاضر فيوحى اليه فيقول اين السائل عن كذا؟ انتهى وذكر انهم عارفون بما أودع الله جل جلاله في الكواكب السبعة السيارة من الاسرار في حركتها ونزولها في المنازل المقدرة ولهم من الاسماء اسماء الصفات ومنهم عبد الحى وعبد العليم وعبد القادر وعبد المريد وهذه الاربعة موافقة للاوتاد في الاسم وعبد الشكور وعبد السميع وعبد البصير ومامن شخص الاوله نسبة الى اسم الاهى منه يتلقى ما يكون عليه من اسباب الخير بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الالهى من الشمول والاحاطة وعلى تلك الموازنة يكون علم ذلك الرجل ولم يرد الحديث الافى الابدال دون هذا التفصيل وسمعت عن الشيخ المرقى قدس سره انه قال يوما ان الامام ابا حنيفة كان من الاقطاب والامام الشافعى كان من الابدال ولعمرى انه اعرف الناس بمراتب الرجال وضمير (فيها) راجع الى رحى (والفراقد) جمع فرقد فهو كالفرقود النجم الذى يهتدى به ويقال هما فرقدان قال فى القاموس وجاء فى الشعر مثنى وموحدا انتهى وفى الصحاح الفرقدان نجمان قريبان من القطب اقول وهما النجمان الظاهران من بنات نعش الصغرى المسماة بالدب الاصغر بينهما قدر ذراع وهما محفوظ عليهما وضعهما لا يفترقان وانشدوا

وكل اخ مفارقه اخوه　　لعمر ابيك الا الفرقدان

وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ هو القطب الذى تدور عليه رحى العرفان والغوث الذى تدور ببركته نوائب الحدثان وان الابدال يدورون حوله ولا يصلون محله فهيهات ان يدرك شاواه وان يبلغ علاه اذ هو السابق الذى لا يشق له غبار والمحرز لقصبات السبق في ذلك المضمار ثم اعلم ان الناظم ذكر في هذا البيت قسمين من الاوليا وبقيت منهم اقسام جمة لا باس بذكر

شيء منها اذ يذكر الصالحين تنزل الرحمة فنقول منهم الائمة ولا يزدادون
في كل زمان على اثنين الواحد عبد الرب والاخر عبد الملك نظر
احدهما مقصور الى الملك والاخر الى الملكوت ومنهم الاوتاد وهم
اربعة في كل زمان احدهم متصرف في جهة المشرق والاخر في
المغرب واخر في الجنوب واخر في الشمال والتقسيم انما يكون في الكعبة
وقد تقدمت الاشارة الى اسمائهم ومنهم النقباء وهم اثنا عشر
في كل زمان على عدد بروج الفلك كل نقيب عالم بخاصية كل برج
بما اودع الله تعالى فيه من الاسرار وما يعطي المنازل فيه من الكواكب
السيارة والثوابت فان لها حركات ايضا لا يحس بها اذ لا تنتهي
الا في آلاف سنين واعمار اهل الرصد تقصر عن ذلك وقد الهمهم
الله تعالى استخراج خبايا النفوس وغوائلها حتى انهم ليعرفون من
ابليس ما لا يعرفه من نفسه وهم من العلم بحيث اذا راى احدهم
وطأ شخص في الارض علم انه شقي او سعيد ومنهم النجباء وهم ثمانية
في كل زمان ومقامهم الكرسي لا يتعدونه ما داموا نجباء ولهم القدم
الراسخ في العلم بتسيير الكواكب كشفا لا نظرا وقد حازوا علم الافلاك
الثمانية دون الفلك التاسع ومعرفته انما هي للنقباء ومنهم الحواريون
ولا يكون منهم في كل زمان الا واحد وهو من جمع في نصرة الدين بين
السيف والحجة واعطي العلم والعبادة ومقامه التحدي في اقامة الحجة
على صحة هذا الدين القويم والزبير بن العوام كان صاحب هذا المقام
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة انصار الدين
ومنهم الرجبيون وهم اربعون نفسا في كل زمان وحالهم القيام
بعظمة الله تعالى وهم متفرقون في البلدان يعرفون بعضهم بعضا
وسموا بذلك لانه اذا كان اول يوم من رجب يجدون كأنما
اطبقت عليهم السماء ويجدون من الثقل ما لا يقدرون معه
على حركة ولا كلام ويتكلمون بعد اليومين والثالث ويقع لهم
من المكشوفات والاطلاع على المغيبات ما يقع الى ان يكمل
الشهر فاذا خرج ودخل شعبان قاموا كأنما نشطوا من عقال

فاذا كان

فان كان احدهم صاحب تجارة او صنعة اشتغل بشغله وسلب عنه بعض حاله وبعضهم بينهم و بينهم ابدا الا و بعض اخر يسمى النقباء ابدا لا ولا مشا في التسمية ومنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام يرد على قلوبهم ما ورد على قلبه وهم في كل زمان كما قال ذلك ارباب الكشف والعرفان هم المجتبون المصطفون ويستحبون في الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ومنهم اربعون شخصا على قلب نوح عليه السلام وصفتهم القبض ومقامهم الغيرة الدينية ودعاؤهم رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ومنهم سبعة على قلب الخليل عليه السلام ومقامهم السلامة من كل ريب وشك وقد نزع الله تعالى الغل من صدورهم وسلم الناس من سوء ظنهم وبينهم وبين الشرور التى عليها الناس حجاب وهم علماء حلماء واخوان صدق على سرر متقابلين ومنهم الخاتم وهو واحد في كل زمان بل واحد في العالم يختم الله تعالى به الولاية المحمدية فلا يكون في الاولياء المحمديين اكبر منه ثم خاتم اخر يختم الله تعالى به الولاية العامة من آدم عليه السلام الى اخر ولي وهو عيسى عليه السلام والاول قيل هو الشيخ الاكبر قدس سره واستظهر انه المهدي المنتظر رضي الله تعالى عنه والله تعالى اعلم ومنهم خمسة على قلب جبرائيل عليه السلام لهم من العلوم عدد ما لجبرائيل من القوى المعبر عنها بالاجنحة ولا يتجاوز علمهم مقامه وهو المحمد لهم من الغيب ومعهم يقف في الحشر يوم القيامة ومنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام والغالب عليهم البسط ولين الجانب والشفقة المفرطة ولهم من العلوم قدر ما لميكائيل من القوى ومنهم واحد على قلب اسرافيل عليه السلام وله الامر كما لاسرافيل وله علمه ايضا قيل وكان ابو يزيد منهم ومنهم رجال الغيب وهم عشرة في كل زمان اصحاب خشوع لا يتكلمون الا همسا ويمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما دابهم الحياء واذا سمعوا احدا يرفع صوته ترعد فرائصهم وذلك لغلبة

الحال عليهم يتحملون انه قد يجلى من تورث عندهم الخشوع وقد يطلق
رجال الغيب على صالح الجن وكذا على الذين لا ياخذون شيا من العلم
والرزق المحسوس لكنهم ياخذونه من الغيب ومنهم الظاهرون بامر
الله وهم ثمانية عشر نفسًا قائمون بحقوق الله تعالى مثبتون الاسباب
خرق العوائد عندهم عادة كان منهم سيدى ابومدين رحمه الله تعالى
ومنهم رجال القوة وهم ثمانية رجال القهرشانهم الشدة على
الكفار لا تاخذهم فى الله تعالى لومة لائم لهم همم فعالة فى النفوس
وبهذا يعرفون وكان منهم ابوعبد الله الدقاق ومنهم خمسة رجال
على قدم هؤلاء غيران فيهم لينا فى بعض المواضع ومنهم خمسة عشر
نفسًا رجال العطف لهم شفقة على عباد الله تعالى مؤمنهم وكافرهم
ينظرون الخلق بعين الوجود والجود لا بعين القضاء والحكم ومنهم
رجال الهيبة وهم اربعة انفس يعدون الاوتاد والغالب على احوالهم
الروحانية وقلوبهم سماوية مجهولون فى الارض معروفون فى السماء
واحد منهم ممن استثنى الله تعالى فى قوله ونفخ فى الصور الاية والثانى
له العلم بما لا يتناهى والثالث له الهمة الفعالة فى الايجاد ولكن لا يوجد
عنه شئ والرابع توجد عنه الاشياء وليس له ارادة ولا همة متعلقة
بها الحق العالم الاعلى على علوم مراتبهما احدهم على قلب محمد صلى الله عليه
وسلم والثانى على قلب شعيب والثالث على قلب صالح والرابع على قلب
هود عليهم السلام ينظر الى احدهم من العالم الاعلى عزرائيل عليه السلام
والى الارض ميكائيل عليه السلام والى الاخر اسرافيل عليه السلام
ومنهم اربعة وعشرون نفسًا يسمون رجال الفتح بهم يفتح الله تعالى
على قلوب اوليائه ما يفتحه من المعارف والاسرار وهم متفرقون كل
شخص منهم لازم مكانه منهم باليمن اثنان وبالمغرب ستة وببلاد
المشرق اربعة والباقى فى سائر الجهات ومنهم سبعة انفس يقال
لهم رجال العلا لهم فى كل نفس معراج الى الله تعالى لتحصيل علم خاص
ومنهم احد وعشرون رجال التحت الاسفل فهم اهل النفس الذى
يتلقونه من الله تعالى لا معرفة لهم بالنفس الخارج منهم فهم مع

النفس الرحماني النازل الذي به حياتهم وغذاؤهم ومنهم ثلاثة انفس يستمدون من الحق ويمدون الخلق يقبلون على الله بالاستمداد ويرجعون الى الخلق بالافادة واذا افادوا افادوا بلطف بحيث يظن انهم يستفيدون ومنهم رجال ونساء قد الهمهم الله تعالى للسعي في قضاء حوائج الناس عنده لا عند غيره وشانهم عجيب ومعناهم لطيف ومنهم رجل واحد وقد يكون امراة له يد الاستطالة على كل شيء شهم شجاع مقدام كبير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا وكان صاحب هذا المقام سيدي وسندي العلم الرباني والعارف الصمداني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره وعمنا بره ومنهم رجل مركب ممتزج ولا يكون الا واحدا وهو شبيه عيسى عليه السلام لا يعلم له اب بشري وهو مخلوق من ماء امة الله تعالى على كل شيء قدير ومنهم رجل واحد ويكون امراة له دقائق ممتدة الى جميع العوالم وهو شخص غريب ذو حال عجيب وليس بالقطب كما قد يتوهم ومنهم رجل واحد يسمى مقامه سقيط الرفرف ابن ساقط العرش كبير الشان عظيم الحال شغله بنفسه وبربه رؤيته مؤثرة في حال من يراه ومنهم رجال عين التحكم والزوائد وهم عشرة انفس في كل زمان مقامهم التصرف وحالهم زيادة الايمان بالغيب واليقين في تحصيل ذلك العلم فلا يصرف لهم غيب شهادة الا ويزيدون ايمانا بغيب اخر ويقينا في تحصيله ومنهم اثنى عشر نفسا هم البدلاء وسموا بذلك لان الواحد منهم ينوب مناب الباقين اذا غابوا ويقوم بما يقوم به جميعهم وكل واحد منهم في عين الجمع

وليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

وليس هم بالابدال وان اشتبه ذلك على كثير من الناس ومنهم رجال الاشتياق خمسة انفس وهم اصحاب القلق تقلقهم الاشواق في عين المشاهدة وفيهم قال واصف لحالهم *

السته ادري اطال ليلي ام لا ... كيف يدري بذاك من يتقلى

وهم ملوك اهل طريق الله وهم رجال الصلوات الخمس كل رجل
منهم مختص بحقيقة من الفرائض لا يفترون من صلاة ليل
ونهار ومنهم سبعة انفس رجال ايام الستة التي خلق الله فيها
العالم ولهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت لوجود الانسان
قيل وكان منهم احمد السبتي ومنهم رجال غير ما ذكرنا محصورون
ايضا لا يخلو الزمان منهم ولله سبحانه رجال اخرون لا يحصون
بعد ديل يزيدون وينقصون وهم على طبقات متعددة واصناف
متفاوتة ولنقتصر على ذكر بعض الطوائف من اكابرهم وائمتهم
فمنهم رجال الماء وهم قوم يعبدون الله تعالى في قعر البحار والانهار
لا يعلم بهم يحكى عن ابي البدر البغدادي وكان صدوقا ثقة عن
الشيخ ابي سعيد الشبلي امام وقته في الطريق قال كنت بشاطئ
دجلة فخطر في نفسي هل لله سبحانه وتعالى عباد يعبدونه في
الماء فما استتم الخاطر الا وقد انفلق البحر عن رجل فقال نعم يا ابا
السعود لله تعالى رجال يعبدونه في الماء وانا منهم واني من
تكريت وقد خرجت منها لانه يحدث فيها كذا وكذا ثم غاب عني
في الماء فلما انقضت المدة وقع ذلك الامر على صورة ما ذكره ومنهم
الافراد وهم المقربون بلسان الشرع وهم رجال خارجون عن دائرة
القطب ولهم كشف خاص لا ينالة سواهم قيل ومنهم الخضر
عليه السلام ومنهم المحدثون ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه وهم صنفان صنف يحدثهم الحق تعالى من وراء حجاب
وصنف تحدثهم ارواح الملائكة في قلوبهم واحيانا في اذانهم وقد
يكتب لهم وطريق هذا الصنف الرياضات النفسية والمجاهدات
البدنية ومنهم غير ذلك نسال الله تعالى ان يفيض علينا من بركاتهم
ويمن علينا بصالح دعواتهم انه بر رحيم جواد كريم لا رب غيره
ولا خير الا خيره ثم لا يخفى ما في قول الناظم والابدال فيها اي في رحى
العرفان فراقد من السماجة لظهور ان الفراقد انما تناسب السماء
دون الرحى فلا تغفل * قال الناظم

فتى قصده عرفان باريه هل ترى　　تقوم به ابياتنا والقصائد

اقول (الفتى) فى اللغة الشاب والسخى الكريم يقال هو فتى بيّن الفتوة وكثيرا ما يستعمل فى العرف بمعنى الرجل مطلقا ولعل هذا المعنى هو المراد هنا وهو فى عرف القوم من اتصف بالفتوة وهى جمود حرارة الطلب اللازمة للمبتدائين ولها عندهم تعريفات كثيرة منها ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة (وقصده) اى مقصوده ومرامه (والعرفان) المعرفة (والبارى) الخالق (وترى) تعتقد (وتقوم به) اى تكفى فى مدائحه (وابياتنا) جمع بيت ويجمع ايضا على بيوت وابابيت عن س مثل اقوال واقاويل وتصغير البيت بييت بكسر اوله والعامة تقول بويت والمراد بالبيت هنا البيت من الشعر ومنه قوله

وبيت على ظهر المطى بنيته　　باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

اراد ببيت شعر وبنيته كتبته بالقلم (والقصائد) جمع قصيدة وهى الاشعار العديدة واختلف فى مقدار ما تطلق عليه فقيل ثلاثة ابيات فصاعدا وقيل ما فوق السبعة والا فهى نتفة وقيل غير ذلك فليراجع (وحاصل معنى البيت) ان من هو فتى موصوف بان قصارى مقصوده معرفة خالقه ومعبوده * كيف تقوم الاشعار ببيان صفاته واحصاء مدائح ذاته

ولو ان ثوبا حيك من نسج تسعة　　وعشرين حرفا فى علاه قصير
بل يحق ان ينشد فيه من غير شك ولا تمويه
تجاوز قدر المدح حتى كانه　　باحسن ما يثنى عليه يعاب

ثم اعلم ان المعرفة التصديق بوجوده تعالى ووجوبه وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية اذ معرفته تعالى بالكنه غير واقعة عند المحققين بل منهم من قال بامتناعها كحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة قال مولانا جلال الدين الدوانى ولم اطلع على دليل منهم على ذلك سوى ما قال ارسطو فى عيون المستدل كما تعترى العين

عند التحديق في جرم الشمس ظلمة وكدورة تمنعها عن تمام الابصار
كذلك تثمر العقل عند ارادة اكتناهه ذاته حيرة ودهشة تمنعه عن
اكتناهه تعالى وهو كما ترى كلام خطابي بل شعري وقد يستدل على
امتناعها بان حقيقته ليست بديهية والرسم لا يفيد الكنه والحد
ممتنع لانه بسيط ووجه ضعفه ظاهر لان البساطة العقلية
محتاجة الى البرهان وعدم افادة الرسم الكنه ليس كليا اذ لا دليل
على امتناع افادته الكنه في شيء من المواد وعدم البداهة بالنسبة
الى جميع الاشخاص يحتاج الى دليل فربما تحصل البداهة بعد
تهذيب النفس بالشرائع الحقة وتجريدها عن الكدورات
البشرية والعوائق الجسمانية والاحاديث الدالة على عدم حصولها
كثيرة مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك ما عرفناك
حق معرفتك وتفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته فانكم لن
تقدروا قدره وقال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك
ادراك وضمنه على ما قيل على المرتضى كرم الله تعالى وجهه فقال

شعرا

العجز عن درك الادراك ادراك ... فالبحث عن كنه ذات الله اشراك

انتهى كلامه والحق عندي الامتناع فهو سبحانه القاهر فوق عباده
وتحقيق هذا المقام يطلب من كتب الكلام

قال الناظم

فيا كهف ابناء الطريقة والذي ... تكفل في ارشادها وهو والد
سريت من الناسوت حزما وهمة ... الى ملكوت عنده الملك خالد

اقول (الكهف) كالبيت المنقور في الجبل والجمع الكهوف
ويقال فلان كهف اي ملجأ قاله في الصحاح (والابناء) جمع
ابن مثل حمل واحمال (والطريقة) في اللغة تطلق على اطول ما
يكون من النخل بلغة اليمامة والجمع طريق قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله ... عليه ابابيل من الطير تنعب

وعلى نسيجة تنسج من صوف او شعر في عرض الذراع او اقل

وطولها

وطوها على قدر البيت فخيط فى ملتقى الشقاق من الكسر الى الكسر
وعلى الاشراف من الرجال يقال هذا رجل طريقة قومه وهولاء
طريقة قومهم وعلى المذهب يقال ما زال فلان على طريقة واحدة
اى مذهب واحد وحالة واحدة والمراد بها ههنا ما هو فى مصطلح
القوم وهى المسيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع
المنازل والترقى فى المقامات وهى غير الطريق عندهم لانه
عبارة عن سر اسم الله تعالى واحكامه التكليفية المشروعة
التى لا رخصة فيها (وتكفل) اى ضمن (والارشاد) بيان
الطريق الموصل (والوالد) الاب ويطلق على المربى ولعله
المراد ومنه قول الله تعالى شانه لعيسى عليه السلام على ما
قيل انت نبيى وانا ولدتك اى ربيتك ومن هنا ونحوه توهمت
النصارى فقالت انه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وبهذا المعنى اطلق عليه السلام اسم الاب عليه فى قوله انى
ذاهب الى ابى لا بالمعنى الذى توهموه كيف وقد ورد ايضا
انى ذاهب الى ابى وابيكم والمشاكلة خلاف الظاهر (وسريت)
سرت وذهبت وفى الصحاح سريت سرى وسرى واسريت
بمعنى اذا سرت ليلا وبالالف لغة اهل الحجاز وجاء القران بهما
جميعا قال حسان بن ثابت

هى النضيرة ربة الخدر اسرت الى ولم تكن تسرى

انتهى والتقييد هنا بالليل بعيد (والناسوت) ما قابل
اللاهوت وتفصيل ذلك على ما قاله بعض ارباب القلوب
ان اللاهوت هو حضرة المعلومات الالهية التى استاثر الله
تعالى بعلم ماهيتها على ما هى عليه وهى ذوات مجردة عن
الغواشى الخارجية لم يفرق بها سوى التعين الذاتى من غير زائد
ولذا لا تختلف ولا تقبل نسخا وهذه الحضرة من حيث ادراكها
لما فيها تسمى العقل الاول ومن حيث فيضها على العقول تسمى
القلم الاول ومن حيث امدادها للنفوس الناطقة والاستعداد

المناسبة تسمى يمين الله ومن حيث اختصاص علمها بالرحمن تسمى العرش ومن حيث وعيها لما فيها تسمى ام الكتاب ذات الصفحات الصفاتية وذلك ان كل صفة من الصفات الالهية من حيث قيامها بالذات حاوية لجميع المعلومات لكن بذوات مناسبة لحكمها * فالمعلومات كلها في حضرة صفة الرحمة مثلا تجلى على صورة رحومة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكذلك ايضا جميع المعلومات في حضرة صفة الخالقية لكن على صور مخلوقة[٣] الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وكذلك في حضرة كل صفة لكن على صورة حكمها وليست مجردة من جميع المعاني الا في حضرة اسم الله وهو العلم الدال على الذات من غير اشتقاق وحيث كانت هذه الحضرة المسماة بام الكتاب هي النور الرحماني كانت جميع الصفات صفاتها وهذا النور هو المقول فيه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فهو سر البيان وهو لسان المتكلم بالكلمات الذاتية والصفاتية فانما يسرناه بلسانك فاول كلمة وقعت من هذا اللسان في مسمع جوهر الوجود الحادث آدم فكانت على صورة ما تصورها السامع وتصورها القائل وعلمها المتكلم انسانا ذا قرنيين فلما قابلت فطرة هذه الصورة وهي المسماة بالناسوت حضرة اللاهوت ارتسم في قبولها مثل ما في ام الكتاب على ما هي عليه لخلوها من جميع الشواغل الموجبة للتحريف فهي نسخة ام الكتاب وما بعدها من الواح القوابل نسخها وفي هذه النسخة حصل التنوع بحسب حصول بعض المعلومات في محل المقارنة النفسانية الجانية وبعضها في محل المقارنة الروحانية الملكية وبعضها في المحل الاقدس وهو الانسانية التي هي المرآة الرحمانية وهذه النسخة لها حيثيات عديدة في كل حيثية منها تسمى باسم كاللوح المحفوظ وسدرة المنتهى والفردوس الى غير ذلك مما يطلب هو وشرحه من مبسوطات كتب القوم ( والحزم ) ضبط الرجل امره واخذه بالمشقة ( والهمة ) قال في الصحاح

[٣] قوله على صور مخلوقة اي على صورة عباده وذلك في حضرة صفة الخالقية

واحدة

واحدة الهمم يقال فلان بعيد الهمة والهمة ايضا بالفتح وتطلق الهمة عند القوم بازاء تجريد القلب للمنى وتطلق بازاء اول الصدق المريد وتسمى هذه همة الارادة وتطلق بازاء جمع الهمم بصفاء الالهام وهذه الهمة تسمى الهمة الخفية وهى همة المكمل من اهل الله قال بعضهم الهمة ثلاثة اقسام همة الافاقة وهى اول درجات الهمة وهى الرغبة على طلب الباقى وترك الفانى وهمة الانفة وهى الدرجة الثانية وهى التى تورث صاحبها الانفة من طلب الاجر على العمل حتى يانف قلبه ان يشتغل بتوقع ما وعده الله تعالى من الثواب على العمل والهمة العالية وهى الدرجة الثالثة وهى التى لا تتعلق الا بالحق ولا تلتفت الى غيره فهى اعلى الهمم حيث لا ترضى بالاحوال والمقامات وبالوقوف مع الاسماء والصفات ولا تقصد الا الذات انتهى وليس بين الكلامين كثير فرق كما لا يخفى (والملكوت) قال فى الصحاح ايضا كالرهبوت من الرهبة يقال له ملكوت العراق وملكوت العراق مثل الرغبوت وهو الملك والعز وعند القوم الملكوت عالم الغيب المختص بالارواح والنفوس المجردة والملك عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية كالعرش والكرسى (وخالد) يحتمل على بعد انه منادى ويحتمل انه خبر الملك وعنده متعلق به وهو الظاهر والخلود دوام البقاء ويستعمل بمعنى المكث الطويل كما قاله غير واحد فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها واياما كان فهنا لا ادرى وجه صحته لكون الملكوت خالدا عنده الملك وكانه عنى بالملك ما يملك واراد فيما يحصل لمن فى عالم الغيب من الارواح والنفوس المجردة من الصفات الكاملة واراد بخلوده عدم زوالها وتبدلها كما تزعمه الفلاسفة فى صفات العقول المجردة اولمن وصل اليه من السالكين والاولياء الكاملين فتامل ثم ان من الناس من فرق بين الملك بضم الميم والملك بكسرها بان الاول ضبط الشئ المتصرف فيه بالحكم والثانى كالجنس له فكل ملك ملك ولا عكس (وحاصل المعنى) يا ملجأ ارباب الطريقة ومأمل اصحاب الحقيقة ويا من تكفل بالارشاد واهدى الانام الى السداد فكانه والتشفيق

السالكين وابناء الطريق بشراك ثم بشراك بما اولاك مولاك حيث سريت من عالم الناسوت الى عالم الملكوت وعرجت من عالم المحسوسات الى عالم المغيبات بعزم شديد وهمة استوى لديها القريب فالبعيد وهذا هو الملك العظيم والنعيم المقيم قال الناظم

مقامك جمع الجمع فيه لانه ... مقام به للاكرمين مقاعد
بعيد يراه الجاحدون وانما ... نراه قريبا لا يرى الحق جاحد

اقول مقامك اى موضعك الذى انت فيه وجمع الجمع شهود الخلق قائما بالحق وعند البعض هو الاستهلاك بالكلية فى الله تعالى فناء الاحساس بما سواه عند غليان الحقيقة واما الجمع فهو شهود الحق بلا خلق وقيل الجمع فناء الحس ويقابله الفرق وهو بقاء النفس وقيل الجمع ظهور الاسم والفرق بقاء الرسم وضمير فيه للملكوت واراد بالاكرمين الاولياء الكاملين وذوى العرفان الراسخين ويراه اى يعتقده والجاحدون المنكرون والحق الامر الثابت المطابق للواقع او الذى طابقه الواقع والمعنى ظاهر وكانه اراد بذلك وحدة الوجود التى يقول بها على ما سمعته من الشيخ علاء الدين الموصلى طاب مرقده من كل امة خواصها وتحقيقها والكلام عليها قد شاع وكثر قديما وحديثا ورد ها قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبلها قوم عارفون محققون ومن ردها فانما ردها لعدم فهمها وقصور ذهنه عن معناها والقائلون بها هم اهل الكشف والبصيرة والموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ ابن العربى وشرف الدين ابن الفارض والعفيف التلمسانى والشيخ عبد الكريم الجيلى وامثالهم قدس الله اسرارهم وضاعف انوارهم وشتان ما بين الفريقين وكم من فرق بين الفئتين كيف لا وعلوم القوم مبنية على الكشف والعيان لا على الخواطر الفكرية والاذهان وبداية طريقتهم التقوى والعمل الصالح لا مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين فى حصول المصالح ونهاية علمهم الوصول الحضرة الحى القيوم لا تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذى لا يدوم فلا طريق الا طريق السادة الائمة الهداة القادة ولا اعتقاد الا وحدة

الوجود على المعنى الموافق المشهور لا على المعنى الذى يعتقده الملحدون الذين هم للصلاة تاركون وللخمور شاربون ولكل محرم فاعلون فان ذلك المعنى ام الخبائث وبه توصلوا الى استحلال هاتيك القبائح وقد رأيت منهم من يقول بعد ان كان الوجود واحدا وكل العالم جسد الروح واحدة لا فرق بين ان يدخل الانسان اصبعه فى فمه وبين ان يولج ذكره فى فرج امه نعم المعنى الحق لوحدة الوجود الذى يبقى معه التكاليف وتنزيه الرب سبحانه الملك اللطيف مما لا يكاد يمكن الوصول اليه على برذون الفكر بل لابد من امتطاء نجائب التقى والجوع والسهر ولعمرى من طلب معرفة وحدة الوجود بالقال فقد غوى والى سجين الاتحاد على ام رأسه هوى ومن طلبها بالحال والاستفاضة من سحائب رحمة الملك المتعال فذلك الذى عرف ووجد المنهل العذب فغرف ولكن هذا اليوم اقل من الواحد فيمن تشاهد من القوم ( ثم اعلم ) ان الشيخ المربى قدس سره لم يظهر منه القول بوحدة الوجود ولعله لا يقول بها وانما يقول كالامام الربانى بوحدة الشهود وكذلك معظم ساداتنا مشايخ النقشبنديه وقد صرح الامام الربانى بانها من الاحوال لا من المقامات فيعرض القول بها للسالك فى اثناء سيره ويعتقد حقيقتها ومطابقتها لنفس الامر حتى اذا عرج وترقى بان له الامر على خلاف ما كان عليه اولا وصرح ايضا بانه قد عرض له القول بها ثم ترقى فظهر له ان الامر وراء ذلك وهذا مما لا يسلمه القائلون بها اصلا والله تعالى اعلم ووصيتى لك ترك الخوض فى هذا البحر العجاج خشية ان تغرقك احدى الامواج ولا تترد اذا سئلت مما لا تعلم على قولك لا اعلم واياك والوقوع فى اولياء الله تعالى فان الله يغضب لهم واسئل الله تعالى ان يرزقك حالهم فتبصر قال الناظم

وجانبت اهل التيه والغى والعمى بنور يقين صح انك ناقد
لعلمك اهل الحال عقبى ماطهم وصال واهل القال طرا اباعد

اقول جانبت اهل التيه اى تركتهم بجانب وناحية والتيه بالكسر الصلف والكبر والضلال والغى من غوى يغوى فسد وضل والعمى

من عمى كرضى ذهب بصره كله والعمى ايضا ذهاب بصر القلب وهو المراد ههنا واليقين ازاحة الشك كاليقين محركه وصح اى ثبت مثلها في قول الشاعر

صح عند الناس انى عاشق … غير ان لم يعرفوا عشقى لمن

وناقد من نقدت الدراهم وانتقدتها اذا اخرجت منها الزيف والحال كما قال القشيري ما يرد على القلب من غير تامل ولا اجتلاب ولا تخييل ولا اكتساب فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب الاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود صاحب المقام متمكن في مقامه وصاحب الحال مترقى عن حاله والاحوال كلها تزول بسرعة وانشدوا

لو لم يحل ما سميت حالا … وكل ما حال فقد زالا

واشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها قالوا اذا لم يدم ولم يتوالى فهي لوائح فاذا توالت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا والواجب في ذلك ان يقال من اشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى مشربا لاحد فيترقى فيه ولكن لصاحب هذا الحال طوارق لا تدوم فوق احواله التى صارت مشربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما كانت الاحوال المتقدمة ارتقى الى احوال اخر فوق هذه فاذن يكون في الترقى ومقدورات الحق لا نهاية لها واذا كان الحق عزيزا فالوصول اليه بالحقيقة محال فالعبد ابدا في ارتقاء احواله فلا معنى يصل اليه وفي مقدور الله تعالى ما هو فوقه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين وانشدوا في المعنى

طوارق انوار تلوح اذا بدت … فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

(والعقبى) في الصحاح والقاموس جزاء الامر وكان المراد به هنا العاقبة تدبر والمآل من آل اليه اولا وما لا رجع والوصال مقابل الفراق وهو عند القوم جنة المعرفة وقيل غير ذلك والقال اسم للقول وكذا القيل واهل المقال اهل الرسوم وطرا اى جميعا وابا عد من بعد كـكرم وفرح بعدا وبعدا والبعد معلوم وحاصل المعنى انك جانبت ما عليه اهل الضلال ممن عمى منهم

اليال وتركت اهل التيه بمعزل عما انت فيه لمزيد نور يقينك الذي
عرجت به الى معارج التحقيق وسلكت به سباسب التدقيق ولا
تقف عند ما وقفت عنده ارباب القيل والقال واصحاب المناظرة والجدال
الذين افنوا بذلك نفيس اوقاتهم وضيعوا بما هنالك مزيد لذاتهم
وقفيت آثار اهل الاحوال وارباب الكمال من اكابر الرجال الذين اترعت
لهم كاسات الانس ورتعت ارواحهم في رياض القدس لعلمك باختلاف
حظ الفريقين وتباين نصيب الطائفتين فحظ اهل الحال الفوز
بالوصال ونصيب اهل القال ما قال من قال على جمر البعد يتقلبون وفي
سجين الجهالة مخلدون وانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وينبغي ان
يراد باهل القال الذين هم اباعد كل من اقتصر على المقال ولم يلتفت بالكلية
الى ما يرضي الله تعالى من الاعمال فيشمل العلماء الغير العاملين والاناس
الذين نظموا انفسهم في سلك الصوفية لمجرد انهم يحفظون شيأ من
عبارات فتوحات المكية مثلا او من ابيات المثنوي لمولانا جلال
الدين ولا يجوز ان يراد باهل القال العلماء العاملون الذين هم على ما يرضي
الله تعالى دائمون فاولئك لعمري اولياء واذا لم يكن العالم العامل
وليا فليس لله سبحانه ولي ومن احتقر اولئك الاكابر وزعم انهم اباعد
فهو لا شك كافر ومن وقف على حال الناظم لم يستبعد منه ارادة
الاطلاق ومثله اليوم كثير في متصوفة الآفاق فاعلم ذلك والله تعالى
يتولى هداك قال الناظم

نحوت بلاد الهند تكتسب العلا ... بتكميل نفس للتأله رائد
اخذت طريقة النقشبندية التي ... بدقتها تعيي الفحول الاساود
فعادت تباهي للطريق اذ غدت ... له صلة من ذا الجناب وعائد

اقول نحوت اي قصدت للطرائق وبلاد جمع بلد وهو معروف والهند
على ما في القاموس جيل معلوم وفي الصحاح اسم بلاد والاضافة ح
بيانيه والمراد بقوله تكتسب اي تجمع وتحصل فرق الراغب بين
الكسب والاكتساب بان الكسب يقال فيما اخذه المرء لنفسه
ولغيره والاكتساب لا يقال الا فيما استفدته لنفسك فكل اكتساب كسب

ولا عكس وورد الكسب في القرآن في فعل الصالحات كما في قوله تعالى او
كسبت في إيمانها خيرا وا لسيئات كما في قوله سبحانه اولئك الذين
أبسلوا بما كسبوا واما قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فذاك قد خص الكسب فيه بالصالح والاكتساب بالسيئ وقيل المراد
بالكسب فيه ما يتحراه الانسان من المكاسب الاخروية وبالاكتساب
ما يتحراه من المكاسب الدنيوية وقيل المراد بالكسب فيه ما يتعمله
الانسان من فعل خير وجلب نفع الى غيره من حيث ما يجوز وبالاكتساب
ما يحصله لنفسه من نفع يجوز تناوله فنبه سبحانه على ان ما يفعله
الانسان لغيره من نفع يوصله اليه فله الثواب به وان ما يحصله
لنفسه وان كان من حيث ما يجوز قلما ينفك من ان يكون عليه
اشارة الى ما قيل من اراد الدنيا فليوطن نفسه على المصائب وقوله
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ونحو ذلك والكسب عند الاشاعرة
مقارنة القدرة للفعل من غير تأثير لها فيه اصلا وهو معنى احدثوه
لم يأت في الكتاب ولا في السنة فتأمل وبالعلى الشرف والكمال
وبالتكميل التهذيب واصله التتميم والتأله التعبد والتنسك
وكأنه اراد بقوله رائد طالب وبقوله اخذت تلقيت واصله
تناولت والنقشبندية المنسوبة الى بهاء الدين النقشبند قدس
سره واسمه محمد ابن البخاري ولقب بنقشبند لان المشايخ الذين كانوا
قبله يجمعون الذكر الخفي مع الذكر الجهري واشتغل بالخفي على
طريق ربط نقش الذكر بلا اله الا الله في قلبه بامر له الخواجه عبد
الخالق الغجدواني شيخ مشايخه في معالم السر وقيل غير ذلك وقد ذكر
غير واحد ان القاب هذه الطريقة مختلفة متعددة باختلاف
القرون والازمان فمن حضرة الصديق رضي الله تعالى عنه الى الشيخ
طيفور بن عيسى الشهير بابي يزيد البسطامي تسمى صديقية ومنه
الى حضرة الخواجه الشيخ عبد الباقي الغجدواني تسمى طيفورية ومنه
الى حضرة امام الطريقة ذوي الفيض البخاري والنور الساري بهاء الدين
محمد الاويسي البخاري تسمى خواجكانية ومنه الى حضرة الغوث الاعظم

خواجه

خواجه عبيد الله احرار تسمى نقشبنديه وربما يقال لها نقشبنديه نسبة الى القصد الاول ومثله مشهور ومنه الى حضرة مجمع الاسرار والمعارف ومجدد الالف الثاني احمد الفاروقي السرهندى نقشبندية ولحرار ومنه الى حضرة المعلي المزكي المطهر شمس الدين حبيب الله جان جانان الحنفي الدهلوي المظهر تسمى مجددية ، ووقع الاجماع بين الاخوان على تسميتها الآن بالخالدية لاتصالها بحضرة الشيخ خالد المومى اليه لا زالت سحائب الرحمة منهلة عليه وستصل ان شاء الله تعالى بالمهدي كما اخبر بذلك كثير من اهل الكشف فتسمى مهدوية نفعنا الله تعالى ببركاتهم القدسية ونفحاتهم الزكية العلية والدقة الغموض وتعيى اى تتعب ومن عييت بالامر اذا لم تهتد لوجهه والفحول جمع فحل وهو الذكر من كل حيوان ويجمع على الفحل وفحالة وفحولة والمراد به هنا ذو القوة من الرجال والهمة من ارباب الاحوال والاساود قال في النهاية الجماعات المتفرقة يقال مرت بنا اساود من الناس واسودات كانها جمع قلة اسواد وهو الشخص لانه يرى من بعيد اسود وفي الحديث انه قال لعمر انظر الى هولاء الاساود حولك انتهى مع ادنى تغيير ولا يتوهم انه جمع اسد اذ في القاموس ان جمع اسد آساد واسود وآسد وأسد واسدان ومأسدة ولم تر فيه هذا الجمع وكذا في الصحاح ولو قال بدله السيائد جمع سيد على ما قيل لكان اولى تدبر وقوله فعادت اى صارت وتباهي اى تفاخر والصلة ما يوصل به والجناب بالفتح الفناء وما قرب من محل القوم والجمع اجنبة وقولهم جناب فلان جناب فيه مجاز كما في قوله تعالى اكرمي مثواه في قول وقوله ثم اسم السلام عليكما فليحفظ والعائد ما يعود على الشيء والمراد بالصلة والعائد اظهر من ان يذكر وحاصل معنى الابيات انك قصدت بلاد الهند لكسب الشرف والسيادة وتكميل النفس بالتنسك والعبادة لا تروم الاذلك ولا تقصد سواه من السلوك في هاتيك المسالك فاخذت الطريقة النقشبندية التي تعجز

عن ادراك غوامضها فحول التربية ولقد عادت تباهي بك كل طريقة
وتطول بتحقيقها وحقيتها على كل حقيقة كيف لا وقد نالها من ذلك
الجناب السامي والعارض الهامي الهامي صلة وعائدهما من اجل الفوائد
والعوائد فبشراك بها وبشراها وهنيئا لك بما اولاك مولاك واولاها
ولنتعرض هنا لبيان مبدأ ذهاب الشيخ الى الهند واخذه الطريقة
النقشبندية وبيان احوالها وتميزها على امثالها وان ادى ذلك
الى الاطناب وخالف ما عليه عادة الكتاب فنقول لما كمل جناب
الشيخ العلوم وتضلع من دقائق المنطوق والمفهوم لبيت روحه
دعوة ابراهيم عليه السلام فذهب حالا بماله الحلال الى بيت الله
الحرام فلما وصل الى مدينة الحبيب ومحط رحل كل كئيب جعل يفتش
عمن يصلح للارشاد ويرشد للصلاح والسداد قال الشيخ
فلقيت شخصا من اليمن اثار البركة واليمن وعليه سيما الصالحين
والعلماء العاملين فاستنصحته انتصاح الجاهل المقصر من
العالم المنتصر فنصحني بامور منها ان لا ابادر بالانكار على ما اراه
في مكة من القاطنين كان او من الزوار وان خالف ظاهر حاله
ظاهر اقوال الرسول وافعاله فلما وصلت الى مكة الشريفة والكعبة
السامية المنيفة بكرة يوم الجمعة الى الحرم لاكون ممن قدم بدنة
من النعم فجلست مستقبل الكعبة اقرأ دلائل الخيرات اذ الصلاة
على النبي يوم الجمعة من اعظم القربات فرأيت رجلا ذا لحية
بيضاء كالثغام وعليه زي العوام من الانام قد اسند الى
الشاذروان ظهره ووجه نحوي وجهه بل وفكره فحدثتني نفسي
ان هذا الرجل لا يتادب مع الكعبة ولا يراقب في ذلك ربه ولم
اظهر ذلك الظهير ولم يطلع عليه سوى اللطيف الخبير فقال
يا هذا اما علمت ان حرمة المؤمن عند الله فوق حرمة الحرم وكعبة فضله
اعلا كعبا من الكعبة واعظم فلماذا تعترض بالستند باري الكعبة
وتوجهي اليك وادبار زي عنها واقبالي عليك فهلا حفظت النصيحة
التي القاها من في المدينة لديك وتركت الاعتراض على ما وقع بين

يديه

يديك فلم اشك بانه من الاولياء والصلحاء الاخفياء فقمت اليه وقبلت
يديه وسألته ان يعفو عني ويغفر لي ما صدر مني وطلبت منه ان
يدلني على الرشد فاشار الي بانه لا يكون فتوحك هنا بل في بلاد الهند .
فايست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني الى المرام ورجعت بعد
قضاء المناسك الى الشام (قال الشيخ) رجع الى وطنه السليمانية
وثابر على تدريس العلوم النقلية والعقلية الى ان اتى شخص هندي
فاجتمع به واظهر له مزيد تشوقه وحبه ووفور رغبته بالسلوك على
يد مرشد كامل ومربي واصل فقال له ان لي شيخا كاملا عالما عاملا
عارفا بمنازل السائرين الى ملك الملوك خبيرا بدقائق الارشاد والسلوك
نقشبندي الطريقة علما في علم الحقيقة فسر معي حتى نرحل الى خدمته
في جهان اباد وقد حققت اشارة بوصول مثلك هناك الى المراد فانتقش
القول في قلبه واخذ بمجامع لبه فرحل (سنة ١٢٢٤) الى بلاد الهند من
طريق الري يطوي بايدي العيس بساط البيداء اسرع طي ومر
بمسيره على كثير من بلاد العجم وباحث فيها كثيرا من العلماء والزمهم وافحم
قال الشيخ وبعد خروجي من بلدة يقال لها لاهور وصلت الى قصبة
فيها العالم النحرير والولي الكبير اخو شيخنا في الطريقة والانابة الى
مولاه الشيخ المعمر ثناء الله النقشبندي فبت في تلك القصبة ليلة فرايت
في الواقعة انه قد جذبني من خدي باسنانه المباركة يجرني اليه وانا لا انجر
فلما اصبحت ولقيته قال لي من غير ان اقص عليه الرؤيا سر على بركة الله
تعالى الى خدمة اخينا وسيدنا الشيخ عبد الله مشيرا الى ان فتوحك
سيكون عند الشيخ المقصود وهنالك تاخذ المواثيق والعهود وتنجز الوعود
فعرفت انه قد اعمل همته القلبية ليجذبني اليه فلم يتيسر لقوة جاذبية
شيخي المحول فتوحي عليه فرحلت من تلك القصبة اقطع الانجاد والاوهاد
الى ان وصلت دار السلطنة الهندية وهي المعروفة بجهان اباد بمسير
سنة كاملة وقد ادركتني نفحاته واشاراته قبل وصولي بنحو اربعين مرحلة
وهو اخبر قبل ذلك بعض خواص اصحابه بوفودي الى اعتاب قبابه (ثم
ان الشيخ) ليلة دخوله انشأ قصيدته العربية يذكر فيها وقائع السفر

الف ومائتين اربعة وعشرين

ويتخلص بمدح شيخه قدس سره الانور ويستعطفه سائلا من الله القبول شاكراً له على الوصول ومطلعها

كملت مسافة كعبة الامال ... حمداً لمن قد من بالاكمال
واراح مركبي الطريح من السرى ... ومن اعتواد الحط والترحال
وازاح عني قيد حيث مواطن ... وعلاقة الاحباب والاموال
وتشاحن الاقران في دين العلى ... وملامة الحساد والعذال
واعاذني من فرقة افاكة ... واجارني من امة جهال
اعني روافض ادربيجان الاولى ... هم اشنع المخلوق في الافعال
ومضلها الكاشي اسماعيل اذ ... قد حار لما شب نار رجال
سحقاً له من مدع متزخرف ... بعداً له من منكر مضلال
وغلاة فرس في حديث مسند ... قد بشروا باطاعة الدجال
وشرار اهل الطوس من سموا الرضا ... ونفوسهم سموا احبة الـ
الى ان قال متخلصا
وانا لتي اعلا المآرب والمنى ... اعني وصال المرشد المفضال
من نور الافاق بعد ظلامها ... وهدى الخلائق بعد طول ضلال
بحر الهدى بدر الدجى شمس التقى ... كنز الفيوض خزانة الاحوال
كالارض حلماً والجبال تمكنا ... والشمس ضوءاً والسماء معالي
عين الشريعة معدن العرفان والا ... حسان والايقان والافضال
قطب الطريق وقدوة الاوتاد بل ... غوث الخلائق رحلة الابدال
شيخ الانام وقبلة الاسلام صد ... ر العظام ومرجع الاشكال
هاد الى الاولى بهدي مختف ... داع الى المولى بصوت عال
محبوب رب العالمين من اهتدى ... بهداه نال السبق للامثال
اخفاه رب العرش جل جلاله ... في قبة الاعزاز والاجلال
ومنها يخاطب السالك
واسكن بذا الوادي المقدس خالعاً ... نعلي هوى الكونين باستعجال
حجر مقامك بالمقام بلا صفا ... من طوف حضرة كعبة الآمال
ومنها

من شام لمعا من بروق دياره | بمشام روض الشام كيف يبالي
آنيتت من تلقاء مدين مصره | نار تهيج البال بالبلبال
فهجرت اهلي قائلا لهم امكثوا | ارجع بما يغني عن الاشغال
ونويت هجران الاحبة كلهم | وركبت متن الاجرد الصهال
فطوى منازل في مسيرة منزل | واها لجار سايح شملال

ومنها

سلب الهوى لبي فما في خاطري | غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرفي بوصاله | من لي بشكر عطية الايصال
فكما قضيت الهنا في اشهر | طلبا لبعد مسافة الاحوال
ووهبت اقواما على طي الفلا | ونزول غور وارتقاء جبال
ورزقتنا تقبيل عتبة قبلة | فاز المقبل منه بالاقبال
فارزق اله العالمين بجفته | اريا يليق بذا الجناب العالي
وامدنا بلقائه وبقائه | وعطائه ونواله المتوالي
زدنا حضورا في حضور قبابه اذ | لم الورى بجماه تحت ظلال

ومنها

زد كل يوم في فؤادي وقعه | مادمت حيا في جميع الحال
وامتن مرضيا لديه وراضيا | عنه رضي يجدي مفاز مآل
فالحمد للفتاح ابواب العطا | القادر المتقدس الفعال
ثم الصلاة على الرسول المجتبي | خير الورى والصحب بعد الآل

وهي طويلة وهذا القدر كاف وبعد وصوله تجرد عما عنده من حوائج السفر وانفقه جميعه على المستحقين ممن حضر فاخذ الطريقة النقشبندية بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها على شيخ مشايخ الديار الهنديه ووارث المعارف والاسرار المجدديه سباح بحار التوحيد سياح قفار التجريد قطب الطرائق وغوث الخلائق ومعدن الحقائق العالم الفاضل والولي الكامل العارف الاواه الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره وعمنا بره ولم تكمل سنة حتى صار العلم المفرد والمرشد الاوحد فاجازه بالارشاد وخلع عليه خلعة الخلافة التامة ۞

فى الطرائق الخمسة النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية واجازه بجميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف واحزاب واوراد وغير ذلك وسند شيخه الموحى اليه لا زالت سحب الرضوان منهلة عليه فى هذه الطريقة اشهر من ان يذكر وقد اخذت ولله الحمد .

هذه الطريقة الشريفة السامية المنيفه من جناب الشيخ قدس سره وعمت اثاره ولم يتقل بخدى العذار ولا احاط بليله البهيم بهيجى ولا استدار

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا . هـ

وهى طريقة عليه سنية سميه وقد نص كثير من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام على فضلها وشرفها وبالغوا فى مدحها ووصفها فذكر العقل الحادى عشر العلامة الشيخ احمد بن حجر فى خاتمة فتواه ان الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هى طريقة النقشبندية وقال الشيخ على القارى فى شرح حصن الحصين عند قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله تعالى له الف الف حسنه ومحى عنه الف الف سيئه ورفع له الف الف درجة ما نصه ولعل وجه هذه الفضيلة بخصوص السوق لانها محل الغفلة فالذاكر فيها كالمجاهد فى الغازين وهذا دليل لما اختار السادة النقشبنديه من اكابر الصوفيه حيث قالوا الخلوة فى الجلوه والعزلة فى الخلطة فالصوفى كائن بائن وغريب قريب وعرشى فرشى ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله تعالى ببركاتهم ومن تتبع احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف اخباره واحواله وعلم اقواله وافعاله تبين له ان هذه الطريقة هى التى اختارها صلى الله تعالى عليه وسلم بعد البعثة وحث امته على هذه الحالة وتبعه اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم دون ما ابتدعه المبتدعة ولو كان بعضها مستحسنة فى الجملة ( انتهى ) وقال بعض اكابر شراح الحكم العطائية السالكون على قسمين سالك مجذوب ومجذوب سالك فالاول يشهد الاثار اولا ثم يستدل بها على الاسماء

ويستدل

ويستدل بالاسماء على ثبوت الاوصاف وثبوت الاوصاف على وجود
الذات لانه محال ان يقوم الوصف بنفسه وهذا هو شأن العموم
واكثر ما في الكتاب والسنة يشير الى ذلك كقوله تعالى ان في خلق السموات
والارض لآية والثاني يشهد الذات اولا ويتكشف له ما يليق باستعداده
ثم يرد الى شهود الصفات ثم يرجع الى التعلق بالاسماء ثم يرد الى شهود
الآثار عكس ما كان السالك الاول عليه فنهاية السالك المجذوب
بداية المجذوب السالك لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالك المجذوب
شهود الاشياء بالله تعالى فالاول عامل لتحقيق الفناء والمحو والثاني
مسلوك بطريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك
المنازل المذكورة لزم منه التفاوت وهما في السير هذا في الترقي وهذا في التدلي
ومن هنا تعلم ان المجذوب السالك اعلى من السالك المجذوب لاشتراكهما
في العبور على المنازل وزيادة المجذوب بانه يشهد الاشياء بالله تعالى
كما لا يخفى وايضا ان السالك المجذوب ينتهي الى الفناء وهذا ينتهي الى
البقاء والصحو بعد الفناء وهذا اكمل من الاول لانه مقام الانبياء
ووارثيهم من المرشدين المكملين اذ مقام الارشاد لا يصح ولا يصلح
الا لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء فلا بد للقسم الاول من الرجوع الى هذا
المقام حتى يصح منه الارشاد وغالب طريقة السادة النقشبندية
الجذب اولا ثم السلوك وهذا يعرفه من ذاق طريقهم فاجتهد ايها
الاخ في تحصيلها تكن من الملوك (انتهى) وقال العارف المحقق
الشيخ محمد مراد الازبكي في مطلع رسالته ان الغاية القصوى من
سر الايجاد انما هو التحقق بكمال الايمان والاسلام والاحسان المعبر
عنه بحق اليقين المحقق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك .
المنعكس جماله من مجال المتحققين به اصطفاء واجتباء الى الكائنين
معهم والمرتبطين بهم حبا وصحبة واتباعا فلقد سبقت تلك الحسنى
من مجلاها الجامع للحافين به انعكاسا وانصباغا وتسلسلت
بها النقشبندية خصوصا فتبينوا لها بالعمل على السنة والعزيمة
وتطهروا لها بالاجتناب عن البدعة والرخصة ووقفوا لانعكاسها

على دوام الحضور وكمال الاتباع وغكفوا الانصباغ بها فى تشرب الانتقاء فى المجال بتمام الاقبال فتجلت لهم صباحتها وانجلت اليهم ملاحتها فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى ثم قال بعد كلام اعلم ان الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى اسرار اهلها طريق الصحابة رضى الله تعالى عنهم على اصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا وهى عبارة عن دوام العبودية ظاهرا وباطنا بكمال الالتزام بالنية والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة فى جميع الحركات والسكنات فى العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك فهى الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبا مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوى فى استفاضتها الشيوخ والصبيان وفى افاضتها الاحياء والاموات ويندرج انتهاؤها فى الابتداء وابتداؤها انتهاء غيرها لما فيها من من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه ولها اصلان اصيلان من اعطيهما اعطى كل شئ كاتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة الشيخ الكامل لكنها ليست توجد بالتكليف بل التكلف فيها زندقة بل هى من عطاء الله تعالى يمن على من يشاء من عباده فالصحبة بشروطها مع هذين الاصلين كافية للانعكاس والانصباغ (انتهى) ونقل شيخ شيخنا الشيخ عبد الله الدهلوى قدس الله تعالى سرارهما وجعل فى حضرة القدس قرارهما فى بعض رسائله الفارسية عن العالم المحدث شارح المشكوة الشيخ عبد الحق الحنفى الهندى الدهلوى القادرى ثم النقشبندى انه قال فى رسالته موصل المريد الى المراد ليس عند المنصف لكسب حالات الفناء والبقاء طريقة احسن من الطريقة النقشبندية الى غير ذلك مما لو نقلناه امل القلم واعقب السآم وبالجملة هى ام الطرائق ومعدن الحقائق امرها كبير وشانها خطير قد جرى على قبولها الوفاق واقر بفضلها علماء الآفاق فهى الطريق الاسلم الواضح والمشرب الاعذب الاصفى المصون عن قدح كل قادح

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم ورقانا الى معارج سرها المكتوم ورحم الله امرأ عرف الحق فانصف وسلك الجادة وما تعسف

قال الناظم

بنفسي سياح الاقاليم طالبا ... لمرضاة مولاه بحق مجاهد

اقول قوله بنفسي اي افدي بنفسي والسياح صيغة مبالغة من السياحة بالكسر وهي كالسيوح والسيحان والسيح الذهاب في الارض للعبادة ومنه المسيح ابن مريم وهو منصوب على انه مفعول افدي الذي تعلق به الجار ويجوز ان يكون مرفوعا على انه مبتدا والجار متعلق بمقدر كما اشرنا اليه او نحوه خبره فالكلام على قوله (بابي انت وفوك الاشنب) (كانما ذر عليه الذرنب) (والاقاليم) جمع اقليم كقنديل وهو قطعة معلومة من الارض والاقاليم على ما ذكره الاقدمون سبعة وذلك انهم قسموا الربع المعمور بسبع قطاع مستطيلة طولها من المشرق الى المغرب بفرض سبعة خطوط مستديرة او ثمانية على موازات خط الاستواء وتسمى تلك القطاع الاقاليم السبعة وكل قطعة منها اقليما وهو قطعة من بسيط الارض منحصرة بين نصفي دائرتين متوازيتين وموازيين لخط الاستواء اذ لم يكن احداهما وبين قوسين محصورتين بينهما من افق القبة طولها من المشرق الى المغرب نصف دور وعرضها شيء قليل على ما بين في محله واول كل اقليم اطول من آخره فان اطول الاقاليم يتقاصر بحسب البعد عن خط الاستواء حتى يكون طول آخر الاقليم الاخير الف وستمائة وسبعة وعشرين فرسخا بالتقريب مع ان اول الاول اربعة الاف فرسخ وابتداء الاقليم الاول منه اي من خط الاستواء والنهار هناك ابدا يب وعند الجمهور من حيث النهار الاطول من السند يب مد والعرض الشمالي يب م ووسطه اصطلاحا بالاتفاق حيث النهار الاطول يج والعرض يو كز وقد وقع في الاقليم الاول بعض بلاد البربر والسودان المغرب والنوبة والحبشة كفاية معددة

الذهب من بلاد السودان ودنقله مدينة النوبة
وجرمي دار ملك الحبشة واكثر بلاد اليمن مثل زبيد
وعدن وسحرمغا وصنعا ونسيا وظفار وقلهات
وحضرموت ومدينة الطيب ومعلا وصحا
وتصبية عمان والطرف الجنوبي من ارض الحجاز وبعض
خليج فارس وجزيرة كرك وبعض البلاد الجنوبيه من
السند والهند وسواحل البحر الجنوبي وبعض ارض الصين
وفيه من الجبال والانهار العظيمة عشرون جبلا وثلاثون
نهرا وعامة اهله السود وابتداء الاقليم الثاني
وهو لا محالة اخر الاقليم الاول حيث النهار الاطول يج يه
والعرض كز وسطه حيث النهار كدم وفيه بعض بلاد
وبعض بلاد افريقية والصعيد الاعلى وبعض بلاد
جزيرة العرب كمدينة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ومكة شرفها الله والطائف وهجر
وقطيف وبحرين وفيه هرموز من كرمان ومعظم
بلاد السند منها منصوره ومعظم بلاد الهند ومنها
دهلي وبعض بلاد الصين وفيه من الجبال سبعة
وعشرون ومن الانهار مثلها وعامة اهله بين السواد
والسمره وابتداء الثالث حيث النهار يج مه والعرض
كز ل ووسطه حيث النهار يد والعرض لم وفيه
بعض بلاد طبخة والبربر وافريقية وفيه السوس وقيروان
وطرابلس المغرب واسكندرية ومصر ودمياط ومدين
وبيت المقدس وطبرية ودمشق وكوفة ومداين وبغداد
وواسط والبصرة وعسكر واهواز واصفهان وفارس ويزد
وبرديسه مدينة كرمان واخبيص منه وسجستان وكج وبست

وزابل

وزابل ومولتان من السند وقندهار من الهند وقشمير ودار ملك اهل
الصين وفيه من الجبال ثلاث وثلاثون ومن الانهار اثنان وعشرون
وعامة اهله السمر وابتداء الرابع حيث النهار يد يه والعرض مح لز
ووسطه حيث النهار يد ل والعرض لب كب وفيه طنجة وبلاد
افرنجه وجزيرة ارودس وقبرس وانطاكيا وطرسوس وطرابلس
الشام وانطاكيه وحلب وملطيه وامد واذربيجان ونصيبين
والموصل وسر من راى وارميه ومراغه وتبريز وحلوان واردبيل
وشهرزور وزنجان ونهاوند وسلطانيه وهمذان وابهر وقزوين
والديلم وساوه والموت وقم وامل وكاشان وسارية وسمنان
ودامغان واستراباد وبسطام وجرجان واسفراين وشهرستان
وسبزوار وطوس ونيسابور وتون وزوزن وهراة وسرخس
ومرو وجوزجان وفارياب وغرجستان وغور وبلخ وترمذ وصغانيان
وبدخشان والتبت الداخل وجبال قشمير وبعض بلاد ختن وخطا
وشمال بلاد الصين وفيه خمسة وعشرون جبلا واثنا وعشرون
نهرا وعامة اهله بين السمرة والبياض وابتداء الخامس حيث
النهار يد مه والعرض لح ند ووسطه حيث النهار يه والعرض
ما يه وفيه بلاد اندلس وبعض بلاد الروم كعموريه وقونيه
واقسر وقيصريه وسينوس وارزن الروم وديار ارمنية وشروان
وخوارزم والبخاري ونسف وسمرقند وكش وشاش وحدود
طراز وخجند وفرغانه وحدود كاشغر وختن وتنكت واقصى بلاد
الترك وفيه ثلاثون جبلا وخمسة عشر نهرا وعامة اهله السمرة
والبياض وابتداء السادس حيث النهار يه يه والعرض مج كب
ووسطه حيث النهار يه ل والعرض مه كا وفيه شمال اندلس وبلاد طائفة
من افرنجه وبعض بلاد الروم مثل قسطنطينية وبلاد الروس
والصقالبه وبلاد اس والان وموقان وخزر واسقين ومعظم
تركستان والمالع وبيش بالغ وقراقوم وبعض مساكن اتراك الشرق وفيه احدى عشر
جبلا واربعون نهرا والغالب على اهله الشقرة وابتداء السابع

حيث النهاريه صه والعرض مو نيب ووسطه النهار يو والعرض مح نيب وفيه بعض بلاد الصقالبه والروس وبلغار وعنامن وجبال ياوي اليها اتراك كالوحوش وشمال بلاد يأجوج ومأجوج ونهايات مساكن اتراك الشرق ومن الجبال والانهار كما في السادس والوان اهله بين الشقره والبياض كذا ذكره العلامة الجغميني ووجه تسميتها بالاقاليم هو انها ماخوذة من القلم بمعنى القطع كأنها قطع كل منها عن الاخر وفي اختيار هذا العدد قولان احدهما انه كان ملك استولى على البلاد كلها وكان له سبعة بنين فقسمها عليهم على هذا الوجه وقيل قسم على الكواكب السبعة ونسب كل قسم منها الى كوكب وهذا انسب اذ في كل قسم منسوب الى كوكب يوجد في اخلاق الانسان وصفه وغير ذلك ما يناسب ذلك الكوكب ذكر ذلك البرجندي والبحث عما اشتملت عليه هذه الاقاليم طويل لا يسع هذا المقام ذكره من اراد ذلك فليرجع الى نزهة المشتاق او معجم البلدان وفيه العجب العجاب لكني اقول قد يطلقون الاقليم على قطعة كبيرة من الارض مشتملة على بلاد وانهر كالعراق والحجاز والشام واليمن الى غير ذلك ويسمى بالاقليم العرفي والاقاليم العرفية كثيرة والمشهور اليوم تقسيم المعمور اعني الارض القارة الى خمس قطع وهي اوروبا وفيها اسلامبول واسيا وفيها بغداد وافريقيه وفيها مصر والارقيانوسيه وهي الجزائر الجنوبية ومنها جزيرة جاوه وامريقا وهي التي تسمى بالتركية يني دنيا اي دنيا جديدة وهذه القطعة مضت عليها مدة طويلة وهي كسكنة غيرها من القطع مجهولة لكن قيل ان في كتب بعض الاقدمين اشارة اليها ففي كتاب دربلو المسمى خزانة الكتب الشرقية ما نصه جزيرة خشك معناها الجزيرة اليابسة او الجزيرة الارضية او الارض او البرور تسمى خشكا اي يابسة عند المشارقة تبعا للعبرانيين وهذه الجزيرة التي يمكن اعتبارها ارضا قارة موضوعة على قول الجغرافيين من الاسلام وراء جبل قاف وهي ارض منفصلة عن ارضنا الى ان قال وسماها افلاطون جزيرة الاطلنتيد وقال

هي وراء جبل الطلس يعني به جبل الدرن المسمى عند المشارقة جبل
قاف انتهى باختصار وهل كان لها اتصال بهذه الارض ثم قطعه
البحر او لم يكن قيل كل محتمل وعلى القول بعدم الاتصال يحتمل انه كان
يذهب اليها من قديم بالسفن ثم هجرت لما في ذلك من المخاطرة واقتحام
الشدائد حيث لم تكن السفن اذ ذاك مثلها اليوم ولم تكن اند لالة
في البحر اذ ذاك ايضا مثلها اليوم وقال ملطبرون بعد كلام طويل
لا مانع ان يقال ان امريقا في اداب اهلها ولغاتهم ما يفهم ان بها
اثر تواصل قديم مع بلاد اسيا لكن قيل ظهور الاديان الموجودة
الآن عند اهل اسيا والا لانتقل شي منها اليها انتهى واول
من كشفها شخص يقال له كرستف كلمب وهو جنويزي كان في خدمة
ملك اسبانيا وذلك انه لما كثر سفر اهل البرتوغال في البحر وكشفوا
بعض جزائر مجهولة رغب كلمب في نحو ما رغبوا وبمجرد امعانه
النظر في صورة الارض القديمة وانها نصف كرة جزم بانه
لا بد من وجود النصف الآخر وهو باقي الكرة فطلب من يوحنا
الثاني ملك البرتوغال ان يرسله للكشف فابى فذهب الى ديوان
اسبانيا فطلب ذلك من الملكة ايزابيلة فاعطته ثلث
سفن فسار ورسى على الجزائر الخالدات ثم رحل منها فسار ثلاثين
يوما فوصل الى جزيرة غونهاني وهي احدى جزائر امريقا وكان
ذلك لثماني عشرة من ذي الحجة سنة ثمانمائة وسبعة
وتسعين هجريه وقبل ان يصل ضجر من معه حتى انهم ارادوا
ان يرموا به في البحر ولما وصل حيوه بتحية امير البحر ونائب الملك
ولما راى اهل غونهاني السفن رعبوا وهربوا الى الجبال ولم
يتخلف منهم الا امراة فتلطف بها كلمب فاعطاها خبزا ونبيذا
وبعضا من لذائذ الطعام فانست ثم آنس بها المستوحشين
فاستأذن من رئيسهم في بناء حصن فاذن له فبناه من خشب
وسمى جزيرة اسبنيوله واسكن في الحصن ثمانية وثلاثين
شخصا ممن معه ثم انه ركب وكشف مقدارا من الجزائر

وحمل معه منها مقدارا من الذهب والحيوانات الغريبة ورجع قاصدا اوروبا من جهة الشمال الشرقي وبعد قطع نحو خمسمائة فرسخ من المحيط عصفت الرياح وتحقق الغرق فاخذ رقا وكتب قصته وجعله في مشمع وجعل المشمع في قرص من الشمع ووضعه في برميل واحكم سده والقاه في البحر رجاء ان يقع في يد انسان فيقف عليه من ينتفع به فبعد ان صنع ما صنع سكنت الرياح واستقر البحر فسار حتى وصل بلدة اشبونه دار سلطنة البرتوغال فاقام خمسة ايام ثم سار حتى رسى على اسپانيه وايابه سبعة اشهر واحدى عشر يوما فلما رآه اهل اسپانيا ووقفوا على امره عظموه وادخلوه البلد بموكب عظيم وكانت الملكة ازابيلة مع زوجها الملك فردنند في بلدة برسلونه فاخبرهما بقدومه في كتاب ارسله اليهما فاستدعياه وادخلاه بموكب عظيم ايضا واجلساه على كرسي وقاما له فقص عليهما قصة غير مفتخر ولا متبجح فتعجبا من عقله وشجاعته ثم انهما جهزا له سبع عشرة سفينة والفا وخمسمائة نفس منهم بعض اعيان الدولة واعطوه سائر ما يحتاج اليه في امر العمارة فسار حتى رسى على الجزيرة السابقة فراى من تركهم من اصحابه قد هلكوا فاستفسر عن سبب هلاكهم فاخبره اخو شيخ الجزيرة بانهم افسدوا وبغوا ونهبوا النساء وفسقوا بهن فاجتمع عليهم اهل الجزيرة فوضع شيخ اهل الجزيرة النار في الحصن فكان ما كان فاراد من معه ان ياخذوا ثار اصحابهم فاحجم كلمب لان ذلك خلاف المصلحة واختار محلا اخر غير تلك الجزيرة فاختط فيه مدينة وسماها ازابيلة باسم الملكة فبناها وحصنها لكن على غاية التعب ثم انه جعل يطوف في البلاد ويظهر انواع الزينة العسكرية من نشر الرايات وضرب الموسيقى واللعب على الخيل فوقع في قلوب اهل امريقا الرعب من ذلك وعظمت هيبته عندهم وكانوا يظنون ان الفارس وفرسه حيوان واحد ناطق فيتعجبون من ذلك غاية العجب وذهب

الى اهل سيبا وقرأى فيها الذهب يتدحرج في الغدران والجداول
ومعه ما هو كالحصى الكبار فبنا هناك قلعة صغيرة وسماها سنت توما
ثم ان الناس جعلوا يتسافرون للكشف من عند انفسهم وباموالهم
فسافر لذلك الوزير باربع سفن من غير الطريق الذي سافر فيه
كلمب فكشف عدة اماكن وكان ممن صحبه شخص يقال له امريق
من اعيان افلورنسه وكان عالما بالامور البحرية ذكيا نطوقا
قادرا على حسن التعبير فالف رحلة شافية لغليل المتطلعين
لمعرفة العجائب ذكر فيها من احوال هذه الارض ما يغير وجوه الغرائب
فاستحسنها الناس وانستهم غاية الاستيناس حتى انستهم
الكاشف الاول فجعلوا يسمون تلك الارض امريقا وكان ذلك
من باب الصب للنورة والعمل للزريخ وكان كلمب في اول الامر يعبرها
قسما من اقليم اسيا داخلة في اسم الهند لما بينها وبين الهند من
المناسبة فيما يتولد فيها من المعادن ووافقه على ذلك كثير من
الناس فاطلقوا عليها اسم الهند الغربي وسموا اهلها هنودا
وهنديين وبعد ان ظهر انها ليست من الهند في شيء لم يجز ذلك
الاطلاق ولم تترك تلك التسمية فكم من غلط شاع ولم يتدارك امره ولم
يترك في الافاق ذكره ثم انها صارت بين الافرنج على التوزيع ثم
استقل امرها بين اهلها ولم يبق متوحش الا اقل قليل واولئك
المتوحشون عبدة اوثان وغيرهم نصارى وقد حدثني بعض
الاخوان انه سمع من حضرة مولانا الشيخ قدس سره انه قال
استأذنت في الذهاب الى بني دنيا للارشاد فلم يؤذن لي

وكم لله من سر خفي يدق خفاه عن فهم الذكي

واهلها اصحاب بنية حسنة الخلقة تامة الصناعة وقد
اختلطوا بالافرنج غاية الاختلاط وتناكحوا فلا تكاد ترى من اهلها
الاصليين غير اولئك المتوحشين وبلادها منها جنوبية ومنها
شمالية وذكر ان منها ما لم يكشف الى الان ومنها انهار كبار عذبة وفيها من
العجائب ما فيها وحدود كل قطعة من هذه القطع الخمس مذكورة

فى كتب الجغرافيا فلا حاجة الى اطالة الكلام بذكرها وانما اطلت الكلام فى امرام بقيا لكثرة سؤال الناس عنه والمرضات بمصدر رضى وكذا الرضى والرضوان ويضمان وهو ضد السخط واللام الجارة للتقوية لان طالبا يتعدى بنفسه فهو على حد فعال لما يريد والمولى تقدم معناه والحق ضد الباطل كما ان الصدق ضد الكذب وفسر غير واحد الحق والصدق بمطابقة النسبة للواقع والباطل والكذب بعدم مطابقتها له الا انه شاع الحق والباطل فى الاعتقاد والصدق والكذب فى الخبر واعتبر بعضهم فى الصدق المطابقة من جهة النسبة وفى الحق من جهة الواقع وقد يفسر الحق ههنا بالجزم ويجاهد من المجاهدة وهى بذل الوسع (وحاصل المعنى) افدى بنفسى من دابه السياحة فى الارض طولها والعرض طالبا بذلك رضاء مولاه الذى خلقه وسواه يجاهد بهمة وحزم وصدق نية وعزم لتهذيب نفسه وتمهيد رمسه وفى هذا اشارة الى وجوب تخلية النفس من المهلكات وتحليتها بالمنجيات ولو احتاج ذلك الى الاسفار وتجشم مشاق البرارى والقفار وقد ذكروا ان ذلك فرض عين على كل من لم يرزق قلبا سليما بالجذب الالهى والعلم اللدنى وممن صرح بذلك ابن الهمام وخير الدين الرملى والحموى محشى الاشباه وامثالهم من الحنفية والعز بن عبد السلام والامام الغزالى وتاج الدين السبكى والسيوطى وشيخ الاسلام القاضى زكريا الانصارى والعلامة ابن حجر واخرابهم من الشافعية والعارف ابن ابى جمرة وناصر الدين اللقانى والمحقق احمد زورق البرلسى وغيرهم من المالكية والشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره وشيخ الاسلام الشيخ عبد الله الانصارى الهروى والشيخ ابن النجار الفتوحى ونحوهم من الحنابلة قال العلامة ابن حجر فى التحفة فى كتاب السير ويجب على من لم يرزق قلبا سليما ان يتعلم ادوية امراض القلب من كبر وعجب ورياء ونحوها لكن كفاية تعلم علم الطب وقال الخطيب الشربينى فى شرح الغاية وتنقسم

الطهارة الى واجب ومسنون ثم الواجب ينقسم الى واجب بدنى
وقلبى فالقلبى كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالى رحمه
الله تعالى معرفة حدودها واسبابها وطبها وعلاجها فرض
انتهى ويسمى ذلك علم القلب والعلم الباطن قال علاء الدين
الحصكفى الحنفى فى الدر المختار واعلم ان تعلم العلم يكون فرض عين
وفرض كفاية ومندوبا وهو التبحر فى علوم الفقه وعلم القلب قيل اى
التبحر فى علم القلب كما يستفاد من ظ العطف واما اصل علم
القلب فهو فرض عين ولولا خوف الاطناب لاوردنا كثيرا من
النصوص على ذلك وفيما ذكرناه كفاية للمسترشد فاذا علمت
ذلك فاعلم انه قد جرت العادة وجربت بان التطهر من النجاسات
المعنوية من الاخلاق الردية لا يتيسر فى الغالب لاكثر الا
بالسلوك على يد شيخ عالم عامل عارف كامل خبير بالعلاج سالك
فى ذلك المنهاج ومطالعة الكتب لا تنفع المعلولين ولا تجدى
نفعا لهؤلاء المبتلين من غير سلوك على يد شيخ يخرجه من رعونات
النفس الامارة الخاسرة الغدارة ويطهره من اخلاقها الردية
ودسائسها الخفية كما نشاهد ذلك فى كثير من المتفقهة المبتلين
بذلك والتجريبات تلحق بالمغيبات فما لا يتم الواجب الا به واجب
قال الامام الشعرانى فى كتابه مشارق الانوار القدسية
فى العهود المحمدية وقد اجمع اهل الطريق على وجوب اتخاذ الانسان
له شيخا يرشده الى زوال تلك الصفات التى تمنعه من دخول
حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب ولاشك ان علاج امراض الباطن من حب
الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد والحقد والغل والنفاق
كله واجب كما تشهد له الاحاديث الواردة فى تحريم هذه الامور
والتوعد بالعقاب عليها فعلم ان كل من لم يتخذ له شيخا يرشده
الى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يهتدى لطريق العلاج بغير

شيخ ولو حفظ الف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتابا في الطب
ولا يعرف تنزل الدوآء على الدآء فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب
يقول انه طبيب عظيم ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية
ازالته قال انه جاهل فاتخذ لك يا اخي شيخا واقبل نصحي واياك
ان تقول طريق الصوفية لم يات بها كتاب ولا سنة فانه كفر
فانها كلها اخلاق محمدية سداها ولحمتها منها انتهى وقال في الاجوبة
المرضية كان الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يقول
عبد الله يا ولدي عليك بالحديث واياك ومجالسة هؤلآء الذين
سموا انفسهم صوفية فانهم ربما كان احدهم جاهلا باحكام دينه
فلما صحب ابا حمزة البغدادي وعرف احوال القوم كان يقول لولده
عليك بمجالسة هؤلآء القوم فانهم زادوا علينا بكثرة العمل
والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة ثم قال لا يقال لو كان
علاج هذه الامراض الباطنة واجبا لوضع الائمة من الصحابة
والتابعين والمجتهدين في ذلك كتابا مثل ذلك لانا نقول ان هذه
الامراض التي حدثت فينا لم تكن في اهل عصرهم ولو كانت لاستنبط
المجتهدون في ذلك ادوية وكتبا وخلصوا الناس من الرياء وامثاله
كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه بل ذلك كان اولى لما هم عليه من
كثرة الخشية والخوف من الله تعالى ومراعاتهم الانفاس مع الله
تعالى ولا يقول عاقل قط ان احدا من الائمة يرى في احد كبرا او عجبا او رياء
او حسدا ويقره عليه ابدا بل كان يستنبط له الدوآء من الكتاب
والسنة ليخرجه من اثم تلك الكبائر فقد بان لك انه يجب على من غلب
عليه مرض من الامراض الباطنة من عجب او كبر او رياء او غير ذلك
ان يطلب له شيخا يخرجه من تلك الورطة وان لم يجده في بلده
او اقليمه وجب عليه السفر اليه وان من رزقه الله سلامة
الباطن من الامراض كالائمة المجتهدين وكل اتباعهم لا يحتاج الى
شيخ لان هذا قد عمل بما علم على وجه الاخلاص وذلك هو حقيقة
التصوف قال الامين الامام القشيري واول ما حدث ظهور هذه

الامراض

ربما + يقال ان هذه الامراض من ذلك وفي الشيء لاحتمالها

الامراض الباطنة او اخر المائة الثالثة من الهجرة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فمن شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالخيرية فقد حاز رتبة الكمال انتهى ملخصا وللعلماء الكرام كلام طويل فى هذا المقام من اراده فليرجع اليه فى محله قال الناظم

وما عام فى بحر السلوك موحد كما عمت فيه واعترتك الشدائد

اقول عام من العوم وهو السباحة على ما فى الصحاح (والبحر) خلاف البر قيل سمى به لعمقه واتساعه والجمع بحر وبحار وبحور وكل نهر عظيم بحر قال عدى

سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير

يعنى الفرات (والسلوك) الدخول فى الحضرة القدسية او العمل للدخول (والموحد) من التوحيد وهو ظهور فناء الخلق بتشعشع انوار الحق وله مراتب الاولى التوحيد النظرى ان علم بالاستدلال والتقليدى ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق وسلم القلب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية وبه تحقن الدماء والاموال ويتخلص من الشرك الجلى فى الاحوال (الثانية) التوحيد العملى وهو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته وخلاصه من سجن ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار حيران فى قضاء انوار عظمة الجبار ولهانا تحت مسطوات سبحات الانوار فيعرف ان الموجود الحقيقى وان المؤثر المطلق هو الله تعالى وان كل ذات فرع من نور ذاته وكل صفة من علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من آثار افعاله ومنشأه نور المراقبة وهو دون المرتبة الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وعند ذلك ينفى من الظلمة الوجودية ويرتفع بعض من الشرك الخفى (الثالث) التوحيد الحالى وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد تتلاشى ظلمات رسوم وجود الغير

الا قليلا في غلبة اشراق نور التوحيد واستتار نور حاله في نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب في نور الشمس

فلما استبان الصبح ادرج ضوءه    باسفاره اضواء نور الكواكب

واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عنده شهوده الا ذات الواحد ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك (قال الجنيد) قدس سره التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل وقال ابن عطاء التوحيد نسيان التوحيد في مشاهدة جمال الواحد حين قيامك بالواحد لا بالتوحيد (الرابعة) التوحيد الالهي وهو ان الله كان في الازل موصوفا بالوحدانية في الذات والاحدية في الصفات كان الله ولم يكن معه شيء وهو الآن على ما عليه كان كل شيء هالك الا وجهه ولم يقل يهلك لانه غيرة لم تدع لغيره وجودا وللعارف الانصاري قدس سره

ما وحد الواحد من واحد    اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته    عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده    ونعت من ينعته لاحد

وفي التوحيد كلام كثير لا يتسع المقام لذكره وما ذكرناه زبدة ما ذكروه فليحفظ وقوله (واعترتك) اي غشيتك وكذا اعترتك (والشدائد) الامور الشديدة وفي عطف اعترتك على عمت ما يظهر بالتامل ويمكن ان يقال لا عطف وانما الواو للحال والجملة حالية بتقدير قد او بدونها فتدبر (وحاصل المعنى) انك ايها الاوحد والعلم المفرد ما عام في بحر السلوك مثل عومك ولا سرى فيهم في حضرة القدس مثل فهمك انت الذي نلت الغاية ووصلت النهاية فلا احد يجاريك وما واحد يدانيك اذ انت في مكان رفيع وهيهات ان يدرك الضالع شاوي الضليع وكم اعترتك الشدائد التي تعتري السالكين في السير والسلوك الى رب العالمين فلم تعقك عن المسير وتصدك عن اللطيف الخبير فقدس الله تعالى ثراك وجعل في اعلى الفردوس مثواك

قال الناظم

وخصت

وخضت باصناف العلوم مكملا . منهالك ولم يردعك عرد الحائد
ولم ترض في علم التقشف راغبا . بجوهر علم منه تبدو الفرائد

(اقول خضت) ماضي اخوض الماء خوضا وخياضا (والاصناف) جمع صنف وهو النوع والضرب والصنف بالفتح لغة فيه واهل الميزان يفرقون بين الاصناف والانواع بان الانواع ما تخالفت افرادها بالذاتيات كالانسان والفرس والاصناف ما تخالفت افرادها بالعرضيات كالجاهل والعالم (والعلوم) جمع علم والمراد به المسائل الباحثة عن العوارض الذاتية لشيء واحد وحدة حقيقية او اعتبارية سواء كانت باعتبار امر ذاتي او عرضي والعلوم المتعددة او كثيرة ومنها ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ومنها ما هو حرام كما بين ذلك في محله وذكره العلائي في دره وغيره في غيره والعلوم مطلقا كثيرة لا تكاد تحصى وقد ذكر نبذة منها مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الاجوبة المرضية (والنهى) العقل سمي بذلك لانه ينهى عن القبيح وهو نور روحاني خلقه الله تعالى للعبد يدرك به الاشياء كلها جزئيها ضروريها ونظريها وموضعه القلب الظاهر قوله تعالى اولم يكن لهم قلوب يعقلون بها وقيل الدماغ بدليل انه اذا ضرب على ام راسه ضربة مؤلمة ذهب عقله (وقيل) في القلب وشعاعه بالدماغ والعقل الى هذا اميل وسياتي ان شاء الله بعض الكلام عليه (ويردعك) من ردعته عن الشيء اردعه ردعا فارتدع اي كففته فكف (عرذالك) اي عن الخوض او العوم (والحائد) من حاد عن الشيء يحيد حودا وحيدة ما ل عنه وعدل واصل حيدة حيدة بتحريك الياء فسكنت لانه ليس في الكلام فعول غير صعفوق قاله في الصحاح واراد بعلم التقشف علوم الرسوم مما ليس فيه جدوى وكانه ماخوذ من قشف الرجل قشفا اذا لوحته الشمس او الفقر فتغير اي العلم المتغير المختلف وقيل غير ذلك (وراغبا) من رغبت بالشيء اذا اردته رغبة ورغبا بالتحريك (والفرائد)

كبار الدرر وكانه انما سميت بذلك لانها تفرد في ظرف على حدة وفي
البيت الاول اشارة الى ان حضرة الشيخ قد تضلع من العلوم وحصل
المنطوق منها والمفهوم وهو كما اشار وبيان ذلك ان الشيخ قدس
سره ولد سنة الف ومائة وتسعين تقريبا بقصبة قره داغ من
اكبر سناجق بابان وهي عن السليمانية نحو خمسة اميال ونشا
فيها وقرا ببعض مدارسها القران والمحرر للامام الرافعي من فقه الشافعية
ومتن الزنجاني من الصرف وشيئا من النحو وبرع في النثر والنظم قبل بلوغ
الحلم ثم رحل لطلب العلم الى نواحي الشاسعة وقرا فيها كثيرا من العلوم
النافعة ورجع الى نواحي وطنه فقرا فيها على العالم العامل والفاضل
الكامل السيد الهندي السيد عبد الكريم البرزنجي وعلى العالم الصالح
الملا صالح وعلى الكوكب السياري الملا ابراهيم البياري اخو الشيخ
عبد الكريم وعلى الفاضل الشيخ عبد الله الخرپاني ثم رحل الى نواحي
كوي وحرير وقرا شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على العالم
النحرير الملا عبد الرحيم الزياري المعروف بملا زاده وقرا هنالك على غيره
ايضا ورجع الى السليمانيه فقرا فيها وفي نواحيها الشمسية والمطول
والحكمة والكلام وغير ذلك وقدم بغداد وقرا فيها مختصر المنتهى
في الاصول ورجع الى محله المأهول وراوده بعض الامراء على التدريس
فابى ورحل الى سنه ح ونواحيها وقرا فيها العلوم الحسابية والهندسة
والاسطرلابية والفلكية على الفاضل الشيخ محمد قسيم السنندجي
وكمل عليه المادة على العادة فرجع الى وطنه وقد فاق ابناء زمنه
ما سئل عن عويصة الا وحلها ولا عن مشكلة الا وازال اشكالها وله
الصيت العظيم في العلوم المنقول منها والمفهوم وقد مدحه علماء
عصره بذلك واقروا بفضله ولم ينكروا ما هنالك فمن جملتهم العالم
الاوحد الشيخ عثمان بن سند نزيل البصرة فقد مدحه نثرا ونظما
فمن ذلك (قوله) فيما القد اوضح منهاج الفوائد وشرح الصدور
بمصابيح الامثال والشواهد واطلع في ارجاء الافهام شموس الفرائد
وعني بايضاح تحقيقات وايضاح مشكلات تدقيقات وجلا

عرائس افكار وجنة غرائس انظار وزخن الى مضمار فلم يشق له غبار فهو الحقيق ان ينشد فيه اديب لم يزل يعانى قوافيه شعرا

يا ذى بنان للعلوم يشير فتح ما سقاه من هذا لضمير
احبابنا ماذا التقاعد عن فتى ذكاه يا كسير العلوم يسير
الا فاوطوا الموج المراقيل لاجتلا دقائق عن نهج الرشاد تنير
وارتاع اذواد الفهوم بمرتع به روض احيا العلوم نضير
هو الروض رواه سحائب فكرة لقطب محل البحث حيث يشير
وكم منهل صفاه عن كل ما قذى ذكاء على حل العويص قدير

(ثم) قال ان كان الغزالى يفتخر فى الاحياء فانه فى منهاجه المنير يحيى وان افتخر ابن المقرى بعنوان الشرف او بروض منه ازهار تقتطف فلهذا الامام من الدرر ما ضاهاه الدره فى الصدف ومن الغرر ما هو البدور بلا سدف ثم انشد

ان كنت مكذبا ما اقول بقدره فاسئل ماثره التى لا تحصر
ومباحثا فهمته كشف النقاب لها فابدت عن صحاح الجوهر
شكر النوى والنقى ذكائه فى مبحث لولاه لم يتنور
عز رادها فى وجوه مباحث كالشمس لولا فكره لم تسفر
علما الى عمل اضاف فقل به ما شئت من مدح ولا تستكثر
اسدى بفطنته علوما ما جرت الا جرت بجواهر فى دفتر
شتان ما مد الخضم ومده ما جاء فضلا كما لم يجدر
فلكم ارانا من جواهر فقهه ما كان حلية كل لفظ مفخر
كم حار ارباب النهى فى مشكل فابانه منه ذكا حيدرى

الى اخر ما قال وهى قصيدة طويلة وكم له ولغيره فى حضرة الشيخ من قصيد يبيد لكثرته المداد ولا يبيد وفيما ذكرنا وما نذكره كفاية والله تعالى ولى الهدايه (وفى البيت الثانى) اشارة الى ان حضرة الشيخ جاهد نفسه فيحصل له العلم الذى ما دنسته يد الافكار ولا اختلفت فيه بصائر ذوى الابصار مما يمنحه الله تعالى لاحبائه وافراد من خليقته واوليائه وكثر من العلماء بعد تضلعهم من العلوم وارتوائهم

من صبا المنطوق والمفهوم تجردوا لتحصيل العلوم اللدنيه والرى من صهباء المعارف القدسيه كما نقل عن بعض العلماء انه قال رأيت الغزالى فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام أليس تدريس ببغداد افضل من هذا فنظر الى شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وضحت شمس اصول الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزلى … وعدت الى مصحوب اول منزل
ونادتنى الاشواق مهلا فهذه … منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم اجد … لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (وحاصل معنى البيتين ظاهر فليفهم)

(قال الناظم)

وما ظاهر يختاره ذو فطانة … على باطن الا جهول معاند
وما القشر مثل اللب يدرك كنهه … اخو اللب لا من حظه متقاعد

(اقول اراد بالظاهر) العلم الظاهر وهو ما بايدى الفقهاء ونحوهم على ما يدعيه البعض (ويختاره) اى يفضله (والفطانة) بالفتح الحذاقة من فطن كفرح ونصر وكرم فطنا مثلثة وبالتحريك وبضمتين وفطونة وفطانية مفتوحتين فهو فاطن وفطون وفطين وفطن كندس وفطن كعدل لجمعه فطن بالضم وهى فطنه وفاطنه فى الكلام اوجعه والتفطين التفهيم قاله فى القاموس وفسر فيه الذكاء بسرعة الفطنة وقال العلامة السالكوتى الذكاء بالنسبة الى اكتساب الاراء والافكار والفطنة بالقياس الى فهم كلام الغير فهما متباينان وليس بينهما عموم وخصوص كما قيل واراد (بالباطن) العلم الباطن وهو ما فى قلوب ارباب القلوب على ما هو الشايع ومثل له شارح المحرر بقوله كالعلم بامراض القلب من الحسد والحقد والبخل وما يتولد منها والعلم بحدودها وعلاجها والعلم بتحصيل اضدادها من الرضاء بالقضاء والقناعة وتحقير النفس والاخلاص والتواضع والصفا ونحوها واراد (بالقشر) علم الظاهر (وباللب) علم الباطن كما يفهمه السوق وقال بعضهم القشر كل علم يصون فساد

عين المحقق لما يتجلى له الحق بالتجليات المتعالية المزدحمة وذلك قبل رسوخه في الاعتدال وهذا العلم المسمى بالقشر هو علم الطريقة ومعرفة مواقع الزيغ والفساد وسمي بالقشر لانه صاين للسنة واللب ما صين من العلوم اللدنية عن القلوب المتعلقة بالكون ولب اللب مادة النور الالهي انتهى (ويدرك) يفهم (والكنه) الحقيقة (وذو اللب) صاحبه (واللب) العقل والجمع الباب والب والبب ولم يفرد في القرآن العظيم بهذا اللفظ وافرد بلفظ الحجى (والحظ) قال في القاموس النصيب والجد او خاص بالنصيب من الخير او الفضل جمعه احظ . واحاظ وحظاظ وحظاء بكسرهما وحظ وحظوظ وحظوظة . بضمتين ورجل حظ وحظيظ وحظي ومحظوظ مجدود وقد حظظت بالكسر في الامر حظا والحظظ بضمتين وكصرد ضمغ كالصبر واحظ صار ذا حظ انتهى (والمتقاعد) الغير الناهض (وحاصل معنى البيت) انه فرق باين بين علمي الظاهر والباطن ومن له فكر يميز بين اللب والقشر وشتان بين ما يوخذ من ميت عن ميت وما يوخذ من الحي الذي لا يموت فهل يقاس الدر بالحصا والسيف بالعصا والسهى بشمس الضحى ولا يعرف حقيقة ذلك الا ذو فكر نقاد وعقل وقاد . لا من مال الى سجين الهوى وجال على شفا جرف الجبال فهوى وتقاعد حظه عن اللحاق بارباب النفوس القدسية والهمم العلية والعلوم اللدنية ولم ينهض للتشبث باذيالهم والاسترشاد باحوالهم فاختار فيه المختار وظن انه الواصل والمريد وانه هو المختار فهو المجهول المعاند والمحروم المتقاعد هذا ما اظن ان الناظم اراده بل يتعين بمقتضى اطلاعنا ان هذا مراده الذي انتم به فواده وفي كلامه هذا نوع اشارة الى ان عندنا باطنا وظاهرا وانه فرق بينهما وهو بحث يحتاج الى بسط الكلام وارخاء اعنة الاقلام ليكشف اللثام ويتضح المرام (فنقول) قد اثبت علم الباطن كثير من العلماء قال الامام الغزالي في الاحياء ان علم الآخرة قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة اما علم المكاشفة فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم

قال وهو علم الصديقين والمقربين فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهره وتزكيه من الصفات المذمومة ينكشف في ذلك ما كان يسمع من قبل اسمائها ويتوهم لنا معان مجملة غير متضحة اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقة بذاته تعالى او بصفاته التامة او بافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة انتهى وقال العلامة محمد شيخ الاسلام الحنفي في جواهر الفقه واما علم القلب فهو علم ذوقي ووجداني لا يصنع تحت لسنة الاقلام ولا تحيط به الدفاتر والاوهام وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر والشرف للشجرة ولكن لا انتفاع الا بالثمر انتهى وكثير من القوم من يعبر عن العلم الباطن بالعلم اللدني المسمى بعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الاسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة وعلم الحقيقة وقد قسم العارف ابن عربي العلوم ثلاثة مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة او عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل (الثاني) علم الاحوال ولا سبيل له الا بالذوق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا اقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه علوم لا يعلمها الا من اتصف بها وذاقها (الثالث) علم الاسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس اصحاب تلك العلوم كذلك انتهى لكن وقع من بعض القوم نفي علم الباطن قال الامام العارف الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو العمدة في امثال هذه المقامات في كتابه المسمى بالدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة ما نصه واما زبدة علم التصوف الذي وضع القوم فيه رسائلهم فهو نتيجة العمل بالكتاب والسنة فمن عمل بما علم تكلم كما تكلموا وصار جميع ما قالوه بعض ما عنده لانه كلما ترقى العبد في باب الادب مع الله تعالى دق كلامه على الافهام

حتى قال بعضهم لشيخه انكلام لحى تقلات يدق على فهمي فقال لان لك قميصين وله قميص واحد فهو اعلى مرتبة منك وهذا هو الذى دعى الفقهاء ونحوهم من اهل الحجاب الى تسميتهم علم الصوفية بعلم الباطن وليس ذلك بباطن اذ الباطن انما هو علم الله تعالى وأما جميع ما علمه الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من علم الظاهر لانه ظهر للخلق فاعلم ذلك (انتهى) وبهذا القول اقول لانه مما تستحسنه المعقول ويشهد له المعقول والمنقول وعليه فيقال تسميته بعلم الباطن مجرد اصطلاح لانه باطن بالنسبة الى كثير من الناس والعلم الواحد قد يكون ظاهرا عند قوم باطنا عند آخرين كعلم النحو مثلا فانه علم ظاهر لدى اربابه غير ظاهر عند من لم يعلمه بل هكذا سائر العلوم لكن لما كان علم القوم خفيا على الاكثر كان احرى بهذا الاسم من غيره اذا تحققت ما ذكرناه فاعلم انه ما يسمى بالعلم الباطن عند البعض لا يخالف العلم الظاهر فلا يحلل ما يحرمه ولا يحرم ما يحلله كما يزعمه كثير من الجهلة ولا حجة لهم بقصة الخضر عليه السلام اما على قول الاكثرين من انه نبي فيقال ان الله تعالى قد اوحى اليه بذلك ويؤيده وما فعلته عن امري اي عن امر الله واما على القول بانه ولي وانه فعل ذلك بطريق الالهام فيمكن ان يكون الالهام حجة في زمنه واما في زماننا فالالهام ليس بحجة اما ان وافق فالحجة فيما لا فيه واما ان خالفهما فظن انه ليس بالهام لان ملك الالهام لا يخالف ما اتى به الشرع قال الامام الشعراني في كتابه المسمى بالجواهر والدرر وقد رايت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه اعلم انا لا نعني بملك الالهام حيث اطلقناه الا الدقائق الممتدة من الارواح الملكية لا نفس الملائكة فان الملك لا ينزل بوحي على غير قلب نبي اصلا ولا يامر الهي جديد فان الشرع قد تم وتبين الفرض والواجب وغيرهما فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي لاحد يامره تعالى يامر يكون شرعا مستقلا يتعبد به ابدا الا انه اذا امره بفرض كان الشارع قد امر به وان

امر بمباح فلا يخلوا اما ان يكون ذلك المباح المأمور به صار واجبا او مندوبا في حقه فهذا عين نسخ الشرع الذي هو عليه حيث صير المباح الشرعي واجبا او مندوبا وان ابقاه مباحا كما كان فاي فائدة للامر الذي جاء به ملك الالهام لهذا المدعي فان قال لم يجئني ملك الالهام بذلك وانما امرني الله تعالى من غير واسطة قلنا لا يصدق في مثل ذلك وهو تلبيس من النفس فان ادعى ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فلا قائل به ثم انه تعالى لو كلمه ما كان يلقي اليه في كلامه الا علوما واخبارا لا احكاما وشرعا ولا امرا اصلا انتهى (ثم) لو فرضنا ان الالهام في زمنه غير حجة ايضا فالانبياء في زمنه موجودون فلعل الاذن في ذلك جاء اليه على يد احدهم وممن صرح بانه لا مخالفة بين العلمين حجة الاسلام الغزالي قال في الاحياء من قال ان الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان (انتهى) وقال السري السقطي الصوفي اسم لمن فيه ثلث معان وهو ان التصوف اسم لثلاثة معان وهو لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بسر باطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله وقال ايضا من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فالط وقال العلم الرباني والعارف الصمداني سيدي عبد القادر الكيلاني جميع الاولياء لا يستمدون الا من كلام الله ورسوله ولا ياخذون ويعملون الا بظاهرها (وقال) ابو العباس احمد الدينوري لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن وقال ابو سعيد الخزاز كل فيض باطن يخالفه ظاهر فهو باطل الى غير ذلك مما ذكره القشيري في رسالته وغيره في غيرها فعلى هذا من زعم ان له مع الله تعالى حالا لا يخرجه من حد العلم الشرعي فهو ضال عن الحق بل قال الغزالي من زعم ان له مع الله تعالى حالا اسقط عنه نحو الصلاة او تحريم شرب الخمر وجب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثله افضل من قتل مائة كافر لان ضرره اكثر

وقال العلامة ابن حجر في تحفته بعد نقله ذلك لا نظر في خلوده لانه مرتد باستحلاله ما علمت حرمته او نفيه ووجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما ومن ثم جزم في الانوار بخلوده وقد اطال العلامة المذكور الكلام في هذا المقام فان اردته فارجع اليه فعلى هذا لا فرق بين مذهبي الصوفية وما عليه الفقهاء سوى ان الصوفية ياخذون لانفسهم بالاحوط والاوثق فيما اختلف وهم مع الاجماع مهما امكن وهذا اشق على النفس فيكون افضل لان الاجر على قدر النصيب فعلم الباطن على هذا ثمرة علم الظاهر وقد اسلفنا ذلك وقد فرضنا تطبيق ما في كلام الناظم على ما حققناه وادخاله في دائرة ما ذكرناه وحررناه الى ذهنك السليم وفكرك المستقيم والله تعالى المعين على التطبيق والموفق للتحقيق ولكني اقول كما قيل

راحت مشرقة ورحت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

ثم اني اعود فاقول ان كثيرا من جهلة المتصوفة يطلقون القشر على علم الشريعة امتهانا له واللب على علم المتصوف الباحث عن المقامات والاحوال والمحبة والعشق وما اشبه ذلك تعظيما له وانت تعلم ان امتهان علم الشريعة كفر ومنهم من يطلق ذلك عليه غير قاصد الامتهان بل سمعه من احد اخوانه يقوله فجعل يقوله ظانا انه اسم من اسماء علم الشريعة مثلا وامر هذا النبس بامر المتهنين ومن الناس من يطلق ذلك عليه باعتبار انه علم يصون عن الزيغ والغشا ويحفظ العالم به عن الهيام به في كل واد وباعتبار معنى اخر ليس فيه امتهان ايضا فهذا مع ما ذكر من سوء الادب لم يسلم حيث اطلق على علم المرسلين ما يشعر بالذم وفي مكتوبات الامام الرباني قدس سره تشنيع عظيم على من يطلق هذا اللفظ على ذلك ورحمة الله تعالى عليه ما كان اغيره على الشريعة المطهرة وقد كان حماها محفوظا من فساد جهلة المتصوفة منه بقسورة وعلى قدمه كان حضرة مولانا قدس

وعمرنا بسره قال الناظم

نحى الله خبا خامر الوهم عقله * بليد جنان في الطبيعة جامد
تعرض للانكار فينا بجهله * ولم يجده ما قال والحق شاهد

(قوله نحى الله) اي قبح ولعن (والخب) قال في القاموس الخداع الجربز وهو بفتح الخاء المعجمة وقد يكسر (وخامر) اي خالط (والوهم) بسكون الهاء اراد به الغلط (والعقل) تقدم معناه قال الامام والعقل الذي هو مناط التكليف غريزة يلزم بها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقد يطلقه الحكماء على جوهر مجرد ليس بحال ولا محل ولا مركب ولا مدبر وعلى النفس الناطقة التي يشير اليها كل احد بقوله انا وهي جوهر مجرد عن المادة مقارن لها في فعله ولها قوتان احداهما قوة تتوجه بها النفس الى ادراك حقائق الموجودات والاحاطة باصناف المعقولات وتسمى عقلا نظريا والاخرى قوة تتصرف بالمرئي والروية في موضوعات المادية وتستنبط منها صناعة بها ينتظم امر المعاش والمعاد وتسمى عقليا عمليا وفي كلام بعض الصوفية رحمهم الله تعالى انه جوهر فطري يتميز به الصلاح من الفساد والخير من الشر فاذا تعلق بالخالق فهو عقل الهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش وله عند الحكماء مراتب اربع (الاولى) العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض (الثانية) العقل بالملكة وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات منها (الثالثة) العقل بالفعل وهو ملكة استنباط النظريات من الضروريات اي حضورة الشخص بحيث متى شاء استحضر الضروريات واستنتج منها النظريات وقيل انه حصول النظريات بحيث يستحضرها متى شاء (الرابعة) العقل المستفاد وهو ان يحضر عنده النظريات بحيث لا تغيب عنه والكلام في هذا البحث طويل (والبليد) من بلد ككرم وفرح اراد به قاصر الفهم (والجنان) القلب (والطبيعة) كالطبع والطباع بالكسر السجية التي جبل الانسان عليها (وجامد) من جمد الماء وكل شيء سائل كنصر

وكرم

وكرم جمد او جمود اضد ذاب واراد به غير متصرف (وتعرض) اى تصدى ومنه تعرضوا لنفحات الله واراد (بالانكار) عدم الاعتراف والتسليم (والجهل) خلاف العلم (ولم يجده) اى لم يفده ولم ينفعه واراد بقوله (ما قال) اى الذى قاله وذكره فى الانكار (والحق) اسم من اسمائه تعالى اى الثابت الذى لا يفنى (وشاهد) اى مطلع على صحة ما نحن عليه ومطلع على حال هذا المنكر (وحاصل المعنى) قبح الله تعالى خدا اما كثر غلطه وكبر شططه سقيم الجنان عديم العرفان ذا طبيعة جامدة وسجية خامدة هامدة وقريحة قريحة وفكرة قبيحة ورؤية ردية ودراية غير مرضية قد زاد جهله وصاحبا الوهم عقله تعرض للاعتراض علينا والانكار لما بين يدينا مع كثرة جهله وقلة عقله ولم يزجره ان الحق شاهد عليه وان ما قاله لم يعد بالنفع اليه فلعنه الله ما احسره وقبحه الله ما اخسره فافهم ولا تغفل وجاز هذا الدعاء على المنكر لانه من اعظم العصاة واقبح الغواة وقد ذكره العلماء الاعلام وائمة الاسلام ان الانكار على السادة الصوفية نفعنا الله تعالى بنفحاتهم القدسية امر شنيع وفعل فضيع وقد ورد به الوعيد الشديد وهو علامة كل طريد ويخشى على فاعله سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ولا يصدر غالبا الا من بعض المنافقين القاصرين لا من الفقهاء العارفين المنصفين وكان شيخ الاسلام المخزومى رحمه الله تعالى يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان سلك طريقهم وراى افعالهم واقوالهم مخالفة للكتاب والسنة واما بالاشاعة فلا يجوز الانكار عليهم ولا سبهم فاطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فاول ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الانكار على قولهم او على افعالهم او على احوالهم ان يعرف سبعين امرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها غوصه او فى معرفة معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤيده بها ويعتقد ان الاولياء يرثون الانبياء فى جميع معجزاتهم الا ما استثنى منها ومنها اطلاعه على تفسير القرآن سلفا وخلفا ليعرفوا

اسرار الكتاب والسنة ومنازع الائمة المجتهدين ويعرف التفسير
والتاويل وشرائطه ويتبحر في لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها
حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف
في معنى ايات الصفات واخبارها ومن اخذ بالظاهر ومن اول
ومن دليل ارجح من الاخر ومنها تبحره في علم الاصوليين ومعرفة منازع
ائمة الكلام ومنها وهو اهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا
عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذوات الذوات ومعرفة
حضرة الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات والفرق بين
الاحدية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد
وعالم الكون والشهادة والشؤون وعالم الماهية والهوية والسكر
والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب
حتى يؤخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحمل كلامهم او ينكر
عليهم بما هو ليس بمرادهم وقال العقل الحادي عشر العلامة ابن حجر
في تحفته من كتاب الردة هي قطع الاسلام بنيته وقول كفر صدر
عن قصد وروية فلا اثر لسبق لسان او اكراه او اجتهاد وحكاية
كفر وشطح ولي حال غيبته او تاويله بما هو مصطلح عليه بينهم
وان جهله غيرهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند اهله فلا يعترض
عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم كما حققه ائمة الكلام وغيرهم
ومن ثم ذل كثيرون في التهود على محققي المتوفية بما هم بريئون منه
(انتهى) وقال خير الدين الرملي في فتاواه وحقيقة ما عليه الصوفية
لا ينكرها الا كل نفس جاهلة غبية (انتهى) وقال سيدي الشيخ احمد
زروق المالكي في النصيحة الكافية لمن خصصه الله تعالى بالعافية
واما الفقراء فيسلم في كل ما لا يقتضي العلم انكاره وما
وجب انكاره ينكر عليهم مع اعتقاد كمالهم اذ لا يبعد ان يكون
للولي الهفوة والهفوات والذلة والذلات اذ الاولياء محفوظون
والحفظ يجوز معه الوقوع في المعصية الا انه لا يجوز معه الاصرار
عليها وقد سئل الجنيد قدس سره ايزني العارف فقال وكان

امر الله قدرا مقدورا قال ابن عطاء الله لو قيل له اتتعلق همة العارف
بغير الله تعالى لقال لا ولا ينكر على الفقراء الا محروما مجمعا على تحريمه
(انتهى) وللشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه الاجوبة المرضية
في هذا المقام ما يشفي العليل ويطفي الغليل مما لا اظن ان يبقى
معه انكار عند من طالعه مع الانصاف وترك الاعتساف واذا تحقق
ذلك فاعلم ان حضرة الشيخ قد شهد كل من له رؤية بانه من اكبر
السادة الصوفية ومن انكر عليه رجع كيده اليه وقد الف بعض
من المنكرين رسالة في الطعن صدرة من مزيد الاحن والطعن
فمزقتها سهام اخبار المخلصين وسودت وجهها اقلام العلماء العارفين
فمن ذلك الفهاما الشيخ معروف البرزنجي وقد ردها الملا محمد امين
افندي مفتي الحلة والعالم الذي تدرع من العلم اجمل حلة ورسالة الفهاما
عثمان بيك الموصلي وقد ردها الملا محمد امين افندي السويدي
المدرس بالآصفية الذي حاز ما حاز من العلوم النقلية والعقلية
ولله در الشيخ عثمان البصري حيث يقول مخاطبا بعض من الف في الطعن على

| | |
|---|---|
| امولفا فيه رسالة مكره | سحقا فما انصفت يوم تولفت |
| اردتك حقدك في مهاوي غيها | نار ولكن لا اخالك تنصف |
| ابعابد تفري وتخلو ان ذا | نعي به عن هدى ربك تجنف |
| صدقا عن النهج السوي فهوة | ملئت ضلالا والشقاوة تصدف |
| اصبحت ذا الحن ودخل في مرء | بر لو طلعته ينوب المسرف |
| افلا ارعويت عن الغواية للهدى | فلسوف تعلم ما اقول وتاسف |
| اومثله ترمي بما هو بالبرا | فض والملاحدة الاخابث اعرف |
| هذا الضلال وانت موقد ناره | فلسوف تصلاها وعينك تذرف |

وقال ايضا

| | |
|---|---|
| ان نور الاله لا يطفوه | زبرج قد ابرزته احن |
| كل من قد دس في تاليفه | فيه دون سواه لمن |
| كل من امن قد احسن من | ذمه فهو بهذا احسن |
| لا انطع ما قاله في عارف | ذو هوى تعمى تجاه الفتن |

كم على ذي بصر ازرى عمٍ … وعلى من صح غاب الزمن
سنة الله بار يا بالتقى … لن يعادوا وانعم هذا السنن
غير انى لا ارى مبغضهم … غير من حشو حشا الدمن
ايها القائل فيه زروة … انتج التزوير منك الدخن
انه شمس فهل انت عمٍ … ام عرى رايك فيه الافن

ولقد احسن الناظم فى الدعاء على المعترضين للانكار المنكرين للشمس فى رابعة النهار لانه انكار على السادة الصوفية والطائفة المصطفوية الذين كرعوا من بحار الشريعة وكرهوا كل شنيعة لكن فى القلب شيء من ادخال الناظم نفسه فى سلك اولئك السادة الذين هم الى كل خير قاده والله مع الصادقين ولعنة الله على الكاذبين (قال الناظم)

الا اصلح الله العباد وشانهم … واجمعهم فى الصدق ما داد زائد
فقد ابهرت آراؤنا فيك مثلما … بك انتشرت بين الانام المحامد

(اقول الا) للاستفتاح (واصلح) من الاصلاح ضد الافساد والصلاح هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ويقابله الفساد اى خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به والجملة دعائية وكانه عدل الى الخير ناسيا بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يقول (اللهم) اهد قومى فانهم لا يعلمون وهو على كعبا من حال نوح عليه السلام حيث يقول لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والظاهر ان الدعاء بالخير من آثار غلبة الجمال والدعاء بالشر من آثار غلبة الجلال وتجلياته تعالى متفاوتة فافهم ولا تغفل (والعباد) جمع عبد وهو الانسان حرا كان او رقيقا ويجمع ايضا على عبدون وعبيد واعبد وعبدان وعبدان واعبدان بكسرتين مشددة الدال ومعبده كمشيخة ومعابد وعبداء وعبدى وعبد بضمتين وعبد كندس ومعبوداء وجمع الجمع اعابد كذا قاله فى القاموس وللقاضى عياض

ومما زادنى عجبا وتيها … وكدت باخمصى اطال الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى … وقد صيرت احمد لى نبيا

(ونش)

(وشأنهم) اى امرهم والجمع شؤن وشئين (وانحجهم) اى اسلكهم (والصدق) بالكسر والفتح ضد الكذب كالمصدوقة او بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفسروا الصدق بمطابقة النسبة للواقع والكذب بعدمها وقيل مطابقتها للاعتقاد وعدمها بدليل ان المنافقين لكاذبون ورد بان المعنى لكاذبون فى الشهادة او فى تسميتها او فى المشهود به على زعمهم او من شأنهم الكذب وان لم يكن فى هذا الخبر وغير ذلك (وقيل) مطابقتها لهما معا بدليل افترى على الله كذبا ام به جنة ورد بان المعنى تعمد الكذب او لم يتعمده كالمجنون وتفصيل ذلك يطلب من المطول وحواشيه (وقيل) قول الحق فى مواطن الهلكة (وزاد) من الزود وهو الدفع ويطلق على السوق والطرد (والزائد) الدفع او الرجل المحامى الحقيقة (وانبهرت) من البهر يعنى الغلبة او التكلف فوق الطاقة واراد بقوله (ارآؤنا) عقولنا وفى القاموس الراى الاعتقاد جمعه اراء وآراء (ومثل) اى شبه (وما) مصدرية (وبك) اى بسببك متعلق بانتشرت (وانتشرت) اى انذاعت (وبين) تقدم الكلام عليه (والانام) كسحاب الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض ومثله الاناام كساباط والانيم كامير واراد (بالمحامد) جمع محمدة وهى الصفة الجميلة وقيل غير ذلك (وحاصل معنى البيت الاول) اللهم اصلح امر عبادك وامنحهم بهدايتك وارشادك واسلكهم فى سبل الصدق حتى يستوى سرهم وعلانيتهم وتحسن بدايتهم ونهايتهم فنسلم من شرهم ونامن من مكرهم ويحفظوا من حربك الموعود لمن عادى احدا من اوليائك وحزبك فقد اخرج البخارى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب (وفى رواية) وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرود والولى الذى لا تجوز عداوته قيل هو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما قاله القشيرى

وقال الغزالى الولى من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر باصلاح الناس وقال الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل بالاعمال الشرعية والتركيب يدل على التقريب فكانه قريب منه تعالى لاستغراقه فى نور معرفته وجمال جلالته وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله له امره فلا ينصرف بيد ايه اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصفا فهو الفانى بيد المفنى يفعل به ما يشاء حتى يحو رسمه واسمه ويمحو عينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه فهو الولاة مثل هذا غنيمة ومعاداته بلية جسيمة وانشدوا

اولياء الله عوت للبرايا لهم قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا كرامته الشفاعة فى القيامة

(وحاصل معنى البيت الثانى) ان عقولنا قد تكلفت فوق الطاقة مع ما فيها من النباهه والحذاقه حيث رأت فيك ما لا يحصى من الصفات الحميدة ولا يستقصى من الاخلاق العديدة وذلك مثل ما انتشرت بسببك المحامد بين الانام وشاعت المآثر بارشادك بين الخاص والعام فانت الواسطة فى عصرك لاكتساب الفضائل والفواضل وتهذيب الانفس البشرية من النقائص والرذائل فرحمك الله تعالى ما ارشدك لعباده وانفعك فى بلاده (قال الناظم)

دعوت الى الذكر الخفى وانه لافضل ذكر الله فيه المقاصد

(اقول) اراد بقوله (دعوت) ناديت وارشدت (والذكر) معلوم وتقدم بعض الكلام فيه (والخفى) المكتوم وفى الصحاح شئ خفى اى خاف ويجمع على خفايا وفيه ايضا الاصمعى خفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد وابو عبيدة مثله يقال خفى المطر الفارات اخرجهن من انفاقهن اى من جحرهن قال الشاعر يصف فرسا

خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من سحاب مركب

يعنى المراد) منه وانه الواو للحال والضمير للذكر الخفى (وافضل) اكثر فضلا والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة (والمقاصد

المطالب وهذا البيت كالتعليل لما قبله (وحاصل معناه) انك كيف لا تتصف بما اتصفت به وانت الذي دعوت الناس الى الذكر القلبي الخفي الذي هو لحصول المطالب معنى وانه لاكثر فضلا واكبر محلا كم هطلت المواهب من سحابه وبدت للطالب من تحت نقابه وجليت به التجليات وجذبت باغيته الجذبات كيف لا وهو مصون ودر في صدف السرائر مكنون لا يطلع عليه ملائكة الرحمن ولا تكتبه الحفظة في ديوان وكونه افضل من الذكر الغير الخفي هو الذي نص عليه الكثير من العلماء الراسخين والكمل العارفين لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي الصحاح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال الله تعالى انا عند ظن عبدي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه رواه البخاري وغيره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفا اذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق الى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى انظروا هل بقي من شئ فيقولون ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه الا وقد احصيناه وكتبناه فيقول الله تعالى ان لك عندي حسنا وانا اجزيك به وهو الذكر الخفي قال العلامة الشيخ علي القاري في شرحه على المشكاة بعد ذكره هذا الحديث وما يقاربه ما نصه فالحديثان صحيحان ظاهران للسادة النقشبندية زبدة القادة الصوفية قدس الله تعالى اسرارهم العلية انتهى وفي الجامع الصغير خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي والاحاديث في ذلك كثيرة وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان احدهما وهو ارفع الاذكار واجلها التفكر في عظمة الله تعالى وجبروته وملكوته وآياته في ارضه وسمواته وفي كتاب الاذكار للنووي قدس سره الذكر

يكون بالقلب وباللسان والافضل ما كان بهما فان اقتصر على احدهما فالقلب
افضل (انتهى) وعلى هذا لايخفى ما في كلام الناظم ولعله مال الى غيره
فليفهم وكان الشبلي كثيرا ما ينشد في مجلسه

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة ... وايسر ما في الذكر ذكر لساني
فلما اراني الوجد انك حاضري ... شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بغير عيان

وكان ابو علي الدقاق ينشد ايضا لبعضهم

ما ان ذكرتك الاهم يغلبني ... قلبي وسري وروحي عند ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بي ... اياك ويحك والتذكار اياكا

(وانا اقول) الذكر ريحانة القلب وبه يحصل الانس بالحبيب قال
تعالى وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقال ابو سعيد الخراز رحمه الله تعالى اذا اراد الله تعالى ان يوالي عبدا
من عبيده فتح له باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح له باب القرب ثم رفعه الى
مجالس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وادخله دار
الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة واذا وقع بصره على الجلال
والعظمة بقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع في حفظه سبحانه
وتعالى وبرئ من دعاوى نفسه والقلب موضع الايمان ومعدن العرفان
ومهبط الانوار الالهية ومعترك الاسرار الربانية فكيف وقد خصه
الله تعالى بالايمان والخشية والانابة والذكرى والتقوى والسلامة
فقال كتب في قلوبهم الايمان وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم من
خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم فينبغي تطهيره بكثرة الاذكار وتجريده بالمداومة عليها
عن الاغيار لا يدخل الملك بيتا فيه صورة او تمثال فكيف تدخل شواهد
الحق قلبا فيه اوصاف غير الملك المتعال وبالذكر القلبي تنقشع الغياهب
وتحصل المطالب وترتفع الحجب وتزول الغفلة عن رب الارباب قال الحارث
رحمه الله بلية العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة

في القلب وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واما الذكر باللسان فهو قليل الجدوى وكثيرا ما لا يسلم من البلوى بل اذا تاملت وتحققت وانصفت تعلم ان الذكر باللسان بدون قلب لا فائدة فيه بالكلية ولا يوجب القرب من الحضرة القدسية فقول الامام والنووى فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل اراه من قبيل الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقوله تعالى حكاية عن لوط هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة (نعم) الذكر بالقلب واللسان افضل من الذكر بالقلب وحده اذ الاجر على قدر النصب وهذا الامن من السمعة والرياء ولكن المريد في حال البداية لا يمكنه الجمع بين الذكرين فكان الاولى بشانه الذكر القلبي بلا امتراء ولا مين واذا امتلا القلب طفح عن اللسان على سائر الجوارح والاركان فاعتن بهذا التحقيق فانه بالاعتناء حقيق وفي كلام كثير من العلماء ما يوازره ويؤيده وينصره فافهم ولا تغفل قال الناظم

لسيدنا عثمان اصلك ينتمي فاكرم به اصلا نمته الاماجد

(اقول السيد) الكبير وهو فعيل عند قوم وفعل عند اخرين وجمع على سادة وسيائد وتقول العرب ان من نعت السيد ان يكون لحيما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا ابعد واذا تامل ملا العين مهابة لا تحقه ان يكون في صدر مجلس او ذروة منبر او منفردا في موكب ويقولون في نعته يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال دعبل

| | |
|---|---|
| فلذا جالسته صدرته | وتنحيت له في الحاشيه |
| واذا سايرته قدمته | وتاخرت مع المستانيه |
| واذا سامرته صادفته | سلس الخلق سليم الناحيه |
| واذا عاشرته صادفته | شرس الراى ابيا داهيه |
| فاحمد الله على صحبته | وسل الرحمن عنه العافيه |

ويؤيد هذا قول الفرزدق

يقلب راسا لم يكن راس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

وقال رجل لعمر رضي الله عنه من السيد قال الجواد حين يقال

الحليم المنتجع الكريم المجالسة الحسن الخلق لمجاوره قال الصفدي
والذى اظنه ان السيد عند العرب من ساد قومه او غيرهم بصفاته
المحمودة ولا يتوقف فى ذلك على الصالح ولا النسب كما يعلم من قول القائل

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وقال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي اذاها وارمي من رماها بمقنب

ويقول الصفدي عاقول ويقابل السيد مذكرا السيدة مؤنثة وما
احسن قول الامام ابى الفضل طاهر بن القصير ابى الحديث

اشارت الى بعنابة مخضبة من دم الافئدة
وقالت على العهد يا سيدى فقلت الى الحشر يا سيدة

وقول الناس سيدى من كلام العرب بل هو مولد وما احسن قول البهاء زهير

بنفسي من اسمها يسوق فمنقى النجاة بعين مقت
يرون بانني قد قلت سحنا وكيف وانني لزهير وقتي
وقد ملكت جميع الناس حقا فلا عجبا اذا ما قلت ستي

وعنى (بعثمان) ثالث الخلفاء ابا عبد الله بن عفان بن ابى العاص بن
امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموى اسلم فى اول الاسلام
على يد الصديق روى له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مائة حديث وست واربعون حديثا اخرج البخاري منها احدى عشر
استخلف اول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين بمبايعة اكابر
الصحابة حتى على رضى الله تعالى عنهم اجمعين ولم يزل اسمه فى الجاهلية
والاسلام عثمان ويكنى ابا عمرو وابا عبد الله وله فضائل لا تحصى
ومناقب لا تستقصى (فمنها) انه يجتمع نسبه بنسب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عبد مناف (ومنها) انه كان
من السابقين الاولين صلى الى القبلتين وهاجر الهجرتين وهو
اول من هاجر الى الحبشة فارا بدينه ومعه زوجته رقيه
بنت سيد الاولين والاخرين (ومنها) ان رسول الله صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم دعا له بخصوصه غير مرة فاثرى وكثر ماله ومن
دعائه اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه ثلاث مرات
ودعا له مرة اخرى فقال غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وما اخفيت وما هو كائن الى يوم القيامة (ومنها) انه اشترى بير رومة
ارضا وجعلها للمسلمين (ومنها) انه اشترى ارضا وزادها فى مسجد رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم (ومنها) انه جهز جيش العسرة بتسعماية وخمسين بعيرا واتم
الالف بخمسين فرسا وجيش العسرة كان فى غزوة تبوك وقيل
حمل فى جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وقد اقر بصحة
التجهيز بل والذين قبله الموالف والمخالف حتى الرافضة وحمله على
الزياد والسمعة مما يكذبه الراى والسمع وله من الفضائل ما يعجز
عنه البيان ويقصر عنه البنان حصر رضى الله عنه فى داره وقتل
مظلوما والذى تولى قتله جماعة من الخوارج من اهل مصر وغيرهم
واختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل رومان بن مرحان وقيل
جبلة بن الاهيم وقيل الاسود التجيبى وبه جزم الكرمانى وقيل يسار
ابن عياض وقيل غير ذلك واختلف فى اليوم الذى قتل فيه فقيل
يوم الاربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر وقيل يوم
الجمعة وكان قتله فى وسط ايام التشريق بالمدينة المنورة وقيل
كان يوم التروية وقيل غير ذلك وقتل سنة خمس وثلاثين بعد الهجرة
وكانت ولايته اثنتى عشر سنة منه الا اثنتى عشر ليلة وفيه يقول
ايمن ابن خزيم بن فاتك الاسدى

تعاقدا لله اجوعثمان ضاحية ... فاى ذبح حرام ويحهم ذبحوا
ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم ... يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا
فاى سنة كفر سن اولهم ... وباب شر على سلطانهم فتحوا
ماذا ارادوا اضل الله سعيهم ... بسفك ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا
ان الذين تولوا قتله سفها ... لقوا اثاما وخسرانا وما ربحوا

وانشد حسان

قتلتم ولى الله فى جوف داره ... وجئتم بامر جائر غير مهتدى

فلا ظفرت ايمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد
وانشد كعب بن مالك

يا للرجال لامر هاج لي حزنا لقد عجبت لمن يبكي على الدمن
اني رايت قتيل الله مسطهرا عثمان يهدى الى الاجداث في كفن
يا قاتل الله قوما كان امرهم قتل الامام الزكي الطيب الردن
ما قاتلوه على ذنب الم به الا الذي نطقوا زورا ولم يكن

(وزعم) بعض الناس ان لعلي رضي الله تعالى عنه رضى بقتله وتبه يعرض الوليد بن عقبة بقوله

الا ما لليلي لا تغور كواكبه اذا غاب نجم لاح نجم يراقبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تعجلونا فانه سواء علينا قاتلوه وسالبه
وانا واياكم وما كان منكم كصدع الصفا لا يراب الصدع شاعبه
بني هاشم كيف التعاقد بيننا وعند علي سيفه وحرائبه
لعمرك لا انسى ابن اروى وقتله وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه

وحاشا علي رضي الله تعالى عنه من ذلك قال شداد بن اوس لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدار رايت عليا رضي الله تعالى عنه خارجا من منزله متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا بسيفه امامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والانصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال له السلام عليك يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يحلم هذا الامر حتى قاتل بالمقبل المدبر واني لا ارى القوم الا قاتليك فمرنا فلنقاتل فقال انشد الله رجلا راى لله حقا واقر ان لي عليه حقا ان يهريق في سببي ملء محجمة من دم ويهريق دمه فيَّ فاعاد عليه القول فاجابه بمثل ما اجاب ومنعه ان يقاتل قال فرايت عليا خارجا من الباب وهو يقول اللهم انك تعلم انا قد بذلنا المجهود ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة فقالوا

يا ابا

يا ابا الحسن تقدم فصل بالناس فقال لا اصلي بكم والامام محصور ولكن اصلي وحدي فصلي وحده وانصرف وكذا جمع من الصحابة الكرام بذلوا جهدهم ويابى الله الا ما يشاء ولله در من قال

فكف يديه ثم اغلق بابه — وايقن ان الله ليس بغافل
وقالوا لاهل الدار لا تقتلوهم — عفا الله عن ذنب امرء لم يقاتل
فكيف رايت الله القى عليهم الـ — عداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رايت الخير ادبر بعده — عن الناس ادبار النعام الجوافل

والكلام في هذا المقام طويل جدا لا يتسع له مثل هذا الكتاب على ان الترتيب مشهور وهو في كتب التواريخ مسطور وينبغي للناظر فيه ان يتثبت ولا يقبل الا ما رواه الثقات وليحمل ذلك على محامل حسنات والا يزل قدمه ويندم حيث لا ينفعه ندمه واراد بقوله (اصلك) نسلك (وينتمي) اي ينتسب من انتمى اليه اذا انتسب واراد بقوله (اكرم به) التعجب على حد قوله تعالى اسمع بهم وابصر وقولك احسن بزيد ومعظم النحويين ان افعل فعل ماض جيء به على صيغة الامر فهو مبني على فتح مقدر على اخره منع من ظهوره مجيئه على صيغة الامر والباء بعده زائدة ومجرورها مرفوع المحل على الفاعلية وقيل غير ذلك (واصلا) تمييز (ونمته) رفعته (والاماجد) اهل الشرف والمجد (وحاصل معنى البيت) انك قد بلغت ما بلغت من فضلك وفقت على من فقت في اصلك اما فضلك فقد ذكرناه وحررنا منه ما حررناه واما اصلك فقد اقر موا ليك ومعاديك انه يتصل بالسيد الكبير والخليفة الشهير من تستحي منه ملائكة الرحمن امير المؤمنين عثمان بن عفان فياله من نسب سامي واصل بالمكارم هامي

نسب كان عليه من شمس الضحى — نورا ومن ضوء الصباح عمودا

وكونه نسبه يتصل بحضرة الامير امر معلوم من غير تكير فقد ذكر الثقات انه نسبه من جهة ابيه واسمه احمد يتصل بالولي الكامل والمرشد الواصل بيسيه ميكال صاحب النسب المشهور بين الاكراد بنشر انكشت بين ستا ابايع بان خلقة اصابعه

كانت كذلك وهذا المولى معروف الانتساب الى الخليفة الثالث منبع الحياء والايمان ذى النورين عثمان بن عفان (وقد انشد) عثمان بن سند مشير الحب ذلك .

ما ان يضر الشمس ان استعرت ... انه لا يرى الاعور والاعمى
يا حاسديه دونكم اوجدا ... سودده كالذرة العصما
يتيمة الدهر ولوانه ... ريحانة الزهر اذا شما
وسلموا للشرف العود قد ... اشرقت الشمس ولا ظلما

وفى كلام الناظم اطلاق السيد على غير الله وهو جائز كاطلاقه عليه سبحانه وتعالى والمولى مثله فيهما وقد لا يجوز ذلك لامر خارج كما اذا اطلقا على كافر بقصد التعظيم وقد صرحوا بانه يكره اطلاق المولى على فاسق المؤمنين واستأنسوا فى ذلك بقوله تعالى فان الله مولاه . وجبريل وصالح المؤمنين والظاهر ان اطلاق السيد على الفاسق ايضا مكروه ولم ار فيه نصا والله تعالى اعلم وههنا فائدة لا بأس بالتنبيه عليها وهو انه غلب على كتاب الحكم ان يقول سيدنا ومولانا قاضى القضاة فيما يكتبونه من السجلات وغيرها والصواب فيه تقديم مولانا على سيدنا لان كتاب الانشاء هم الاصل فى هذه الصناعة وهم اول ما يقولون المولوى الاميرى ويأتون بالسيد فى الالقاب ولان العرب كذا قالوا فقد قالت الخنساء فى اخيها صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كانه علم فى راسه نار
حامى الحقيقة محمود الطريقة مهـ ... ـدي الخليقة نفاع وضرار

ولان البلاغة ان يذكر الاعم ثم الاخص كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال والمولى اعم من السيد لان المولى يطلق على معان والبلاغة ان تقول يا صاحبي يا اخي يا حبيبي لان الاصحاب كثيرون والاخوة اقل منهم والحبيب لا يكون الا واحدا ذكر ذلك العلامة الصفدى فى كتابه تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون فتامل ففى القلب منه شئ (قال الناظم

هو الحسب الوضاح والشرف الذي فضائل ذي النورين فيه شواهد

(قوله هو) اي هذا الحسب الذي ذكرناه (والحسب) كما في القاموس ما تعده من مفاخر آبائك (والوضاح) البين الظاهر (والشرف) قال في القاموس المجد ولا يكون الا بالآباء او علو الحسب (والفضائل) المناقب والمآثر (وذي النورين) هو لقب لعثمان رضي الله تعالى عنه واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك على اقوال احدها انه اذا دخل الجنة برقت له برقتين الثاني انه كان يختم القرآن في الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور الثالث انه كان ذا سخاءين احدهما قبل الاسلام والثاني فيه الرابع انه ذو كنيتين يكنى ابا عمرو وابا عبد الله الخامس انه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية فماتت عنده ثم ام كلثوم ولا يعلم احد تزوج بنتي نبي ولا شك انه صلى الله عليه وسلم نور وبناته وجميع اولاده كانوا كذلك لكن قال الصفدي يراد بهذا الكلام في الاسلام والا فقد تزوج يعقوب عليه السلام ابنتي خاله لايان وهما لايا وراحيل ثم اعلم ان جمهور الرافضة انكروا كون رقية وام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة قالوا انما هما ابنتا اخت خديجة مات ابوهما وهما طفلتان عند خالتهما خديجة فرباهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره بعد دخوله بخديجة ونسبوا اليه على عادة العرب يومئذ ان من ربى يتيما نسب اليه كما في قصة زيد التي حكاها الله تعالى في كتابه ثم قالوا على تسليم انهما ابنتاه صلى الله عليه وسلم حقيقة لا فضيلة لعثمان في تزويج الرسول صلى الله عليه وسلم له بهما وقد زوجهما قبله كافرين لان رقية كانت تحت عتبة بن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة وقولهم هذا مردود لان كونهما ابنتيه صلى الله عليه وسلم حقيقة مقطوع به لصريح نص الكتاب قال الله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ولما ذكر في نهج البلاغة ان عليا قال لعثمان بطريق العتاب على تغييره سيرة الشيخين قد بلغت من صهره ما لم ينالا يعني ابا بكر وعمر

ولما روى ابو جعفر في التهذيب عن جعفر الصادق انه كان يقول في دعائه اللهم صل على رقية بنت نبيك ولما روى الكليني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة فولد له منها قبل مبعثه القاسم ورقية وزينب وام كلثوم وبعد المبعث الطيب والطاهر الى غير ذلك من النصوص وكتب التواريخ المعتبرة صارحة بذلك ثم ما ذكروا من انه بعد التسليم لا فضيلة في ذلك فيه ان الفضيلة أظهر من ان تنكر كيف لا وقد صار ختن النبي صلى الله عليه وسلم بامر الله مرتين كما نطقت بذلك الاخبار وشهدت به الاثار وتزويجهما قبله بابني ابي لهب لا ينافي الفضيلة لان ذلك كان قبل المبعث ومع ذلك لم يدخلا بهما الا انهما كانا قد عقدا عليهما وقيل ان يدخلا نزلت تبت يدى ابى لهب فقال لهما ابوهما رأسي من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما وكيف لا يكون في ذلك فضيلة وقد ساوى كثير من العلماء بين فاطمة وام كلثوم (وحاصل معنى البيت) ان حسبك هذا هو الحسب الواضح الذي ليس فيه مطمح لقدح قادح والشرف الذى شهدت به فضائل ذى النورين وزوج الابنتين وصاحب الهجرتين والثالث في الفضيلة بعد الاثنين الذى ذهب معظم الخير بعد فقده فكان الخير الحد معه في لحده ولله در من قال

لعمر ابيك فلا تكذبن لقد ذهب الخير الا قليلا

لقد سفه الناس في دينهم وخلف ابن عفان شرا طويلا

ثم اعلم ان جودة النسب امر مطلوب وشئ محبوب وهى معتبرة عرفا وشرعا في باب الكفاءة والامامة وغير ذلك كما بين في علم الفقه لكن لا ينبغي الاعتماد على النسب وترك العمل فليحذر كل غافل غاية الحذر من ان يتكل على شرف نفسه وفضيلة ابائه ويقصر في العمل فان ذلك يورث النقص والانحطاط عن معاليهم ونهاية الامر الحسرة والندامة عن التخلف عن كمالهم ومن ثم كان التفاخر بالاباء من اخلاق الجاهلية قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ

ولا يتساءلون وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان قد اذهب عنكم عيبة
الجاهلية وفخرها بالاباء الناس رجلان بر تقي كريم على الله عز وجل
وفاجر شقي هين على الله تعالى عز وجل كلهم بنوا ادم وخلق الله
آدم من تراب وقال ائتوني باعمالكم لا تاتوني بانسابكم وقال لمن
لا يعلم الانساب علم لا ينفع وجهالة لا تضر وقال عمر رضي الله تعالى
عنه تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم على ان التفاخر بالاباء
غايته العداوة واذ كل يظهر مثالب الاخر فيؤدي الى الهجر والفساد
ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه فالفخر كل الفخر للمتقين الذين هم
في طاعة الله متسارعين وعما سواه معرضين فما انتفع كنعان
بنسبه ولا تضرر سلمان بابيه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ولله در من قال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي

وفي رواية الصحيحين لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال صلى
الله تعالى عليه وسلم يا معشر قريش يا بني المطلب يا عباس يا صفية
عمة رسول الله اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا
وفي رواية ان اوليائي منكم المتقون لا ياتون الناس بالاعمال
وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم والاحاديث في هذا الباب
كثيرة فالشهم الكريم من شاد به اباءه في طاعة الله تعالى المولى العظيم
ولم يتكل في خلاصه على العظم الرميم ولله در القائل الذي هو في ظلال
المكارم قائل

لسنا [illegible] كرمت محاتدنا يوما على الانساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل فوق ما فعلوا

قال الناظم

نباذخ هذا الفضل للقيك الوجي بحق ضياء الدين والاسم خالد
ومن اجل ذا كتب ثم ابوالهما بهذا صفت للسالكين الموارد

يا فاطمة بنت رسول الله

(قوله الباذخ) بالباء الموحدة والذال والخاء المعجمتين العالى واضافته الى ما بعده من اضافة الصفة الى الموصوف (والفضل) ضد النقص لغة والمراد به ما ينطوى عليه الانسان من المزايا التى يفضل بها على غيره فالفاضل خلاف الناقص كانه فى انسانيته زائد عن الجاهل (ولقبك) من التلقيب اى وضع اللقب وهو النبز كما فى القاموس وعند النحويين ما اشعر برفعة المسمى كزين العابدين او بضعته كقفة (والورى) كغنى الخلق (والحق) المصدق على ما قيل ويحتاج الى اعتبار نسبته ليكون وصفا لها وقيل اراد بالحق الاستحقاق او ما يقرب منه معنى والباء على القولين للملابسة والجار والمجرور فى موضع الحال من الورى على الاول ومن ضمير المخاطب على الثانى وقيل الباء سببية متعلقة بلقبك اى لقبك الورى ضياء الدين بسبب حق لك فتدبر (والضياء والدين) تقدم ما يعلم منه معناهما (والاسم) قال فى القاموس اسم الشئ بالضم والكسر وسمه وسماه مثلثين علامته واللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز جمعه اسماء واسماوات وجمع الجمع اسامى واسام (انتهى) وقال النحويون هو ما ليس بكنية ولا لقب وهو اما منقول كزيد وخالد وهو الاكثر واما مرتجل كسعاد وادد وهو قليل والمنقول ما سبق له استعمال فى غير العلمية والمرتجل بخلافه وكانه ماخوذ من الرجولية بمعنى القوة فهو لعدم نقله كانه ذو قوة وفى الاسم لغات ونظم البعض منها فقيل * اسم بضم اول واكسر بهمزة ودونها او القصر * وهل اصله وسم او سمو فيه خلاف مشهور وان لم يكن بلغك فاطلبه من محله واراد بقوله (من اجل ذا) اى سبب هذا الفضل (كنيت) اى وضعت لك كنية وهى ما بدئت باب وام او بابن او بنت ايضا وترتيب هذه الثلاثة اعنى الاسم والكنية واللقب عند اجتماعها او اثنين منها يطلب من علم النحو وقد اشبعنا الكلام على ذلك

فى حواشينا النحوية مع دفع الايرادات ورد الشبهات (وثم)
قال فى القاموس بالفتح اسم يشار به بمعنى هناك للمكان
البعيد ظرف لا يتصرف فقول من اعربه مفعولا لرأيت فى (اذا رأيت
ثم) وهم (انتهى ولهذا الايضاح) وكانه اراد بقوله (بهذا) اى اليها
(وصفت) من الصفا وهو كالصفو نقيض الكدر (والسالكين)
تقدم معناه (والموارد) جمع مورد وهو مكان الورود (وحاصل
المعنى) انه لعلو فضلك وسمو اصلك الذى شهدت به فضائل
ذى النورين وصاحب الهجرتين لقبك الانام ضياء الدين وقد
صدق قولهم حيث اوضحت احكامه للمسلمين وكنت بينهم بالبهاء
حيث لا يخفى حسنك الاعلى مقلة عمياء وكل ذلك من اثار ذى
النورين الفائز بالدعوتين وبهائك وفضلك صفت الموارد
للسالكين وخلت الشرائع عن الكدر للواردين واعلم ان
التلقيب بما يشعر بالمدح جائز فقد ورد لقبوا اولادكم
الحديث وفى الرجال كثير كالصديق وذى النورين واليعسوب
وفى النساء قليل كالزهراء والحميراء وكذا التكنى بغير ابى القاسم
على تفصيل يذكر جائز بلا خلاف وان لم يكن للمكنى ابن يسمى
بذلك وقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تكنى بام عبد
الرحمن ولم يكن ابنها حقيقة والمستحب اذا خاطب اهل الفضل
ومن قاربهم ان يخاطبهم بالكنية وكذا اذا كتب رسالة الى
شخص او روى عنه وقد اختلف العلماء فى التكنى بابى القاسم فذهب
امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واهل الظاهر الى انه
لا يحل لاحد سواء كان اسمه محمد ام لا وسواء كان فى زمنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ام لا لعموم تسموا باسمى ولا تكنوا
بكنيتى حتى منع قوم من هؤلاء تسمية الولد بالقاسم كيلا
يكون سببا لتكنية والده بابى القاسم ويؤيد هذا قوله
فى الحديث انما انا قاسم فاخبر بالمعنى الذى اختصاصه بهذه
الكنية وذهب الامام مالك واختاره النووى الى الجواز

التكني به بعد زمانه وجعل النهي مختصا بحياته صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لان الحديث ورد على سبب وهو ان اليهود في زمانه
تكنوا بهذه الكنية وكانوا اذا رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ينادونه يا ابا القاسم فيلتفت صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون
لم نعنك اظهارا للايذاء قال وقد زال ذلك المعنى وانما لم ينه عن
التسمية باسمه مع وجود الايذاء بالنداء كالتكني بكنيته لانه
كان لا ينادى به غالبا ولو نودي به لم يجب الا للضرورة قاله
القاضي زكريا وذهب بعضهم واختاره الرافعي الى انه لا يجوز لمن
اسمه محمد ويجوز لغيره قال الاسنوي انه الصواب لما فيه من
الجمع بين الخبرين الصحيحين المذكور الذي رواه ابو هريرة وخبر
من تسمى باسمي فلا يكتني بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى
باسمي الذي رواه ابن حبان وصححه ولا يشكل على هذا القول تكنية
سيدنا علي ولده محمد بن الحنفية بابي القاسم لان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذن له بذلك من قبل كما قاله الشافعي واصحابه
فعنه روي في سنن ابي داود ان عليا قال يا رسول الله ان ولد من
بعدك ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وقال احمد بن عبد
ثلاثة تكنوا بابي القاسم رخص لهم محمد بن الحنفية ومحمد بن ابي بكر
ومحمد بن طلحة بن عبيد الله قاله ابن الملقن ولا يشكل ايضا ما رواه
ابو داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاءت امرأة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني قد ولدت
غلاما فسميته محمدا وكنيته ابا القاسم فذكر لي انك تكره ذلك
فقال ما الذي احل اسمي وحرم كنيتي او ما الذي حرم كنيتي واحل
اسمي لان ذلك ان صح كما قال شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر
يشبه ان يكون قبل النهي والمتاخر نسخه (واعلم) انه نقل عن
الامام مالك انه كان يتحرج من ان يلقب احدا بنحو نور الدين
او ضياء الدين او بهاء الدين على معنى ان الملقب اكسب الدين
نورا او ضياء او بهاء او نحو ذلك على اعتبار ان الاضافة من

اضافة

اضافة المسبب الى السبب اى ان هذا اللقب عذانور امثلا بسبب الذين فتامل هذا وبقيت فى هذا المقام ابحاث لا يتسع الكتاب لذكرها (قال الناظم)

اجاد يراعي فى الرثاء وانني الـ ـسخي الجواد ولا يرقى لما انا واجد
بكاك بعين الرفق كل موحد لانك فرد فى الكرامة واحد

(اقول اجاد) اى اتى بالجيد وهو ككيس ضد الردي واراد (باليراع) قصبة القلم (والرثاء) بكسر الراء مصدر رثيت الميت رثيا ورثاية اذا عددت محاسنه (والجواد) السخي اوهو الذكر من خيل جياد ويجوز فيه وهو الظاهر واشار به الناظم الى اسمه الذى اشتهر به بين الناس فهو مشهور بالسيد جواد السياپوش وهو سيد صحيح النسب على ما يقول احباؤه واعداؤه ومن بيت علم وفضل (ولا يرقى) اى يصعد مبنيا للمفعول واراد بقوله (واجد) مدرك ومحصل (وبكاك) اى بكى عليك والبكاء معلوم وكذا (العين) وهي مؤنثه ومثلها على ما قيل وقد قرر ما فيه اول الكتاب كل عضو متكرر فى الانسان كالكتف والقدم واليد والاصبع وتجمع على اعيان واعين وعيون وجمع الجمع اعينات وللعين معان كثيرة تقارب الثلاثين او تزيد (والرفق) بكسر الراء اللطف وفى الكلام ما لا يخفى من الاستعارة (والفرد) نصف الزوج (والكرامة) من الكرم ضد اللؤم ويبعد ارادة المعنى الاصطلاحي وهو ما يظهر على يد الولى من الخوارق وهو حيض الرجال الا اذا تضمنت مصلحة دينية ومن كلامهم من اغتر بالكرامات بالكرى مات وهي على الصحيح تكون للولي حيا وميتا فهى فعل الله تعالى ولا حجر عليه سبحانه واراد (بالواحد) المنفرد والواحد ايضا اول عدد الحساب واختلفوا فيه هل هو عدد اولا فمن فسره بما يقع فى العد جعله منه ومن فسره بما ساوى نصف مجموع حاشيتيه لم يجعله منه وقال هو كالجوهر الفرد يتركب منه الجسم وليس بجسم فافهم (وحاصل المعنى) انى اتيت بالشيء المستحسن والشعر الخالى عن كل مستهجن عند تعداد محاسنك الشريفه واوصافك السامية المنيفة حتى يستضاء بانوارك ويهتدى باثارك وتشنف اسماع الاخيار بذلك التجديد وتفوق بقاع الاثار بازهار جدك وانى السخي الجواد المجيد والسابق الوحيد الراقى الى ذروة الفخر السامي الى الغاية القصوى

في النظم والنثر وهيهات ان يجي احدا ما وعيتا ويرقى الى ما رقيت

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي    واسمعت كلماتي من به صمم

هذا والحق ان شعر هذا الناظم دون الوسط وكان مكثرا لا يبالي بالسقط ولا يستحي اذا سقط وان هذه القصيدة انما شرفت بشرائها لحضرة افخر علماء الائمة واوليائها وكانت الوهنا انتهى المقصود منها ثم اخذ في مقدمة ابيات التاريخ فقال بكائي الخ (وحاصل المعنى) بكى عليك بعين الرأفة جميع المسلمين وسائر المؤمنين الموحدين ولا بدع في بكاهم لشدة ما عراهم وعظم ما اعتراهم لانك العالم الاوحد والعلم المفرد لم تشنك صفة اللئام ولم تشنك وصمة الملام وكفى بهذا فخرا بين الخاص والعام

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه    فكل رداء يرتديه جميل

ولعمري لقد بكته الكبار والصغار والعبيد والاحرار

شقت عليه يد الاسى    ثوب الدموع الى الذيول

وكيف لا يبكي دما على من بكت عليه الارض والسماء فرحم الله زكي تربته واعاننا على عظيم مصيبته والبكاء على الميت جاء فقد بكى صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال ان العين لتدمع الحديث وفي قوله في البيت الاول اجاد يراعي الخ تحدث بالنعمة ومدح الشخص نفسه لذلك لا للفخر جائز قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الى غير ذلك مما لا يحصى وكان في قوله ولا يرقى لما انا واجد تعريضا ببعض ادباء عصره ونبلاء مصره ممن رثى حضرة المومى اليه لا زالت مزن الرضوان منهلة عليه وقد رثاه غير واحد ولكن كما قيل

وما كل روض ينبت الزهر طيب    ولا كل كحل للنواظر اثمد

واحسن ما رأيت قصيدة للشاعر الاريب والاديب اللبيب ذي الخلق اللطيف والطبع الشريف صاحبنا عبد اللطيف الشهير بابن الجادرجي لطف الله تعالى به وهي على روي هذه القصيدة ومن بحرها لكن الاتحاد في البحر لا يوجب الفخر فهذا الصدف متحدا مع الدر في بحره وشتان ما بين الصدف ودره وهذا على ما يزعمه المتعصبون للناظم من شاعر وعالم والحق

ان قصيدة عبد اللطيف احسن من هذه القصيدة بمراتب لايكاد يحسبها حاسب ولكن اشتهرت هذه دونها

هو الحظ حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

هذا والرثاء شائع جاهلية واسلاما وقد رثى صلى الله عليه وسلم بما هو مذكور في السير وصح ان فاطمة رضي الله تعالى عنها انشدت يوم دفنه عليه الصلاة والسلام

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا

(ومما) ينسب لعلي كرم الله وجهه يوم دفن الزهراء رضي الله عنها

ولقد قبرتك وانصرفت مودعا بابي ونفسي ذلك المقبور
اما القبور فانهن اوانس بجوار قبرك والديار قبور

واكثر الناس من مراثي الحسين رضي الله تعالى عنه ومنها للمتقدمين والمتاخرين قصائد نهلت منها عيون البلاغة والفصاحة بما معين ولولا ان تكون سببا لمحو كتابي بوابل الاماق لاثبت بعضها تبركا في هذه الاوراق والمراثي الجيدة غير ذلك ايضا كثيرة ولا انتعب القلم باثبات شيء منها لانها شهيرة (ثم اعلم) ان الشيخ انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في دمشق الشام ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ثالث عشر ذي القعدة الحرام سنة الف ومايتين واثنين واربعين بعد هجرة سيد الانام عليه من الله افضل الصلاة واكمل السلام وكان آخر كلامه من الدنيا قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي الله حق ثلاث مرات ورثاه ايضا من رثاه من الفضلاء الاعلام المشار اليهم بالبنان في دمشق الشام والملتجاء نفيه الى بغداد فلطمت بسهام الاحزان افاق قلوب اهاليها الامجاد واما انا فقد اغرقتني احزاني ودهشت فلم ادر اين مكاني

نعم كبدي لا وجنتي قد لطمتها وعيني عليه لا ثيابي شققتها
فان المصاب به عظيم والخطب بفقده جسيم
لقد حل حتى كل واجد لوعة اذا ج فيها اليس بوجد عاذله

وكان آخر كلامنا ما يقوله المؤمن المصاب المحزون انا لله وانا اليه راجعون

وقد نظم الناظم في هذه القصيدة لوفاته ثمانية تواريخ كما تقدم لك ذلك
مسطورا في اول الكتاب لكن البعض منها ناقص عن سنة الوفاة بسنة وبعضها
زائد بسنة وبعضها بسنتين وبعضها باكثر والبعض فيه تعمية والبعض الآخر
خال عنها ولذلك مع ظهور معناها اعرضنا عن شرحها وتركناها وفيها تاريخ واحد
مطابق للمقصود عار عن التعمية والعرو عنها يزيد غالبا التاريخ حسنا وان
كانت التعمية لا بأس بها عند اربابه هذا الشأن وربما يكون فيها لطافة تزيد
على لطافة العاري عنها كقول بعضهم مؤرخا في وفاة رجل اسمه خضر من خضر نا
حقا فقدنا الحياة وقول الآخر مؤرخا بناء مسبلة ماء تاريخه بغير حد
عافية لمن شرب الى غير ذلك ولنقتصر عليه ولا ننظم شيئا اليه (قال الناظم)

ولما هويت الحق قلت مؤرخا     هوى للقاء الحق في القدس خالد

(اقول لما) اي حين (وهويت) احببت (والحق) هو الله جل جلاله ولعل
الكلام على حذف مضاف كما يدل عليه شطر التاريخ (ومؤرخا) اي مبينا
لتاريخ وهو تعريف الوقت والتوريخ مثله وارخت الكتاب بيوم كذا وورخته
بمعنى (وهوى) اي احب واللام في اللقاء سيف خطيب (واللقاء)
بالمد مصدر ولقي وكذا لقي بالضم والقصر ولقيا بالتشديد ولقيانا
(والحق) هنا هو الحق هناك (وفي القدس) الحضرة القدس (وخالد)
اسم المؤرخ وهو فاعل هوى وقصد التورية فيه بعيد (وحاصل المعنى)
انك حين احببت لقاء الحق وكرهت البقاء مع الخلق فاحب الله لقاءك
فدعاك اليه وتوفاك لانه ورد في الحديث الصحيح من احب لقاء الله
احب الله لقاءه قلت مؤرخا سنة وفاتك مشيرا للاسم الذي ذكرته
قبل موافاتك هوى للقاء الحق في القدس خالد فالهاء بخمسة والواو
بستة والياء بعشرة ولا عبرة بجواز انها تقرأ القابل العبرة بصورة كتابة
لان حروف التاريخ معتبرة عوضا عن كتابة الارقام فهو رقم حرفي فلهذا
يحسبون التاء القصيرة الموقوف عليها بالهاء بخمسة كالهاء لانها تكتب
بصورة الهاء وهذا رأي الجمهور ومن الناس من زعم انها تحسب
باربعمائة كالتاء (ومنهم) من فصل فقال اذا كانت في كلمة وقعت
آخر الكلام حسبت بخمسة لانها ح يوقف عليها بالهاء فهي هاء لفظا

وكتابة وان كانت في كلمة ووقعت اثناء الكلام غير موقوف عليها حسبت
باربعمائة كالتاء فنحو لرحمة الله تائله تاء رحمة فيه تحسب باربعمائة لانها
تاء في اللفظ وتاء تائله تحسب بخمسة لانها هاء لفظا ولحوقا نها تحسب بخمسة
مطلقا (نعم) اذا كتبت طويلة كما تفعل الاتراك في شوكة ورفعت وطلعت
وعزت الى غير ذلك مما يسمونه مخلصا اي لقبا تحسب باربعمائة (والحاصل)
ان المدار على صورة المكتوب لا الملفوظ (نعم) قد يكتب ما لا يحسب
حسبما كتب نحو الهمزة في قائل وسائل ومؤذي فانها في ذلك ونحوه لا تحسب
اصلا وانما يحسب كرسيها وهو الواو والياء فليحفظ واللامان من للقاء
بستين اذ كل لام ثلاثون والقاف بمائة والالف بواحد وكذا الهمزة
التي بعدها وكذا الف الحق ولامه وقافه والحاء بثمانية والقاف بثمانين
والياء المتصلة بها بعشرة والف القدس ولامه وقافه مثل ما تقدم
والدال باربعة والسين بستين والخاء المعجمة من خالد بستمائة والالف
واللام والدال معلومة فالمجموع الف ومائتان واثنان واربعون والمراد
بها سنو الهجرية كما هو المعروف المصطلح عليه فيما بينهم فكانه قال توفي
سنة الف ومائتين واثنين واربعين بعد الهجرة (واعلم ان التواريخ)
كثيرة واشهرها اربعة هي اصولها وهي العربي والرومي والفارسي والقبطي
ولنتكلم على ذلك بوجه الاختصار (فنقول) اما العربي فاعلم ان الله
تعالى يوم خلق السموات والارض وضع اثني عشر شهرا وسماها باسماء
كما يدل على ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية
ثم انزل ذلك في كتبه المنزلة وبقيت على ترتيبها الى ان جاء ابراهيم عليه
السلام ورسم الحج في عاشر ذي الحجة وكانت العرب بعده تحج كذلك وكان
الحج ياتي في الفصول كلها واهل مكة لما هم عليه من الضيق والخصاصة
فاذا جاءت العرب في غير وقت الخصب وادراك الغلات قل ما معهم من
البضائع والازواد وكثرة الجوع والقحط بمكة فوقعت المشورة بين
العرب في ذلك فاشار اليهم خطيبهم ورئيسهم بان يعين لهم في السنة وقتا
واحدا لا يتغير يحجون فيه وهو وقت ادراك الغلات وكثرة المياه
فتقصدهم العرب بما معها من الخيرات فيصيبون منها ويدخرون

فوافقوه على ذلك فلما كان وقت الحج اقبلت العرب من كل مكان فقام فيهم خطيبهم فشكى
ضيق اهل مكة وقال انا انسأ لكم في هذه السنة شهرا اي ازيده فيها وكذلك افعل
في ثلاث سنين حتى يأتي حجكم في اطيب وقت من كل سنة فوافقوه فنسأ شهر المحرم
وآخر المحرم القديم الى صفر وصفر الى الربيع وهكذا الى اخرها فوقع في السنة
الثانية عشر المحرم محله وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا فمضى على ذلك
مائتان وعشر سنين او وعشرون سنة وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع
وهي العاشرة من الهجرة فاتفق فيها رجوع الحج الى عشر ذي الحجة فحج النبي صلى الله عليه
وسلم فيها في المسلمين وقال عليه الصلاة والسلام في جملة ما خطب به
الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض يعني رجوع الحج الى
الوضع الاول ثم تلى قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فامر
بابطال الزيادة ورجوع الحج والشهور الى الوضع الاول وفي هذه السنة ايضا
عاد المبدا الذاتي الى نقطة الاعتدال الربيعي فسلم من الحديث انه يوم الخلق
كذلك وعن بعض أيمة اهل البيتان السيارات كانت يوم الخلق في بيوتها المعروفة
عند المنجمين وما تمدد بيته كزحل فان له بيتين الدلو والحوت كان في اول بيته
فما ادري يوم حجة الوداع كيف كان وضع السيارات فيحتاج معرفة ذلك مراجعة
كتب الزيج وتقويم الكواكب فليفعل ذلك من اراد وحج ابو بكر رضي الله تعالى عنه
في التاسعة بالناس وكانت في عشر ذي القعدة من السنة الثالثة من
تلك الثلاث سنين (واما التاريخ) فقد كان للعرب في اليمن والحجاز تواريخ
كثيرة يتعارفونها خلفا من سلف فلما هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذت
هجرته مبدا التاريخ وتناسب ما قبله وسميت كل سنة اتت عليها باسم حادثة
وقعت فيها وكان اسم السنة الاولى سنة الاذن اي بالرحيل الى المدينة والسنة
الثانية سنة الامر والثالثة الابتلاء والرابعة الترفية وهي من الزلزال
والسادسة الاستيناس والسابعة الاستغلاب والثامنة الاستواء
والتاسعة البراءة والعاشرة الوداع وعلى هذا المنوال الى خلافة عمر رضي الله
تعالى عنه فسأله بعض الصحابة في ذلك فقال هذا يطول وربما يقع في بعض
السنين اختلاف وغلط فقيل لان للعجم حسابا تسميه ماه روز ومعناه
حساب الشهور والايام وقال له بعض مسلمي اليهود لنا حساب مثله

نسنده

نسنده الى الاسكندر فقال رضي الله تعالى عنه نحن العرب لا ننسب حسابنا
الى الاكاسرة ولا الى الاسكندر بل ننسبه الى مبدأ السنة التي هاجر فيها نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تسمية المسلمين بها وقع فيها فامتثلت الصحابة
رأيه وما استعملته في وجوه التصرفات وافاد السهيلي رحمه الله تعالى ان
الصحابة اخذوا تاريخ الهجرة من قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم واول سنة الهجرة عند يونس الحاكي المصري يوم الخميس وهو المعتمد
وان بالرؤية حسبما حرره ابن الشاطر يوم الجمعة بمكة المشرفة (واما
التاريخ الرومي) ويسمى ايضا بالسرياني والعجمي فيستعمله اهل الكتاب
واليونانيون والروم وقيل لا يستعملونه وان كان مشهورا بهم والجمهور
نسبوه الى الاسكندر الثاني ذي القرنين بن فيلبس المقدوني الرومي
المعروف بالبنا واتفقوا على ان مبداه في الايام شروق يوم الاثنين واختلفوا
في السنين ففي المنهاج لابن البناء وغيره انه من اول سنة من سني ولايته
وفي زيج الصوفي انه من اول السنة السابعة من ابتداء ملكه وذلك عند خروجه
لتملك البلاد وفي المبادي والغايات انه من اول السنة التي مات فيها ومن المحققين
من نسبه الى سلوقس بن انطيوخوس الذي امر ببناء انطاكيه وملك الشام
والعراق وبعض الهند والصين على ما نقله الحكماء ففي كتاب التفهيم لابي
الريحان وهو تاريخ اليونانيين من اول السنة التي تفرد فيها سلوقس
ملك انطاكيه بالملك وان كان يعرف بالاسكندر (انتهى) وفي تاج الازياج
لابن ابي الشكر مثله وصححه ونقله عن غير واحد من مؤرخي الحكماء بعد ان
ذكر ان جماعة من المؤرخين نسبوه للاسكندر وليس كما ظنوا لان بطليموس
ارخ بعض ارصاده في المجسطي باول سنة ممات الاسكندر الذي هو اول
(سنة) اربعمائة وخمس وعشرين لبختنصر والتاريخ الموضوع للاسكندر
وكان اول السنة الثالثة عشر من وفاته وتلك السنة (سنة) اربعمائة
وسبعة وثلاثين لبختنصر وعلى زعمهم تكون الولاية بعد الممات وهو
محال وبهذا القول جزم السلطان الغ بيك في زيجه متوقفا عن نسبته
الى احد الملكين لتعارض الدليلين فقال هو بعد وفاته باثنتي عشرة
سنة شمسية اصطلاحية ولكون زيج السلطان سلطان الازياج

اعتمده العلامة محمد بن محمد بن سليمان المغربي حيث حكى القول الاول ثم انتقل
اليه بقوله في منظومة اوله شروق يوم الاثنين غرته عام موت ذي القرنين
بل بعده بست سنين شمسية وقيل الهجرة بطلب وقية وهو سابق على الهجرة
بتسعمائة واثنين وثلاثين سنة شمسية كما اشار اليه بقوله ظلب ونحي
زيادة ايام قيل هي (زفد) ٦٨٧ وقيل (حيد) ٦٣٨ ولاجل قصد الاختصار سكت
عنها والشهور عند الروم معلومة وتختلف بالزيادة والنقص ويجمعها
قولك قلب غافل قد حيل والمبدأ من تشرين الاول لكل شهر حرف على التوالي
فذوات الحروف المنقوطة عددها احد وثلاثون وذوات الغير المنقوطة
ثلاثون الا الالف فان شهره هو شباط اصغر الشهور وكلها كالالف هذه
(حلب) ٦٨ وقد نظمها بعضهم في اربعة ابيات من الهزج فقال

شهور الروم الوان ... زيادات ونقصان
فتشرينهم الثاني ... وايلول ونيسان
ثلاثون ثلاثون ... سواء ولحزيران
شباط خص بالنقص ... وذاك النقص يومان

(وللمغاربة والافرنج) ممن يستعمل هذا التاريخ شهور اخر مخالفة
لهذه في الاسماء والمبدا فقط ويسمونها عجمية فمبداها من يناير وهو
كانون الثاني الذي هو رابع تلك وتشرين اول الذي هو تلك هو اكتوبر
عاشور هذه والاسماء هي اكتوبر نوبر دجنبر يناير فراير مارس ابريل
مايه يونيه ايليه اغشت شتنبر لكن الافرنج يؤرخون من مولد المسيح
عليه السلام وهو بعد مبدا هذا التاريخ رشي سنة شمسية ونصف
من الايام واسماؤها ينويه فبريه مارسه وهي اشهر الشتاء ابريل مايه
يونيه وهي اشهر الربيع يوليه اغشت سبطمبر وهي شهور الصيف
اكطبر نوعبر دجنبر وهي شهور الخريف (واما التاريخ القبطي) ويسمى
ايضا تاريخ الشهداء فقد ذكرنا القبط في قديم الزمان كانت تورخ لبخت
نصر البابلي الاول وعليه اعتمد بطليموس في مجسطيه في تاريخ اوساط الكواكب
السيارة وفي الثامنة تؤرخ بتاريخ انطينس ملك الروم في زمانه واما المحدثون
من القبط فقد قال البيروني تاريخهم باغسطس اول القياصرة قال

ويوجد في كتب النجوم تاريخ دقلطيانوس بالطاء او بالدال يدل له ملك الروم وهو آخر كفرتهم ثم تنصر بعده ملوكهم ومبدأ هذا التاريخ شروق يوم الجمعة غرة توت اول شهر من السنة التي غلب فيها دقلطيانوس على اهل مصر وكل شهر من شهورهم ثلاثون واسماؤها توت بابه هتور كيهك طوبه امشير برمهات برموده بشنس بوونه ابيب مسرى وهذا التاريخ يتقدم على التاريخ الهجري بثلثمائة سنة شمسية ثلثين يوما ( واما التاريخ الفارسي ) فهو اثنان قديم وجديد اما القديم فالقوم ينسبونه الى يزدجرد بن شهريار بن كسرى انوشروان المعروف بالعادل ومبدأه شروق يوم الثلاثاء فاتح سنة جلوس يزدجرد على كرسي ملك الفرس بالمداين وكانت الفرس قبله تورخ بايام الملك القائم فيهم فاذا مات ارخوا بايام القائم بعده الى ان قام يزدجرد فارخوا به وبقي تاريخه الى الآن بعد ذهاب دولة الفرس على يده وانتقلت الى العرب في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وقت محاربة العرب له وانهزم بين ايديهم وقبض في بيت طحان بمرو فقتل وعند ذلك انتقلت الاعاجم الى الاسلام فكل شهر من شهورهم ثلاثون يوما واسماؤها فروردين ماه اورديبهشت ماه خرداد ماه تيرماه مرداد ماه شهريور ماه مهرماه ابان ماه اذرماه دي ماه بهمن ماه اسفندارمذ ماه ولكل يوم من الشهر اسم يخصه وهي على الترتيب هرمز ١ بهمن ٢ اردي ٣ بهشت شهريور ٤ اسفنداد مرداد ٦ مرداد ٧ ديباذر ٨ آذر ٩ ابان ١٠ خور ١١ ماه ١٢ تير ١٣ جوش ١٤ ديبمهر ١٥ مهر ١٦ سروش ١٧ رشن ١٨ فروردين ١٩ بهرام ٢٠ رام ٢١ باد ٢٢ ديبدين ٢٣ دين ٢٤ ارد اشتاد ٢٦ آسمان ٢٧ زامياد ٢٨ مهر اسفند ٢٩ انيران ٣٠ وعندهم خمسة ايام منكسره على الشهور يسمونها اللواحق والمسترقة وهي اهنوذ اشنوذ اسفندمذ هوجشت دهشتواشت ( واما الفارسي الجديد ) ويسمى بالتاريخ الملكي والجلالي نسبة الى السلطان جلال الدين ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي فمبدأه يوم الجمعة عاشر شهر رمضان سنة اربعمائة واحد وسبعين هجرية وقيل الاحد الخامس من شعبان سنة ٤٦٧ والاول هو المعتمد واول السنة عندهم من نصف نهار يوم الذي تكون فيه الشمس باول برج ذلك الشهر واسماء الشهور عندهم كاسمائها في القديم والفرق في المطولات وبين التاريخ الملكي واول سنة الطوفان

اربعة الف ومائة وثمانون سنة شمسية ومن مبدا العالم الى اول سنة قران نوح الدال على الطوفان
مائة الالف وثمانون الف سنة شمسية حكاه السلطان عن اصحاب الاحكام وبقي من التواريخ
المشهورة تاريخ بني اسرائيل وتاريخ الخطا والايغور (اما تاريخ بني اسرائيل) فهو تاريخ آدم
عليه السلام ويسمونه تاريخ الخليقة يزعمون ان الله تعالى اوجد العالم يوم الاحد ونفخ في آدم
يوم الجمعة السادس من المبدأ وكان لاجتماع النيرين في الثالثة من درج الميزان لآخر الساعة
الرابعة عشر من ليلة الجمعة وذلك وقت خلق الهلال فارادوا ان يجعلوه مبدأ تاريخهم
فقالوا لا يجوز ان يجعل هذا الاجتماع الواقع في يوم الجمعة اول التاريخ لفوات الخمسة
الايام قبله ولا يجوز ان يجعله يوم الاحد لخلوه عن الاجتماع فتوهموا قبل الخمسة من
الايام تمامها السنة قمرية وسموها سنة وهمية لانه لم يكن مبدأ العالم سوى خمسة
ايام منها فكان مبدأ الايام المتوهمة يوم الاثنين فجعلوه مبدأ التاريخ ويزعمون
ان بينه وبين مولد موسى عليه السلام الفين وثلاثمائة وثمانية وستين سنة
شمسية ومنه الى غرق فرعون ثمانون سنة ثم منه الى تاريخ الاسكندر بزعمهم الف
سنة منه اربعمائة وثمانون من غرق فرعون الى مجيء بني اسرائيل بيت المقدس وعمارته ثم
قام عامرا اربعمائة وثلاثين ثم خربه بخت نصر واقام خرابا سبعين ثم عمره العزيز واقام
عامرا اربعمائة وعشرين سنة ثم اتاهم الاسكندر فكان من زمن آدم الى الاسكندر
على زعمهم ثلاثة آلاف واربعمائة وثمانية واربعين فاذا زيد عليه الماضي من تاريخ
الاسكندر حصل تاريخ آدم لوقتك (واما تاريخ الخطا والايغور) فيحكى من بعض
سخافاتهم على سبيل السخرية والضحك ما ترجمه ابو الريحان من اللغة الهندية الى
العربية في القانون المسعودي وغيره من تصانيفه ونقله عنه بعض الكلام على
ذلك العلامة محمد بن سليمان المغربي ولولا خوف الاطناب لذكرناه ومن اراده
فليرجع اليه وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام فقد افرده بالتاليف جماعة من العلماء
الاعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لاتينا بما يسر الناظر ويبهج الخاطر ولكل
مقام مقال وان الجواب على طبق السؤال والله تعالى ولي التوفيق وهو الهادي الى سواء
الطريق ولنختم هذا الشرح بخاتمة تكون لكاسه ختاما وللمستجيد رسم مدام انسأل
الله تعالى ان يحسن خواتمنا في سائر الامور ويرحمنا اذا بعثر ما في القبور وحصل
ما في الصدور (فنقول) ان حضرة الشيخ قدس سره قد نال الغربة الشهادة (اما اولا)
فلغربته لانه توفي في الشام ولم يولد فيها (واما ثانيا) فلكون وفاته يوم الجمعة ومشهور

ماورد

ما ورد في كل من ذينك الامرين (واما ثالثا) فلانه توفي وهو مشغول بالعلم (واما رابعا)
فلانه توفي بالطاعون ولما كان اهل العراق في هذه السنة اعني سنة الاربعة والاربعين
(بعد الالف والمائتين) يتحدثون بقرب حدوث الطاعون ببغداد لما ان العادة قبل
ذلك جارية بانه اذا حدث في الموصل في سنة يحدث في ثانيها او ثالثها ببغداد وقد
حدث في السنة الثالثة والاربعين فيها وافنى غالب اهلها وكثير من الموتى لم
يتهيأ دفنهم حتى كثرت الجيف بالبيوت والطرقات والمساجد والرباطات فامر
الحاكم وكان اذ ذاك عبد الرحمن باشا بن محمود باشا عبد الجليل زاده بان ترمى
الجثة بدجلة فرمي فيها شيء كثير حتى انا شربنا الماء ببغداد وفيه زهومته ومن الحوادث
انا لحلنا التبريد بانواع الحيل والبريد وكثير من الناس كان يقول ان ذلك
بسبب ما القي فيه من الاموات احببنا ان نذكر حكم الميت بالطاعون وحكم من
مات في زمنه صابرا محتسبا وحكم الفرار منه وغير ذلك فاعلم انه قد روي في الحديث
ان الطاعون شهادة للمؤمنين ورحمة لهم ورجز على الكافرين وعن انس انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطاعون شهادة لكل مسلم وهذا صريح في كونه للعاصي
المرتكب للكبيرة ايضا وهو الذي يقتضيه القياس على قتيل المعركة فعلى هذا تكفر ذنوبه
سوى التبعات (نعم) درجات الشهداء متفاوتة ففرق بين العاصي اذا استشهد
وغير العاصي وان اشتركا في اسم الشهادة وكذا من مات صابرا في ايامه (قال العلامة
ابن حجر) وهو يقتضي ان اجر الشهيد يكون لمن لا يخرج من البلد الذي وقع فيه الطاعون
في حال اقامته قاصدا ثواب الله وراجيا موعده عارفا بان ما يقع له فهو بتقدير الله
تعالى وما يصرف عنه فهو بتقديره غير متضجر بوقوعه معتمدا على ربه في كل حال فمن
اتصف بهذه الصفات فمات بغير الطاعون فظاهر الحديث ان اجر الشهيد يحصل له
ويؤيده رواية من مات في الطاعون فهو شهيد حيث لم يقل بالطاعون ثم قال ولو حدث
في شخص هذه الصفات ثم مات بعد انقضاء زمن الطاعون فظاهر الحديث انه يكون شهيدا
ونية المؤمن خير من عمله الى ان قال ومما يستفاد من هذا الحديث ان الصابر في الطاعون
المتصف بالصفات المذكورة يامن فتنة القبر لانه نظير المرابط في سبيل الله تعالى وقد
صح ذلك في المرابط كما في حديث مسلم وغيره (ثم لا يخفى) ان الذي يشتغل بوجوه
من الحيل في دفعه كالرقى والخواتم والتعويذات وغير ذلك خارج عن مضمون هذا
الحديث فلا يثبت له هذا الفضل العظيم والاجر الجسيم (نعم) هو دون الفار .

واختلف العلماء في الفرار فقال بعضهم حرام وحملوا النهي على التحريم في قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم على ما رواه اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه الطاعون رجز ارسل على طائفة من
بني اسرائيل فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا
منه ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الفار من الطاعون كالفار من الزحف واخرج ابن خزيمة في صحيحه ان الفرار من الكبائر والله
تعالى يتوب عليه ان لم يعف وهذا ما عليه اكثر الشافعية كما قال التاج السبكي وقال
بعضهم هو مكروه لاجل خروج كثير من الصحابة كابي موسى الاشعري وغيره
والصحيح المعول عليه عندهم الاول ولعل خروج من خرج لشغل عرض غير الفرار وهو
جائز اتفاقا وفي الفرار خسارة عظيمة وحرمان مثوبة جسيمة بل نقل ابو الحسن
المدايني عن ابيه انه قال قل ما فر احد من الطاعون فسلم قال التاج السبكي وقد
جرب ذلك وليس ببعيد ان يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر كما قد يستنبط
ذلك من قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون
الا قليلا (واختلف) في الدعاء برفعه فقال المنبجي يكره لان معاذا امتنع عنه
واعتل بان الطاعون شهادة ورحمة ودعوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ما روي
عن عبد الله بن رافع ان ابا عبيدة بن الجراح لما اصيب في طاعون عمواس استخلف معاذا واشتد
الامر فقالوا لمعاذ ادع الله برفع هذا الرجز فقال انه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين
قبلكم وشهادة يخص الله تعالى بها من يشاء منكم (اللهم) ات اهل معاذ نصيبهم
الاوفر من هذه الرحمة فهذا القول من معاذ صريح بان الدعاء برفعه غير مشروع وقد
صح ان معاذا اعلم الامة بالحلال والحرام وانه امام الفقهاء يوم القيامة فلو كان
مشروعا لفعله وعنى بقوله ولكنه دعوة نبيكم ما روي من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم اجعل فناء امتي بالطعن والطاعون وبالصالحين قبلكم بني اسرائيل والاشكال مدفوع
بما لا اظنه يخفى وقال بعضهم ان الدعاء مشروع وتمسكوا بقول بعض الفقهاء ان القنوت
في الصلاة كلها مشروع عند النوازل وان الاجتماع والدعاء لعموم الامراض جائز وقالوا ان
نصر حجتهم بالمرض العام بمنزلة التصريح بالوباء الذي يشمل الطاعون وهو ايضا من اشد النوازل
واجيب بان كلا من الوباء والنوازل وان كان عاما يشمل الطاعون الا ان الطاعون اختص
بكونه شهادة ورحمة ودعوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف الوباء والنوازل ويؤيد
ذلك ورود النهي عن الفرار منه دونها فعلى هذا لا يقنت مطلقا وبه قال صاحب

الفروع

الفروع من الحنابلة ومال بعضهم الى القنوت فرادى وصرح بان الاجتماع للدعاء برفعه
كما فى الاستسقاء بدعة حدثت بدمشق فى الطاعون الكبير (سنة) تسعة
واربعين وسبعمائة ولم يفد شيأ بل ازداد الامر شدة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
والمختار هنا القول العلامة ابن حجر الهيتمى وقال هو الاوجه (تنبيه) فى سبب حدوث
الطاعون قيل لحدوثه سببان شرعى وطبى اما الشرعى فمنه ما رواه ابن ماجه فى سننه من حديث
عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فاقبل علينا بوجهه فقال يا معاشر المهاجرين خمس خصال واعوذ
بالله ان تدركوهن ما ظهرت الفاحشة فى قوم الا ابتلوا بالطاعون والاوجاع التى لم
تكن فى اسلافهم الذين مضوا الحديث ومن حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنهما عن ابيه قال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية عجل الله هلاكها الى غير ذلك من الاحاديث
(واما الطبى) فهو فساد الهواء الذى هو مادة الروح على مذهب الحكماء قال ابن النفيس فى الموجز
الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء باسباب سماوية وارضية كالماء الآسن المتغير والجيف الكثيرة
واذا كثرت الشهب والرجوم فى آخر الصيف وفى الخريف فاهب للوباء وكذلك اذا كثرت
الجنوب والصبا فى الكانونين واذا كثرت علامات المطر فلم تمطر فزاج الشتاء
فاسد وكثرة الحشرات والضفادع دليل الوباء والمشهور انه وخز الجن ويمكن
الجمع بين الاقوال كما لا يخفى (انتهى) ولعل وجه الجمع انه يمكن ان يتعلق ببعض
اجزائه الهواء الفاسد ارواح خبيثة فيكون المجموع جنا وما الجن الا الارواح متعلقة
بابدان مارجية وما ذكره من المشهور هو الذى ورد به الخبر فقد جاء من رواية الطبرانى الطاعون
وخز اعدائكم الجن وضعف غير واحد رواية اخوانكم بل قالوا انها لم تثبت وعلى تقدير ثبوتها
(قيل) فى الجمع ان الاخوة الدينية لا تنافى العداوة الطبيعية (وقيل) بخز المؤمن كافر
الجن والكافر مؤمنهم ومن الاطباء من قال سبب الطاعون دم ردى مائل العفونة والفساد
يستحيل الى جوهر سمى يفسد العضو ويؤدى الى القلب كيفية ردية فيحدث فى
ما يحدث وبينه وبين الوباء عموم وخصوص فكل طاعون وباء ولا عكس وهذا لا ينافى
ايضا ما تقدم لجواز ان يفسد ويكون منه جن فتمس جسد من شاء الله تعالى فيفسد
دمه باذن الله عز وجل ويكون ما يكون (وابطل ابن القيم) كونه ينشئ من فساد الهواء بانه لو كان
كذلك لعم الناس والحيوانات وفيه غفلة عن ان تاثير الفاعل مشروط بوجود القابل الا ترى
ان النار لا تحرق الرطب فيحتمل ان يمنع من العموم قوة طبيعية من لم يقدر عليه

وعدم استعدادها للفساد فتمنع عن نفسها باذن الله تعالى والذي تحقق في هذه الاعصار عن اطباء الافرنج وفلاسفتهم انه من حيوان ضعيف جدا اضعف من الذر بكثير لا يكاد يدرك الا بالآلات المعدة لادراك الاشياء الدقيقة يلصق بالجسد المستعد فيفسده لما فيه من السمية وانه يهلك اذا بلغت حرارة الهواء سبعا وعشرين درجة وكذا يهلك من بعض الروايح والعقاقير اذا دخنوها ولهم رواق التحفظ منه مثل العزلة والتدخين باشياء مخصوصة ولا ارى باسا في هذا التحفظ مع اعتقاد ان الله تعالى فعال لما يريد وفي سنن ابي داود مرفوعا ان من القرف التلف قال ابن قتيبة القرف مداناة المرضى وقد تزوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة فلما اراد الدخول عليها وجد بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك ونص غير واحد من الشافعية على ان الامام اولى بالحضانة ما لم تكن جذمى او برصى وحديث لا عدوى محمول على نفي التاثير بالذات حسبما كانت العرب تزعم ذلك دون كون المخالطة سببا عاديا كسائر الاسباب لسائر المسببات وتفع ذلك التحفظ الذي شاع في بلاد الروم والافرنج مشاهد وانكاره مكابرة محضة (نعم) هو في الحقيقة مربوط باذن الله تعالى وقد سعى الافرنج في رفعه عن بلادهم تكون فيها اسباب طبية وتابعهم في ذلك كثير من المسلمين كاهل مصر فارتفع باذن الله تعالى بعد ان كان يحدث عندهم كثيرا ويوشك ان يرتفع من الارض اذا تعاطى هاتيك الاسباب فيها ولا يبدع في ذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم اول رحمة ترفع من الارض الطاعون ونعم هو ما اذا كان الرفع بتعاطي سبب والرفع بدونه (ثم ان صح انه) تاثير دويبات حسبما وصفوا لا يبعد ان يقال اطلق عليها اسم الجن اما لانها صنف منه او على سبيل التشبيه وهذا كما يسمى الحبة الدقيقة الخفيفة شيطانا وجانا على التشبيه كما قال ابن الاثير ومتى صح تسمية الشيء الذميم شيطانا كما في خبر الحسد شيطان والغضب شيطان (وقول الشاعر) ما ليلة الفقير الا شيطان فليصح تسميته جانا واي ذميم يشبه ما يكون سببا للهلاك وهو تلك الدويبة ولا ارى ايضا باسا بالخروج من محل هو فيه لكن مع اعتقاد ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان كل شيء بقضاء وقدر وقد ذكر كل من ذكر من العلماء اشياء تنفع باذن الله تعالى في الحفظ من اصابة الطاعون (منها) كثرة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنها) الصدقة لا سيما على ذوي الارحام (ومنها) كثرة الدعاء والابتهال والتضرع الى الله فقد صح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل

وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد الى غير ذلك من الاحاديث وروى ابن السني في كتابه عن بعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خرج في اصبعي بثرة فقال عندك ذريرة فوضعها عليها وقال قولي (اللهم) مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بي فطفئت الذريرة فتات قصب الطيب يجاء به من الهند وقد ذكر الاطباء المتقدمون شيئا كثيرا ايضا قال ابن النفيس ما حاصله ان الوباء ينفع منه ان ينقى البدن ويعدل مزاجه ويقلل الفاكهة والشراب والمرق ويقتصر على المجففات والحوامض كلها جيده والتبخير بما يصلح كيفية الهواء بالادوية التي لها في ذلك خاصية كالكافور والسعد والصندل والمسك والعود والعنبر والاترج والطرفاء وورق الغار ورش البيت بخل الورد وماء الخلاف وتقريب الفواكه العطرة كالتفاح والسفرجل والكمثرى والزعرور (وقال ابن سينا) ويعالج الطاعون في المبدأ بما يقبض ويبرد وباسفنجة في ماء وخل ودهن الورد او دهن النعناع او دهن الاس هذا في الابتداء ويعالج بالشرط ان امكن ويسيل ما فيه ولا يترك الى ان يجمد فتزداد سميته فان احتاج الى محجمة يمص بلطف (وقال ايضا) يعالج بالاستفراغ او بالفصد على ما يحتمل الوقت والمزاج ويجب ان يخرج الخلط العفن وان يقبل على القلب بالحفظ والتقوية بما فيه تبريد وعطرية مثل حماض الاترج والليمون وربوب التفاح والسفرجل ومثل الرمان الحامض وشم مثل الورد والكافور والصندل والغذاء مثل العدس بالخل ويجب ان يجعل على راس العليل ورق الخلاف والبنفسج والورد والنيلوفر ونحوه ويجعل على القلب طلية مبردة مقوية الى غير ذلك مما هو مذكور في كتاب القانون وذكروا ان الياقوت بسائر انواعه اذا تختم به دفع الطاعون وكذا الطين المختوم ينفع من الطاعون شربا وحمل الزيبق في نحو حق صغير وتعليقه على القلب نافع ايضا الى غير ذلك وانا اقول

* ان الطبيب له طب ومعرفة * ما دام في اجل الانسان تاخير * حتى اذا ما دنت منه منيته * حار الطبيب وخانته العقاقير * ومع هذا فاعقل وتوكل والله تعالى الحافظ (واعلم) ان شهيد الطاعون كشهيد المعركة لحديث دل عليه وهو فعيل بمعنى مفعول لانه مشهود له بالجنة او بالامان من النار او بحضور الرحمة من الله تعالى او ملائكته عليهم السلام واما بمعنى فاعل لانه روحه شاهدة دار السلام او لانه يشهد عند الموت الكرامة او لانه يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل عليهم السلام وليس الشهيد منحصرا في شهيد المعركة وشهيد الطاعون بل الشهداء كثيرون منهم الغريق مطلقا كما هو الاصح

عدي ويشترط ان يكون عارفا بالسباحة وصاحب ذات الجنب والمبطون وبه الاستسقاء وصاحب الاسهال وصاحب القولنج والحريق والميت بهدم والتي تموت بالولادة او العشق او الطلق ولا بكرا كانت او لا والغريب ومن لدغته هامة او افترسه سبع والشريق بما يباح له شربه والمتردي من جبل ومن قتل دون ماله او دينه او اهله ومن قتل بدون مظلمة والميت في حبس ظلما والميت في طلب العلم ومن مات مرابطا ومن عشق فعف وكتم والميت من ركوب البحر وما عراه فيه من القيء ومن قرأ حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات آخر سورة الحشر ومات في يومه او حين يمسي ومات في ليلته ومن مات عن وصية ومن مات وهو على وضوء ومن صلى الضحى وصام ثلاثة ايام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر ومن مات ليلة الجمعة او يومها ومن مات عقب رمضان او عمرة او حج ومن سأل الله الشهادة بصدق ولم تصبه ومن مات وقد قرأ في ليلته سورة قل يا ايها الكافرون ومن مات وقد قرأ في مرضه التي مات فيه سورة الاخلاص ومن قال اللهم اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك ابوء لك بنعمتك علي وابوء لك بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب غيرك حين يصبح ومات في يومه وحين يمسي ومات في ليلته الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في بعض رسائله ومن تعددت فيه اسباب الشهادة كانت كرامته ازيد ممن لم تتعدد فيه والكل على خير كثير ومنه ان يغفر له كل ذنب الا الدين وسائر تبعات الآدمي في معناه وخبر يغفر لشهيد البحر الذنوب والدين ضعيف لكن لا يبعد ان يرضي الله تعالى الخصوم فاذا نعم سبحانه رضي ورضوان من الله اكبر نسأل الله تعالى بحرمة حبيبه الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرضى عنا اجمعين ويرضي خصومنا يوم الدين هذا ما وفق الله تعالى لنا في شرح هذه المرثية مع انغماس الرؤية في احوال هموم ردية والذي شجعني على الاقدام على الشرح قوة ظني انه سيكون سبب الفتح ووسيلة للمنح وقد صادق الاتمام غرة محرم الحرام مفتتح السنة الخامسة والاربعين بعد المائتين والالف من هجرة نبي لا تصل الى كعبه وان طالت بردة المدح والوصف

وعلى تفنن واصفيه بوصفه  *  يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وكانت مدة اشتغالي في ذلك نحو [illegible] ايام قد اعطيتها من الليالي سهما فلم تذق عيناي من لذة المنام طعما وكنت [illegible] من القيام واعتقد ان اجره لا ينقص عن اجر الصلاة والصيام * وما علي اذا ما [illegible] بدي * دع الجهول يظن السوء عدوانا *

وبعد ان تم الشرح وانقطع من القلم الرشح سميته بالفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد والحمد لله حمدا غضا والصلاة والسلام على نبيه النبيه حتى يرضى وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه وقد تم هذا الكتاب على ذمة ملتزميه الهمام الشيخ حسين الخشاب والهمام الشيخ محمد اسماعيل

طبع بالمحروسة بالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٧٨

524x / 51A